كتاب سراج الملوك للاستاذ أبي بكر
الطرطوشي نفعنا الله به
وبعلومه
آمين

(فهرست ما فى هذا الكتاب)

صحيفة

ترجمة المؤلف مختصرة من نفح الطيب تاريخ الاندلس ومن غيره هو العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى الطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى يعرف بابن ابى رندقة براء مهملة مضمومة ونون ساكنة ودال مهملة وقاف مفتوحتين ذكره ابن بشكوال فى الصلة وعبر عنه ابن الحاجب بالاستاذ صحب القاضى أبا الوليد الباجى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرأ الادب على أبى محمد ابن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ٤٧٦ ودخل بغداد والبصرة فتفقه عن أبى بكر الشاشى وأبى سعيد بن المتولى وأبى محمد الجرجانى ورزق الله التميمى وأبى على القشيرى وغيرهم وسكن الشام مدة ودرس بها ومن تلامذته القاضى سند نزيل سكندرية والحافظ القاضى أبو بكر بن العربى وأبو الطاهر اسماعيل الزهرى السكندرى وكان اماما عالما عاملا زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير وتقدم فى الفقه مذهبا وخلافا وكانت له رحمه الله نفس أبية قيل انه كان ببيت المقدس يطبخ فى شقف وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك أمر الدنيا والاخرى ومن كلامه

اعمل لمعادك يا رجل * فالناس لدنياهم عملوا
وادخر لمسيرك زاد تقى * فالقوم بلا زاد رحلوا

(قال الصفدى) بعد سرد كلام من فضائله ومن تآليفه كتاب مختصر تفسير الثعالبى والكتاب الكبير فى مسائل الخلاف وكتاب فى تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن أبى زيد وولد سنة ٤٥١ تقريبا وزرت قبره باسكندرية قبل الباب الاخضر وكانت وفاته فى شعبان وقيل فى جمادى الاولى سنة ٥٢٠ ومن كراماته كما فى المنح البادية ان من أصابته الحمى وزاره وقال له يا أبا بكر انى تائب عن الجبن الرومى شفى باذن الله تعالى اه

﴿ وما توفيقي الا بالله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي لم يزل ولا يزال * وهو الكبير المتعال * خالق الاعيان والآثار * ومكور النهار على الليل والليل على النهار * العالم بالخفيات * وما تنطوى عليه الارضون والسموات * سواء عنده الجهر والاسرار * ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته * وأحكمهم بعلمه وخصهم بمشيئته * ودبرهم بحكمته * لم يكن له فى خلقهم معين * ولا فى تدبيرهم مشير ولا ظهير * وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن * و يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذيل التكوين * ثم كلفهم معرفته * وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه ادراكا لهم * ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم * كما جعل اقرار المقرين بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانا لهم * لا تلزمه لم * ولا يجاوره أين * ولا تلاصقه حيث * ولا تحله ما * ولا تعده

الاين الحين . اه

الاين هذا الاعياء اه

كم * ولا تحصره متى * ولا تحيط به كيف * ولا يناله أين * ولا تظله فوق * ولا تقله تحت * ولا يقابله جزء * ولا تزاحمه عند * ولا يأخذه خلف * ولا يحده أمام * ولا تظهره قبل * ولم تفته بعد * ولم تجمعه كل * ولم توجده كان * ولم تفقده ليس * وصفه لا صفة له * وكونه لا أمد له * ولا تخالطه الاشكال والصور * ولا تغيره الآثار والغير * ولا تجوز عليه المماسة والمقارنة * وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة * ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته * ومن كان معلولا كان له غيره علة تساويه في الوجود * وهو قبل جميع الاعيان * بل لا علة لافعاله * فقدرة الله في الاشياء بلا امزاج * وصنعه للاشياء بلا علاج * وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (وان قلت) أين هو * فقد سبق المكان وجوده * فمن أين الاين * لم يفتقر وجوده الى اين * هو بعد خلق المكان * غنيّ بنفسه كما كان قبل خلق المكان * وكيف يحل في ما منه بدا * أو يعود اليه ما أنشأ (وان قلت ماهو) فلا ماهية له * ماموضوعة للسؤال عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له * لان الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماهية (وان قلت) كم هو * فهو واحد في ذاته * متفرد بصفاته (وان قلت) متى كان فقد سبق الوقت كونه (وان قلت) كيف هو * فمن كيف الكيفية لا يقال له كيف * ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير (وان قلت) هو * فالهاء والواو خلقه * بل ألزم الكل الحدث كما قال بعض الأشياخ لان القدم له * فالذي بالجسم ظهوره * فالعرض يلزمه * والذي بالاداة اجتماعه * فقواها تمسكه * والذي يؤلفه وقت * يفرقه وقت * والذي يقيمه غيره * فالضرورة تمسه * والذي الوهم يظفر به * فالتصوير يرتقي اليه * ومن آواه محل * ادركه اين * ومن كان له جنس طالبه كيف * وجوده اثباته * ومعرفته توحيده * وتوحيده تمييزه من خلقه * فما تصوّر في الاوهام فهو بخلافه * ولا تمثله العيون * ولا تخالطه الظنون * ولا تتصوّره الاوهام * ولا تحيط به الافهام * ولا تقدّر قدره الايام * ولا يحويه

مكان * ولا يقارنه زمان * ولا يحصره أمد * ولا يشفعه ولد * ولا يجمعه عدد * قربه كرامته * وبعده اهانته * علوه من غير توقل * ومجيئه من غير تنقل * هو الاول والآخر * والظاهر والباطن * القريب البعيد * الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (وأشهد له بالربوبية والوحدانية) وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى * والصفات العلى * والنعت الاوفى * ألا له الخلق والامر * تبارك الله رب العالمين * وأومن به وملائكته وكتبه ورسله * لانفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون (وأشهد) أنّ محمدا عبده ورسوله المصطفى * وأمينه المرتضى * أرسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين * وأصحابه المنتخبين * وأزواجه الطاهرات أمّهات المؤمنين * وسلم تسليما

قوله التوقل هو الصعود اه

(امابعد) فانى لما نظرت فى سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات فى تدبير الدول والتزموه من القوانين فى حفظ النحل وجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات (فأما) الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شيئا منها فأمر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شئ منه برهان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن تدبير ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هى صادرة عن خدمة النيران وسدنة بيوت الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز أحد من خلق الله عز وجل ان يصنع من تلقاء نفسه اشباهها وامثالها (وأما) السياسات التى وضعوها فى التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالفها فقد سار وافى ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام (فكذلك) فى تدبير الحروب وأمن السبيل وحفظ الاموال وصون

النحل جمع نحلة وهى الدعوى اه

الاعراض

الاعراض والحرم كل ذلك قد ساروا فيه بسيرة جميلة لا تنافى العقول شيئا منها لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة (فكانوا) فى حسن سيرتهم لحفظ تلك الاصول الفلسفية كمن زخرف كنيفا أو بنى على ميت قصرا منيفا (مفرد)

ولو لبس الحمار ثياب خز * لقال الناس يالك من حمار

(فجمعت) محاسن ما انطوت عليه سيرتهم خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك فى ست من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والسندهند (فأما) ملوك الصين وحكماؤها فلم يبلغ الى أرض العرب من سياستهم كبير شئ لبعد الشقة وطول المسافة (وأما) من عدا هؤلاء من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائح نافذة واذهان ثاقبة واغما صدر عنهم الشئ اليسير من الحكمة فنظمت ما ألفيت فى كتبهم من الحكم البالغة والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته من سير الانبياء عليهم السلام وأثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذى هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات (وقد رأيت) ان اختصر لمحة دالة واشارة خفيفة فان طال فالفاظ بارعة وآيات معجزة وهو الهادى من الضلالة والحاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة ورتبته ترتيبا أنيقا وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاطيع ناطقة بحكمها أو مضمونها تلج الاذن من غير اذن وتتوج التامور من غير استئمار ألفاظها قوالب لمعانيها ليس ألفاظها الى السمع بأسرع من معانيها الى القلب (فانتظم الكتاب) بحمد الله وعونه واحكمته غاية فى بابه غريبا فى فنونه وأسبابه خفيف المحمل كثير الفائدة لم تسبق الى مثله أقلام العلماء ولا جالت فى نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك والروساء فلا يسمع به ملك الا

التامور والقالب كما هو واحد معانيه اه

استكتبه ولا وزير الا استصحبه ولا رئيس الا استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولى الامرة والسياسة وجمال لمن تحلى به من أهل الاداب والمحاضرة وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة والمذاكرة (وسميته سراج الملوك) يستغنى الحكيم بدراسته عن مصاحبة الحكما والملك عن مشاورة الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان أحق من أهديت اليه الحكم وأوصلت اليه النصائح وحملت اليه العلوم من آتاه الله سلطانا فنفذ فى الخلق حكمه وجاز عليهم قوله (ولما) رأيت الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام فخر الايام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الآمرى أدام الله لاعزاز الدين نصره وأنفذ فى العالمين بالحق أمره وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم محذوره وضره (قد) تفضل الله تعالى به على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر فى مصالح أحوالهم كلمته وعرف الخاص والعام يمنه وبركته وتقلد أمور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية متحريا للصواب راغبا فى الثواب طالبا سبل العدل ومناهج الانصاف والفضل (رغبت) ان أخصه بهذا الكتاب رجاء لطف الله تعالى فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولتذكر فضائله ومحاسنه ما بقى الدهر

الناس يهدون على قدرهم * لكننى أهدى على قدرى
يهدون ما يفنى فأهدى الذى * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستبطنوا أهله وما توفيقنا الا بالله (وهذه) أبواب الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا

فهذه جملة الابواب المذكورة قد كملت عدتها أربعة وستون بابا

(الباب الاول فى مواعظ الملوك)

(لقد) خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا (اعلم) أيها الرجل وكانا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا أنها مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعى من الموعظة ما يتوجه على تلك الافكار ويتغلغل فى مكامن تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفك تلك الاكنة والاقفال ويصقل ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع متاع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت تعلم انك ما أوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو لهو ولعب وزينة قال الله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ثم قال وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبتع أيها العاقل لهوا قليلا يفنى بحياة الابد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمه الله تعالى لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الآخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى (تأمل) بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه فى معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم (هذا) وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون (وقال) وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (تأمل) بعقلك الى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا

تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء والق سمعك الى مانزل به جبريل على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك عش ماشئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به (فانظر) الى مااشتملت عليه هذه الكلمات من صرعة الموت وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم ينزل من السماء غيرها لكانت كافية (انظر) بفهمك الى ماروواه الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلى مطروح فقال أترون هذا هان على أهله فقالوا من هوانه عليهم ألقوه قال فوالذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون على الله من الجيفة المطروحة وقال أبو هريرة قال لى النبي صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها فات بلى قال فأخذ بيدى وأتى بى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم هى اليوم تساقط جلدا بلا عظم ثم هى صائرة رمادا رمددا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها وقذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فابرحنا حتى اشتد بكاؤنا (وقال) ابن عمر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال يا عبد الله كن فى الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى أيها الرجل ان كنت لاتدرى متى يفجاؤك الاجل فلا تغتر بطول الامل فانه يقسى القلب ويفسد العمل وقد عير الله اقواما مدلهم فى الاجل فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

الطلى بالفتح والقصر ولد الظبية اه

رمدد كزبرج ودرهم دقيق أو هالك اه قاموس

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(ياأيها الرجل) ألق الى سمعك وأعرنى لبك

فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

أين آدم أبو الاولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن الرحيم أين موسى الكليم من بين سائر النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار المنتخبون أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين اعتزوا بالاجناد والسلطان أين أصحاب السطوة والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين اقتحموا المخاطر والمخاوف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا فى اللذات والمآرب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين استلانوا الملابس أثاثا ورئيا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أين الذين ملؤا ما بين الخافقين عزا أين الذين فرشوا القصور رنزا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وهزا أين الذين استذلوا العباد قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور وأسكنهم فى ضنك القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا الاترى الامساكنهم فعاث الدود فى أجسامهم واتخذ مقيلا فى أبدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا أسلمك الاحبة والاولياء وهجرك الاخوان والاصفياء ونسيك القرباء والبعداء فأنسيت ولو نطقت لانشدت قولنا عن سكان

اللزا التضييق اه

الثرى ورهائن التراب والبلى (شعر)

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على بعاد
فان طال المدا وصفا خليل * سوانا فاذكروا صفو الوداد
وذاك أقل مالك من حبيب * وآخره الى يوم التناد
فلو أنا بموقفكم وقفنا * سقينا الترب من مهج الفؤاد

(وقال) مكرم بن يوسف العابد أوحى الله تعالى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان قف على المدائن والحصون وأبلغهم عني حرفين لا يأكلوا الا طيبا ولا يتكلموا الا بالحق (ولما) دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم مالك أول خليفة يموت فبكى عمر وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك و بين آدم الأب ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك و بين الموت موعد فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه (يا أيها الرجل) لا تغفل عن ذكر ما تتيقنه من وجوب الفناء وتقضي المسار وذهاب اللذات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن نظر اليها أعمته ومن تبصر بها بصرته لا خيرها يدوم ولا سرورها يبقى ولا فيها المخلوق بقا (يا أيها الرجل) لا تخدعن كما خدع من قبلك فان الذي أصبحت فيه من النعم انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يدك مثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل للآخر (يا أيها الرجل)

لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت اليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدها ثم كنت طريدة للموت ما كان ينبغى لك أن تتهنأ بعيش لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما يفنى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدر يغلى وكنيف يملأ وكما قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتمايلت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

(ولقد) أصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظنى وبيده شربة من ماء فقال يا أمير المؤمنين أرأيت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك قال نعم قال فلا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة (يا أيها الشاب) لا تغتر بشبابك فان أكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان أقل الناس الشيوخ (يا أيها الشاب) كم من جمل فى التنور وأبوه يرعى وكم من طفل فى التراب وجده يحيا (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه لأسقف قد أسلم عظنى فقال يا أمير المؤمنين ان كان الله عليك فمن ترجو قال أحسنت فزدنى قال ان كان الله معك فمن تخاف قال أحسنت فزدنى قال احسب ان الله قد غفر للمذنبين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبى حسبى وبكى على أربعين صباحا (وقال) الحسن قدم صعصعة يعنى عم الفرزدق على النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبى حسبى لا أبالى ان لا أسمع آية غيرها (وقال) سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل عظنى فقال ان كنت قد عصيت الله وظننت انه يراك فلقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب كريم (وكتب) على بن أبى طالب رضى الله عنه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها ويقتل سمها فأعرض عنها وعن ما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكره منها فان صاحبها كلما

اطمأن

اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه وقال أبو العتاهية

هى الدار دار الاذى والقذى * ودار الغرور ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمّل طول الحياة * وطول الحياة عليه خطر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير فى العيش بعد الكبر

(ولما) بلغ مردك من الدنيا أفضل ما سمت اليه نفسه ورقت اليه همته رفضها ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وغنى لولا انه فناء وجسيم لولا انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وغناء لولا انه منا وارتفاع لولا انه اتضاع وعلا لولا انه بلا وحسن لولا انه حزن وهو يوم لو وثق له بغد (يا أيها الرجل) لا تكن كالمنخل يرسل أطيب ما فيه ويمسك الحثالة (واعلم) ان من قسا قلبه لا يقبل الحق وان كثرت دلائله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مانعة من قبول الحق للقلوب وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أى غطاها وغشيها فلا تقبل خيرا ولا تصلح لموعظة (جاء) فى التفسير اذا أذنب العبد ذنبا نكتت فى قلبه نكتة سوداء ثم اذا أذنب نكتت فى قلبه نكتة سوداء ثم كلما أذنب نكتت نكتة سوداء حتى يسود القلب (وقال) حذيفة القلب كالكف فاذا أذنب العبد انقبض وقبض أصبعا ثم اذا أذنب انقبض وقبض أصبعا أخرى ثم كذلك فى الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه وذلك هو الران (وقال) بكر بن عبد الله اذا أذنب العبد صار فى قلبه كوخز الابرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الابرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الابرة حتى يعود القلب كالمنخل (وقال) الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب (وقال) ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة

قوله مردك كمقعد اسم اه قاموس

قوله غناء بالفتح والمد الانتفاع اه مصباح

وقد قيل

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

(ويروى) ان أبا العتاهية مر بدكان وراق فاذا كتاب فيه بيت من الشعر

لن ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا فقيل لابي نواس فقال وددت انه لي بنصف شعري (وقال) الاصمعي ان النعمان بن امرئ القيس الاكبر الذي بنى الخورنق أشرف على الخورنق يوما فأعجبه ما أوتي من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه عليه فقال لاصحابه هل أوتي أحد مثل ما أوتيت فقال له حكيم من حكماء أصحابه أهذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولا يزول أم شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شيء كان لمن قبلي زال عنه وصار الي وسيزول عني قال فسررت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فأين المهرب قال اما أن تقيم وتعمل بطاعة الله أو تلبس أمساحا وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى يأتيك أجلك قال فاذا فعلت ذلك فمالي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله لاطلبن عيشا لا يزول أبدا فانخلع من ملكه ولبس الامساح وساح في الارض وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان ويعبدان الله تعالى حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد

الخورنق القصر اه

سر رب الخورنق اذ أصـ * ـبح يوما وللهدى تذكير

غره ماله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال فما غبـ * ـطة حي الى الممات يصير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور

لم يهبه ريب المنون فباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور

السدير كامير نهر بالحيرة اه

وفيهم أيضا يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي نبأتني * ان السبيل سبيل ذي الاعواد

ماذا

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
أرض الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات مع سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

(وقال) وهب بن منبه أصبت على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم * فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا يوما وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد اكلوا

(قال) شيخنا رحمه الله قرئ على القاضى أبي الوليد الباجي وأنا أسمع لبعض الشعراء

وصلك يا أسماء ما شانى * أضللتنى والله ما سانى
الموت حق فاعلمى نازل * فبشرى لحدى واكفانى
قد كنت ذا مال فلولا الذى * أعطانى العيش وأغنانى
ما قرت العين به ساعة * الا تذكرت فاشجانى
على بأنى صائر للبلى * وفاقد أهلى وجيرانى
وتارك مالى على حاله * نهبا لشيطان بن شيطان
لامراة ابنى أو لزوج ابنتى * يا لك من غى وخسران
يسعد فى مالى وأشقى به * قوم ذوو غل وشنآن

محرق كمحدث اسم لامرئ القيس والد المنذر واياد ككتاب حى من معد وسنداد بالكسر اسم نهر أو قصر وأنقرة بفتح الهمزة وكسر القاف موضع بالحيرة ودواد بالضم من اياد وغمدان كعثمان والمسند الحميرى اه

ان أحسنوا كان لهم أجره * وخف من ذلك ميزاني

(وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفناءها وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريرا (قال) ابراهيم بن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا أولى بك قلت يرحمك الله لعل الله ينفعني به يوما ما (ثم) سألته ثانية فقال ويحك اشتغل بالله سبحانه ثم سألته ثالثة فقلت ان رأيت يرحمك الله ان تخبرني به لعل الله أن ينفعني به فقال كان أبي من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسا ومعي كلبي فأثرت أرنبا أو ثعلبا فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت مقشعرا وجعلت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت نداء من قربوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات قد جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا فتوجهت الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم تزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق وعملت بها أياما فلم يصف لي شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى الشام الى مدينة يقال لها المنصورية وهي المصيصة فعملت بها أياما فلم يصف لي منها شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان العمل بها والمباحات كثير قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكترائي أنظر له بستانا فتوجهت معه فمكثت في البستان أياما كثيرة فاذا بخادم قد أظل ومعه أصحاب له ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرته فقعد

فأثرت اي هيجت اه

فى مجلسه ثم قال ياناظورنا فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال ياناظورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا وما أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم مازاد على هذا فلما كان من الغد حدّث الناس فى المسجد بالصفة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختبأت والناس داخلون وأنا هارب منهم (وكان) ابراهيم بن أدهم يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل فى الطين (وكان) يوما يحفظ كرما فمر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما أمرنى صاحبه فأخذ يضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فانحجز الرجل ومضى (وقال) سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق على نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق على فلما تماثلت قلت يا ابراهيم أين الحمار فقال بعته قلت فعلام اركب قال يا أخى على عنقى قال فحملنى ثلاث منازل رحمه الله (وأنشدوا)

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها منير * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

(وبلغنى) ان بالهند يوما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى فى البلد بشر من مابين لاشيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلائق فى صعيد واحد ينادى منادى الملك لا تصعدون هذا الحجر لحجر هناك منصوب الا من حضر فى الجمع الاول الذى قد خلا من مائة سنة فربما جاء الشيخ الهرم الذى قد ذهبت قوته وعمى بصره وفنى شبابه وتجئ العجوز تزحف لم يبق منها الا رسمها وقد أخنى الدهر عليها فيصعدان على الحجر الذى هناك وربما لم يجئ أحد وقد يكون قد فنى القرن بأسره ويقول الشيخ قد حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وأنا

قوله تماثلت من تماثل العليل قارب البرء اه

أخنى عليها الدهر أهلكها اه

ماقيل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الماضية والامم الخالية وكيف طحنهم البلى وصاروا تحت اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة الفوت فيبكى الناس ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدّة (وقال) وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر فالتفت اليه فى اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ماتريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فى الدنيا رأس كل خير والتوفيق تاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب فى رأس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك تاج كل خير قال فكيف أعرف ذلك قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبهها بالماء الملح يغر ولا يروى ويضر ولا ينفع وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يكن فى يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل (فتدبرت) هذه الاحرف السبعة سبعين سنة (ثم) زدت حرفا واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدى فى المنام فقال لى يا بنى أشهد انك منى وأنا منك هى والله كالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها قلت فبأى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالبصر والبصر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الراهب فقال خذها منا فلا اراك تأتى الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به (قلت) وقد وصف الله الدنيا وأهلها بصفة أعم من هذه الصفة فقال سبحانه وتعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد والكفار ههنا الزراع فكما

الخلب المطمع المخلف والزعاف كغراب المهلك اه

ان

ان الزرع يكون في أول نباته خضرا ناعما اهتزت به الارض بعد يبسها فجاءت في العيون كأملح ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا أي يكبر ويستوى فيجف ويحترق ويتنكس اعلاه ويستغلظ سنبله ثم يدرس فيكون حطاما أى تبنا فيكون متكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله تعالى لبني آدم اذ كانوا اطفالا أول الولادة وفي حال الشبوبية كاحسن مرئي يعجبون الآباء ويفتنون ذوى الاحلام والنهى ثم يكبرون فيصيرون شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعومتهم وفني شبابهم وجمالهم وزوت غضارتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم واليبس ثم يموتون فيصيرون حطاما في القبور كالتبن في الجرين (هذا) بعد ما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر (وكان) الصدر الاول يسمى الدنيا خنزيرا ولو وجدوا لها اسما أقبح منه لسموها به (وكانوا) يسمونها أم دفر والدفر النتن (وقال) مالك بن أنس رضى الله عنه بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فتشرف له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه لا يلتفت اليه ولا يرفع رأسه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون الي الا أنت فقال الرجل انى رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فمات هو ومسكين فدفن الى جانبه في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت النظر اليك وقد قيل في المعنى

وحقك لو كشفت الترب عنهم * لما عرف الغني من الفقير
ولا من كان يلبس ثوب شعر * ولا البدن المنعم بالحرير

(وروى) ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ أوفى على غار فنظر فاذا فيه رجل عظيم من بنى آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور فيه انا دوسوم الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت

ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فمن رآني فلا تغرنه الدنيا كما غرتني (وقال) وهب بن منبه رضي الله عنه خرج عيسى عليه السلام يوما مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أمكن من الفرك فقالوا يارسول الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وأرضي ورثته عن آبائي باذن من تأكلون ياهؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة أو ماشاء الله رجل أو امرأة كل ينادي زرعي وأرضي ورثته عن آبائي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يارسول الله اني لم أعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها وبهم لاحق ليس لك أرض ولا مال (وقال) أبو العتاهية

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور سكت
وأرتك قبرك في القبو * روأنت حي لم تمت
ياشامتا بمنيتي * ان المنية لم تمت
ولربما انقلب الزما * ن فحل بالقوم الشمت

(وروى) ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجاة بثوبها بكى حتى رثى له (ثم قال)

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل
أرى علل الدنيا علي كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على ان لا يدوم خليل

(وقال) رضي الله عنه

افترعت كافتضضت وزنا ومعنى اه

ألا أيها الموت الذى ليس تاركى * أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم * كأنك تنحو نحوهم بدليل

(قيل) ولما نفض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بنى ضبة

أقول وقد فاضت دموعى حسرة * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الموت معتب

(وقال العتابى)

قلت للفرقدين والليل ملق * سود اكنافه على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن ان يفوت المنايا * وعراها قلائد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع * ثم صارا الغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للخلق طرا * دام طول البقاء للخلاق

وأنشدنى بعض الادباء

أسعدانى يا نخلتى حلوان * وارثيا لى من ريب هذا الزمان
واعلما ان بقيتما ان شخصا * سوف يأتيكما فتفترقان
فلعمرى لو ذقتما ألم الفر * قة ابكاكما الذى ابكانى

ولما سافر الرشيد الى طوس وعلت فى طريقه من حر أصابه فقال له الطبيب ما يبريك الا جمار النخل وكان نزوله قريبا من هاتين النخلتين فأمر بقطع جمار احدى النخلتين فلما مثل بين يديه أنشده بعض الجلساء هذه الابيات لبعض الشعراء فى هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتها ما أمرت بقطعها (ولما) مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك (وقال) بعض الحكماء من أصحابه كان الملك أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس نظمه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * فأنت اليوم أوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة وقال عبد الله

ابن المعتز

نسير الى الآجال فى كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا فانه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(ولما) دخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه (فقال) مالى أراكم تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتقولون مالا تدركون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح أملهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا (وروى) الجاحظ قال وجد مكتوبا على حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ما ترجو من أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت فى عملك زائد ولا الى أهلك عائد (وقال) مالك بن أنس رضى الله عنه بلغنى ان امرأتين أتيتا عيسى ابن مريم عليه السلام فقالتا يا روح الله ادع الله ان يخرج أبانا فانه هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره فقالتا نعم فذهب معهما فأتيا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله فاخرج لهما الذى به فاذا هو ليس به فدعا فرد ثم دلتاه على قبر آخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو به فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبى الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه لنا فقال وكيف أدعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وأنشد بعض الادباء

وا أسفى من فراق قوم * هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسى * والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالى * حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

(وروى) ان النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد فمرا بشجرة فقال عدى بن زيد أيها الملك أتدرى ماتقول هذه الشجرة قال لا قال فانها تقول

من رآنا فليحدث نفسه * انه موف على قرب زوال
فصروف الدهر لاتبقى لها * ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم * وجياد الخيل تجرى بالجلال
عمروا الدهر بعيش حسن * آمنى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذاك الدهر حالا بعد حال

(قال) ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدى أتدرى ماتقول هذه المقبرة قال لا قال فانها تقول

أيها الركب المخبونا * على الارض المجدونا
كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت عظتى فجزاك الله عنى خيرا فما السبيل الذى تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال وفى هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة الاوثان وتنصر حينئذ وأخذ فى العبادة والاجتهاد (وقال) عبد الله المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرويثة نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له منظر وهيئة فقال من يبغ حارسا من يبغ ساقيا فقلت دونك وهذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غير هذا قلنا لا فاطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد فأكله أكل جائع فادركتنى عليه الرأفة فقمت اليه بطعام كثير طيب فقلت قد علمت انه لم يقع منك هذا القرص بموقع فدونك وهذا الطعام فنظر فى وجهى وتبسم وقال يا عبد الله انما هى ثورة

الرويثة مصغرا موضع بين الحرمين اه قاموس

جوع فما أبالى بأى شئ رددتها فرجعت عنه فقال لى رجل الى جنبى أتعرفه قلت لا قال انه من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فتفقد فما عرف له أثر ولا وقف له على خبر فاعجبنى قوله ثم تجمعت معه وآنسته وقلت له هل لك ان تعادانى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا الكان لى معدا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس بن عبد المطلب كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ وانى أمرت خادمة لى ان تحشو لى فراشا ومخدة من حرير بورد نثير ففعلت وانى لنائم واذا بقمع وردة قد أغفلته الخادمة فقمت اليها وأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى المنام فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك أبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول هذه الابيات

يا خد انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى (وقال) عبد الواحد بن زيد ذكر لى ان فى خرائب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها فى خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهى محلوقة الرأس فلما نظرت الى قالت من غير أن أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها بى ولم ترنى قبل ذلك فقالت ما الذى جاء بك ههنا قلت جئت لتعظينى فقالت واعجبا الواعظ يوعظ (ثم قالت) يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان فى كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الطاعة فيظل حيران والها فان كان له نصيب عند الله عاتبه وحيا فى سره فقال عبدى أردت ان أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى وأجعلك دليلا لاوليائى وأهل طاعتى فى أرضى فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتنى فأورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه أرجع لك

البذخ محركا الكبر فهو عطف مرادف اه

ما كنت تعرفه من نفسك (قال) ثم تركتني وولت عني وانصرفت عنها وفي قلبي حسرة منها (وأنشدوا)

انك في دار لها مدة * يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها * يقطع فيها أمل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهي * وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل

(ولما) نزل سعد بن أبي وقاص الحيرة قيل له ههنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من أجل عقائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها ألف قطيفة خز وديباج ومعها ألف وصيف ووصيفة فأرسل اليها سعد فجاءت كالشن البالي فقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يجبي الينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدد حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت ملأنا والدهر ذو نوائب وصروف فلو رأيتنا في أيامنا الارعدت فرائصك فرقا منا فقال لها سعد ما أنعم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا ثم أنشأت تقول

وبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

(ثم قالت) يا سعد انه لم يكن أهل بيت بخير الا والدهر يعقبهم حسرة حتى يأتي أمر الله على الفريقين فأكرمها سعد وامر بردها فلما أرادت القيام قالت يا سعد لا أزال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا نزع عن عبد صالح كرامة الا جعلك سبيلا الى ردها عليه (ولبعضهم)

من كان يعلم أن الموت مدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له سكنا * لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

الحرقة كهمزة اهـ

(وروى) ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصراف عيسى فأكل رغيفا فانصرف عيسى فقال أين الرغيف الثالث فقال ما كانا الارغيفين قال فراحا على وجوههما حتى مرا بظباء فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذبحاه فأكلا منه ثم قال عيسى عليه السلام للظبي قم باذن الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الارغيفين قال فضيا على وجوههما فرا بنهر عظيم عجاج فأخذ عيسى عليه السلام بيده فمشيا على الماء حتى جاوزا الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الارغيفين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عيسى عليه السلام اجل هذا مال واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال الرجل أنا صاحب الرغيف فقال عيسى هى لك كلها ففارقه فأقام عندها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الثلاث لبنات فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا منها بطعام فذهب فقال أحد الباقين للآخر تعال نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا فقال الآخر نعم وقال الذى ذهب أجعل فى الطعام سما فاقتلهما وآخذ اللبن ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا من الطعام الذى جاء به فماتا فمر بهم عيسى وهم حولها مطروحون فقال هكذا تفعل الدنيا بأهلها (وقال) عبد الملك ابن عمير رأيت فى هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ثوبين مصبوغين بين يدى ابن زياد ثم رأيت راس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير بين يدى عبد الملك بن مروان (وقال) الاصمعى لما زخرف الرشيد مجالسه وتحزم

قوله تحزم من أحزم الرأى أتقنه اه

فيها

فيها وزوّقها وصنع فيها صنائع كثيرة أرسل الى أبي العتاهية وقال صف لنا ماتحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش مابدالك آمنا * فى ظل شاهقة القصور
يسعى اليك بما اشتهيـ * ـت لدى الرواح وفى البكور
واذا النفوس تقعقعت * فى ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا * ماكنت الافى غرور

فبكى هارون فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هارون دعه فانه رآنا فى ضلالة وعمى فكره ان يزيد ناعمى (وروى) ان سليمان بن عبد الملك لبس أفخر ثيابه ومس أطيب مالديه ونظر فى مرآة فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لابقاء للانسان
ليس فيما بدالنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فان

فاعرض بوجهه ثم خرج وصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد ثم ركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى ما يسمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذى قلت لى فى صحن الدار وأنا خارج قالت ما رأيتك ولا قلت لك شيئا وأنى لى بالخروج الى صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الى نفسى ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو فى قبره رحمه الله تعالى ووجد مكتوبا على قصر سيف بن ذى يزن

من كان لايطأ التراب برجله * وطئ التراب بصفحة الخد
من كان بينك فى التراب وبينه * شبران كان كفاية البعد
لو بعثرت للناس أطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال) الهيثم بن عدى وجدوا غارا فى جبل لبنان فى زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب

الحشرجة الغرغرة عند الموت اه

مكتوب فيه بالرومية أنا سباني انوس بن سبا خدمت عيصو بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرب الديان الاكبر وعشت بعده عمرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبابه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة سينزلوني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويتأمر الصبيان ويكثر الحدثان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (وروى) ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة ملوك وبادوا فقال هل بقي من نسل الملوك الذين ملكوا هذه المدينة أحد قالوا رجل يكون في المقابر فدعا به وقال ما دعاك الى لزوم المقابر قال أردت ان أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك ان تتبعني فاحيي بك شرف آبائك ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يغيره مكروه قال ما أقدر على هذا قال فانفذ لشانك وخلني أطلب بغيتي ممن هي عنده (قال) الاسكندر وهذا أحكم من رأيت (وروى) في الاسرائيليات ان عيسى ابن مريم عليه السلام بينما هو في بعض سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فأمرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوام بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولد لي ألف ذكر وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار وافتتحت ألف مدينة فمن رآني فلا يغتر بالدنيا فما كانت الا كحلم نائم فبكى عيسى عليه السلام (ووجد) مكتوبا على قصر بعض الملوك وقد باد أهله واقفرت ساحته هذه الابيات

هذي منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الحلم والكرم

(وقال) عبد الله بن أبي سرح نزل حي من أحياء العرب شعبا من شعاب اليمن فتشاحوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صائح يصيح يا هؤلاء على رسلكم

علام القتال فى تنوالله لقد ملكنى سبعون أعور كلهم اسمه عمرو *(فصل)*
(يا أيها الرجل) اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف بسطت لهم الدنيا وأنسئت لهم الاجال وأفسح لهم فى المنا والآمال وأمدّوا بالآلات والعدد والاموال كيف طحنهم بكلكله المنون واختدعهم بزخرفه الدهر الخؤن واسكنوا بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العين أثرا والملك خبرا فاما اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقى كدره فالموت تحفة لكل مسلم كأن الخير أصبح خاملا والشر أصبح ناضرا وكأن الغى أصبح ضاحكا وأدبر الرشد باكيا وكأن العدل أصبح غائرا وأصبح الجور عاليا وكأن العلم أصبح مدفونا والجهل منشورا وكأن اللؤم أصبح باسقا والكرم ذاويا وكأن الود أصبح مقطوعا والبغض موصولا وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين ونوجى بها الاشرار وكأن الخبث أصبح مستيقظا والوفاء نائما وكأن الكذب أصبح مثمرا والصدق قاحلا وكأن الاشرار أصبحوا يسامون السماء وأصبح الاخيار يردون بطن الارض اماترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزوّد من يومك لغدك ولا تنافس أهل الدنيا فى خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم (قال الشاعر)

رب مغروس يعاش به * عدمته عين مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

(وقال التهامى)

تنافس فى الدنيا غرورا وانما * قصارى غناها ان يؤل الى الفقر
وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يجرى

قوله قاحلا أى يابسا جلده على عظمه اه

(ولبعض الشعراء)

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت * ويحدث من بعد الامور أمور
وتجرى الليالى باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن أن الدهر باق سروره * فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا * وأيقن أن الدائرات تدور

(وقال) وهب بن منبه قرأت فى بعض كتب الانبياء عليهم السلام ان المسيح عليه السلام اجتاز بجمجمة هائلة عظيمة نخرة فقال له أصحابه يا روح الله لو سألت الله تعالى أن ينطق هذه الجمجمة فعسى أن تخبرنا بما رأته من العجائب ففعل فأنطقها الله تعالى فقالت يا روح الله انى عشت ألف سنة واستولدت ألف ذكر وافتتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف جبار وصحبت الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم أر شيئا أشد من طالح يلى أمر صالح ولم أجد لهذا الدهر شيئا أنفع من الصبر ومسالمة أهله ولم أر هلاك أهله الا فى الحرص والطمع ووجدت العز فى الرضى بالقسم (وقال) محمد بن أبى العتاهية آخر شعر قاله فى مرض موته

الهى لا تعذبنى فانى * مقر بالذى قد كان منى
فمالى حيلة الا رجائى * وعفوك ان عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى الخطايا * وأنت على ذو فضل ومنّ
اذا فكرت فى قدمى عليها * عضضت أناملى وقرعت سنى
أجن لزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول دهرى بالتمنى
وبين يدى ميقات عظيم * كأنى قد دعيت له كأنى
ولو أنى صدقت الزهد فيها * قلبت لاهلها ظهر المجنّ

(وقال) ابن عباس رضى الله عنهما لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست أنساه بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يعظ الناس ويقول أيها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فعوا

واذا وعيتم فقولوا واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور اقسم قس قسما بالله قسم حق لا كذب فيه ولا اثم لئن كان فى الارض رضى ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا على حالهم فناموا أيكم يروى شعره فانشدوه

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الاصاغر والا كابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا * ان البيوت هى المقابر
أيقنت انى لا محالة * حيث صار القوم صائر

(ثم قال) رجل لقد رأيت من أمره عجبا اقتحمت واديا فاذا أنا بعين خرارة وروضة مدهامّة وشجرة عادية واذا قس بن ساعدة قاعد فى أصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال نح حتى يشرب الذى ورد قبلك (فلما) رأيت ذلك ذعرت ذعرا شديدا فالتفت الى وقال لا تخف فالتفت فاذا أنا بقبرين بينهما مسجد فقلت ماهذان القبران فقال هما قبرا اخوى كانا يعبدان الله تعالى معى فى هذا الموضع وأنا أعبد الله بينهما حتى ألحق بهما فقلت له أفلا تلحق بقومك فتكون فى خيرتهم فقال ثكلتك أمك أوما علمت ان ولد اسماعيل تركت دين أبيها واتبعت الاضداد وعظمت الانداد ثم تركنى وأقبل على القبرين (وقال)

خليلى هبا طالما قد رقدتما * أجدكما ماتقضيان كراكما
أرى النوم بين العظم والجلد منكما * كأن الذى يسقى العقار سقاكما

مدهامّة اى سوداء لشدة خضرتها اه

الولد بفتحتين يطلق على الذكر والانثى والمثنى والمجموع كما فى المصباح اه

ألم تعلما انى بسمعان مفرد * ومالى فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا * طوال الليالى أو يجيب صداكما
لا بكيكما طول الحياة وما الذى * يرد على ذى غصة ان بكاكما
كانكما والموت أقرب غائب * بروحى فى قبريكما قد أتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسى ان تكون فداكما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكنيكما

(وفى الحديث) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان قس بن ساعدة يبعث أمة وحده يعنى ان كل أمة آمنت برسولها تبعث أمة وحده الا يخالطها غيرها ويبعث قس أيضا وحده أمة لا يخالطه أحد (وروى) ان المهدى نام يوما فأنشد فى منامه هذه الابيات

كانى بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى بليل معولات ثواكله

فما أتت عليه عاشرة عشرة حتى مات (وأنشدنا) القاضى أبو العباس الجرجانى رحمه الله بالبصرة هذه الابيات

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا فى جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب
اعمل وكن طالبا للرزق فى دعة * فلا وربك ما الأرزاق بالطلب

(وأنشدنى أيضا)

أيها الرافع البناء رويدا * لن تذود المنون عنك المبانى
ان هذا البناء يبقى وتفنى * كل شئ أبقى من الانسان

(وقال) الحكيم بن عمرو قال أبو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم انى ارتكبت الامور العظام جراءة منى عليك فانك تعلم انى قد أطعتك فى أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله الا الله منا منك لا منا عليك (وكان) سبب احرامه من الخضراء أنه كان ذات يوم نائما فأتاه آت فى منامه فقال

عميد كامير يطلق كاهنا على سيد القوم ١٢

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * الى تربة تسفي عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا من نومه ثم نام فانشد أيضا هذه الابيات

أباجعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد واقع
فهل كاهن أعددته أو منجم * أباجعفر عنك المنية دافع

(فقال) ياربيع ائتني بطهوري فقام واغتسل ولبى وتجهز للحج ثم قال ياربيع ألقني في حرم الله تعالى (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون
زم الامور فاعطته مقاودها * وسخر الناس بالتشديد واللين
حتى اذا ظن ان لاشئ غالبه * ومكنت قدماه أى تمكين
راحت عليه المنايا روحة تركت * ذا الملك والعز تحت الماء والطين

(وأنشدني) أبو محمد التيمي ببغداد

لمن أبني لمن أسم المطايا * لمن استأنف الشئ الجديدا
اذا ماصار اخواني رفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
أعانق معشرا لهم شكول * وأشكالي قد اعتنقوا اللحودا

(وممن) زهد في الدنيا وأبصر عيوبها من ابناء الملوك أبو عقال علوان بن الحسن من بني الاغلب وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا فاق نظراءه فرفض المال والاهل وهجر النساء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا أربى فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوة وكان عالما أديبا قد صحب عدة من أصحاب سحنون وسمع منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى أبا هارون الاندلسي منقطعا متبتلا الى الله فلم ير منه كبير اجتهاد في العمل فبينا أبو عقال يتهجد في بعض الليالي وأبو هارون نائم اذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وأنا أسهر الليل كله فلو

أرحت نفسي فوضع جنبه فرأى فى منامه شخصا فتلى عليه أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء الى آخر الآية فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ أبا هارون وقال له سألتك بالله هل أتيت كبيرة قط قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال أبو عقال لهذا تنام ولا يصلح لمثلي الا الكد والاجتهاد ثم رحل الى مكة ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وأربى على عباد المشرق (وكان) يعمل بالقربة على ظهره لقوته ومات بمكة وهو ساجد فى صلاة الفريضة بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصحبه يوما الى اليك حاجة فقال بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كانت لك شهوة اخبرني بها قال نعم اشتهي ان آكل رأسا فاشتريت له رأسين ولففتهما فى رقاق وجئته بهما ثم سألته بعد ذلك بأيام هل طاب لك الرأسان قال لا ماهوالان فتحتهما فاذاهما محشوان دود اليس فيهما لحم البتة الا الدود فأتيت الرواس فاخبرته فأطرق متعجبا ثم قال ما كنت أظن ان فى زماننا أحدا يحتمي من الحرام هذه الحماية تلك الرؤس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم أعطاني رأسين من غير تلك الغنم فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما واخبرته بما قاله الرواس فبكى ثم قال يارب ما كان يستحق عبدك أبو عقال مثل هذه الحماية ولكنه يارب فضلك وكرمك فلك على يارب ان لا آكل طعاما اشهوه واشتهيه حتى القاك ان شاء الله وكانت له أخت متعبدة فلما مات لحقت قبره بمكة وكتبت عليه هذه الابيات

ليت شعري ما الذى عاينته * بعد دوم الصوم مع نفي الوسن
مع عزوب النفس عن أوطارها * والتخلي عن حبيب وسكن
ياشقيقا ليس فى وجدي به * علة تمنعني من أن أجن
وكاتبلي وجوه فى الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميما ألف سنة فأخذني خزاف واتخذني خزفا ثم أخذني وضربني لبنا وأنا

فى هذا الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم تتنازعا فى هذه الارض (ولبعضهم)

ألا حىّ من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضا المرء يوما وليلة * تقاضاه شئ لا يمل التقاضيا
حنتك الليالى بعدما كنت مدة * سوىّ العصا لوكن يبقين باقيا

(ومن) أعجب ما روى فى الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت فى الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فتفقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها أثر وكان هناك دير للمتعبدين فلحق بهم شاب يتعبد فاصر وامنه الاجتهاد والجد فى العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال مما فاق به جميع من فى الدير وأقام على ذلك ماشاء الله الى ان انقضت أيامه ووافاه حمامه وقضى الفتى نحبه فحزن عليه أهل الدير من الزهاد والعباد والمنقطعين وأذروا عليه الدموع ثم أخذوا فى غسله فاذا هو امرأة ففحصوا عن أمره فاذا هى بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما وتشاوروا فى أمره باذا يحدثون له من الكرامة ثم أجمع رأيهم على ان لا يدفنوه تحت الثرى وان يحملوه فوق أكفهم فغسلوه وكفنوه وجهزوه وصلوا عليه ثم أقبلوا يحملونه على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع فى الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بلى وتقطعت أوصاله مع طول الزمان فدفن حينئذ رحمه الله (وكان) فى بلاد الروم مما يلى أرض الاندلس رجل نصرانى قد بلغ من التخلى عن الدنيا مبلغا عظيما واعتزل الخلق ولزم قلل الجبال والسياحة فى الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين ابن هود فى بعض الامر فأكرمه ابن هود ثم أخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن أمواله وما حوته من البيضاء والصفراء وأحجار الياقوت والجواهر وأمثالها ونفائس الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكراع والسلاح فأقام على ذلك أياما فلما انقضى قال له كيف رأيت ملكى قال رأيت ملكا ولكنه تعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها تم انتظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك شبه لا شئ قال وما هى الخصلة قال تعمد

فتصنع غطاء عظيما حصينا قويا وتكون مساحته قدر البلد ثم تركبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله او يقدر البشر على مثل هذا فقال العلج يا هذا أفتفتخر بأمر تتركه غدا (ومثال) من يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه فى النوم (وروى) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظروا من عاب منه شيئا فأصلحوه واعطوه درهمين فأتاه رجل فقال ان فى هذا القصر عيبين قال وماهما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن) عجائب اخبار الخضر عليه السلام قال سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رأيته فى الدنيا فى طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعك القفار والفلوات فقال أعجب مارأيت انى مررت على مدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة فقال سبحان الله مايذكر أباؤنا وأجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فاذا هى خاوية على عروشها لم أر أحدا أسأله عنها واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى كانت ههنا فقالوا سبحان الله مايذكر أباؤنا ولا أجدادنا ان ههنا قط كانت مدينة فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله مايذكر أباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والبردى والسباع حولها واذا صيادون يصيدون السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقال سبحان الله مايذكر أباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم أتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالته الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقال سبحان الله مايذكر أباؤنا

ولا

ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم رأيت راعيا فسألته أين المدينة التى كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما نذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فى الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها الى يوم التناد شعر

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا * عن أهلها أو ناطقا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(وسمعت بالعراق منشدا ينشد هذه الابيات)

أيها الربع الذى قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
ولقد نادى مناديهم بنا * رحلوا واستودعونى عبرا

(ومما استحسن فى هذا الباب قول القائل)

رب ورقاء هتوف فى الضحى * ذات شجو وصدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها * وبكاها ربما أرقنى
فاذا تسعدنى أسعدها * واذا أسعدها تسعدنى
ولقد تشكو فما أفهمها * ولقد أشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها * وهى أيضا بالجوى تعرفنى

(ونظر) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيده وأتقنه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد (ولما) ثقل عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى بيده ثوبا فقال وددت انى كنت غسالا لا أعيش الا بما اكتسبه يوما فيوما فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله

الذى جعلهم عند الموت يتمنون مانحن فيه ولا نتمنى عند ماهم فيه (وقال) الرسول عليه الصلاة والسلام اللهم انى أعوذبك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا الاغنى مطغيا أوفقرا منسيا أومرضا مفسدا أوهرما مفندا أوالدجال فالدجال شرغائب ينتظر أوالساعة فالساعة أدهى وأمر (وقال) عيسى ابن مريم عليه السلام أوحى الله تعالى الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مرّى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وهذا الحرف يروى بكسر الميم من المرارة (وقال) مورق العجلى ابن آدم فى كل يوم تؤتى رزقك وأنت تحزن وينقضى عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك فلا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل فى أسفله السم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت الزعاف وكأحلام النائم التى تفرحه فى منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذى يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه فى الظلام مقيما وكدودة الابريسم التى لا تزداد الابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا (وفيه قيل)

الوشيك السريع وزنا ومعنى اه

كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(ومثال) من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الاخرى مثال رجلين لقطا من الارض حبتى عنب فأما أحدهما فجعل يمص الحبة التذاذا بهائم بلعها وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فاذا الذى زرع الحبة قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الآخر فى صنعه بالحبة

فوجدها

فوجدها قد صارت عذرة ليس عنده منها الا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه (وقال) وهب بن منبه رضى الله عنه أوحى الله تعالى الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل ان أردت ان تسكن معى فى حضيرة القدس فكن فى الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الوحدانى الذى يظل فى الارض الفلاة ويأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل آوى وحده ولم يأو مع الطير استئناسا بربه (ولبعضهم)

كم للحوادث من صروف عجائب * ونوائب موصولة بنوائب
ولقد تقطع من شبابك وانقضى * ما لست أحسبه اليك بآيب
تبغى من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب

(قال) مالك بن أنس رضى الله عنه بلغنى ان عيسى ابن مريم عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت أنهارها وتشعث شجرها فنادى يا خرب اين أهلك فلم يجبه أحد ثم نادى يا خرب أين أهلك فنودى عيسى ابن مريم بادوا وتضمنتهم الارض وعادت أعمالهم قلائد فى رقابهم الى يوم القيامة عيسى ابن مريم فجدّ (قال) مالك سئلت امرأة من بقية قوم عاد فقال لها هريمة أىّ عذاب الله رأيت أشدّ قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله أو رحمته على ليلة لا ريح فيها ولقد رأيت العير تحملها الرياح بين السماء والارض (وقال) مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب وان كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرى فى خده (ومرّ) بعض الملوك ببقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك أوما تعرفنى فقال لا ولكن أرى فيك طبع الدواب فانها تركض برجلها فغضب وقال أتقول لى مثل هذا وأنت عبدى فقال له بقراط بل أنت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهواتك قد ملكتك وأنا ملكت الشهوات قال فأنا الملك بن الاملاك السادة أملك من البلاد كذا ومن الاموال كذا ومن الرجال كذا فقال أراك تفتخر علىّ بما ليس من نفسك

وانما سبيلك ان تفتخر بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا مما فى هذا النهر ونتكلم فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا (وها أنا) أحكى لك أمرا أصابنى طيش عقلى و بلبل حزمى وقطع نياط قلبى فلايزال مرآة لى حتى يوارينى التراب وذلك انى كنت يوما بالعراق وأنا أشرب ماء فقال لى صاحب لى وكان له عقل يافلان لعل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء قدكان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخارى ان أخذ تراب القبر فصيره خزفا وشواه بالنار فانتظم كوزا كما ترى وصار آنية يمتهن ويستخدم بعدما كان بشرا سويا يأكل و يشرب وينعم ويلتذ و يطرب فاذا الذى قاله من الجائزات فان الانسان اذا مات عاد ترابا كما كان فى النشأة الاولى ثم قد يتفق أن يحفر لحده و يعجن بالماء ترابه فيتخذ منه آنية تمتهن فى البيوت أولبنة تبنى فى الجدار أو يطين به سطح البيت أو يفرش فى الدار فيوطأ بالاقدام أو يجعل طينا على الجدار وقد يجوز ان تغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة فترعى البهائم أوراقها و يأكل الانسان ثمرتها فينبت منها لحمه و ينشز منها عظمه أو تأكل تلك الثمرات الحشرات والبهائم فبينما كان يقتات صار قوتا و بينما كان يأكل صار مأكولا ثم يعود فى بطن الارض رجيعا يقذف به فى بيت الرحاضة أو بعرا ينبذ بالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان تسفى الريح ترابه فتتفرق أجزاءه فى بطون الاودية والتلول والوهاد أليس فى هذا ما أذهب العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الاهلين والاموال واللحوق بقلال الجبال والانس بالوحوش حتى يأتى أمر الله على الفريقين أليس فى هذا ما صغر الدنيا ومافيها أليس فى هذا ما حقر الملك عنده من عظمه والمال عند من جمعه أليس فى هذا ما زهد فى اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) معشر كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا وليس من أجله انكم لو أبصرتم الاجل ومسيره لأبغضتم الامل وغروره (ولما) بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك

الاندلس

الاندلس قصره وأنفق فيه بيوت أمواله فجاء على أكمل بنيان فى الارض وكان من عجائبه انه صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسيق الماء من تحت الارض حتى علا الى رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون وكان الماء ينزل من أعلا القبة حوالها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمأمون قاعد فيها (فروى) عنه انه بينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد هذه الابيات

أتبنى بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه (ووجد) مكتوبا على قصر قد باد أهله واقفرت منازله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

(وللشريف الرضى)

ولقد مررت على ديارهم * وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى عج من تعب * نضوى وضج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذ خفيت * عنها الطلول تلفت القلب

النضو الثوب الخلق اه مصباح

(ولو قيل) للدنيا صفى نفسك ما تعدت هذا البيت وهو

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وروى) ان الحجاج قال فى خطبته أيها الناس ان ما بقى من الدنيا أشبه بما مضى من الماء ولو أعطيت ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه ما قبلته فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا ولابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لى خلا مكرما مؤثرا وقد حضرنى من أمر الله تعالى ما ترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبنى عليك ولا استطيع ان أنفس كربك ولكن ها أنا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم يقول

قوله بض اى سال قليلا قليلا اه

للثانى قد كنت عندى أثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله تعالى ماترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله تعالى غلبنى عليك ولا استطيع ان أنفس كربك ولكن سأقوم عليك فى مرضك فاذامت انقيت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك ويقول للثالث قد نزل بى من أمر الله تعالى ماترى وأنت أهون الثلاثة على فماذا عندك فيقول انى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبدا قال النبى صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثانى أهله والثالث عمله (والساقى) ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب لقاءك فعظنى فقرأ الحسن أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أباسعيد لقد وعظت أحسن موعظة واعجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك فى قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت كل ليلة ويحيا واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما هو خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لايدرى مايفعل به (وروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم عليه السلام قال جماع الخير كله فى اربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة بينك وبين الناس (فأما) التى لى فأن تعبدنى لا تشرك بى شيئا (واما) التى لك فاعمل ماشئت فانى أجزيك به (وأما) التى بينى وبينك فعليك الدعاء وعلىّ الاجابة (وأما) التى بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام آوتينا ما آوتى الناس ومالم يؤتوا وعلمنا ماعلم الناس ومالم يعلموا فلم نجد شيئا أفضل من خشية الله تعالى فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضى والغضب والقصد فى الغنى والفقر (وكتب) معاوية الى عائشة رضى الله عنها ان اكتبى الى بكتاب توصينى فيه ولا تكثرى علىّ فكتبت اليه عائشة سلام

عليك

عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم عليا رضى الله عنه أدخل منزله فاعترته غشية ثم افاق ودعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال له أما سمعت ما أوصيت به اخويك قال بلى قال فانى اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه سيفكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان ان أباه كان يحبه فأحباه ثم قال له يا بنى أوصيك بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضى والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضى عن الله فى الشدة والرخاء يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية يا بنى من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن كشف حجاب أخيه انكشفت عورات بيته ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بنى الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحدة فى ترك مجالسة السفهاء يا بنى زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بنى لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا معقل احرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية الحرص

مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك الندم بئس
الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه وحبه
وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروى) ان
عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما طعن دعا بلبن فشرب منه فخرج من طعنته
فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت انى أخرج
منها كفافا كما دخلت فيها والوان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس
وغربت لافتديت به من هول المطلع (قال) ابن عمر ولما احتضر عمر غشى
عليه فأخذت رأسه فوضعته فى حجرى فقال ضع رأسى بالارض لعل الله
يرحمنى فمسح خديه من التراب وقال ويل لعمر وويل لامه ان لم يغفر له
فقلت وهل حجرى والارض الا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسى بالارض لا أم
لك كما آمرك فاذا قضيت فاسرعوا بى الى حفرتى فانما هو خير تقدمون اليه
أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له وما يبكيك قال خبر السماء
لا أدرى الى جنة ينطلق بى أو الى نار (ولما) حضرت عمر بن عبد العزيز
الوفاة قال اللهم انك أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت وانعمت على
فافضلت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا انى أشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قضى نحبه
(ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله
فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم
عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له (ودخل) على المأمون
فى مرضه الذى مات فيه فاذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط
عليه الرماد وهو راقد عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من
يزول ملكه (وروى) ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه مر على طائر واقع
على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير وتقع على الشجر وتأكل من الثمر
وليس عليك حساب ولا عقاب ياليتنى كنت مثلك والله لوددت انى شجرة
الى جنب الطريق فمر على بعير فأخذنى فلاكنى ثم ازدردنى ثم أخرجنى بعرا

ولم

ولم أك بشرا (وقال) عاصم بن عبيد الله أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة من الارض فقال ياليتني مثل هذه التبنة ياليتني لم تلدني أمي ياليتني كنت نسيا منسيا (وقال) ابن مسعود وددت اني طائر في منكبي ريش (وسمع) رجلا يقول ياليتني كنت من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود ياليتني اذا مت لم أبعث (وقال) عمران بن الحصين وددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف (وقال) أبو الدرداء ياليتني كنت شجرة تعضد ويؤكل ثمري ولم أك بشرا (وروى) ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة فاذا هو بقبر قال قبر من هذا قالوا قبر خباب بن الأرت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى في جسمه آخرا ألا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ثم مضى فاذا قبور فجاء حتى وقف عليها فقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى (ثم) قال يا أهل القبور اما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى أصحابه فقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى

(الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والوزراء والسلاطين)

(دخل) الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فأقبل عليه فقال مه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول واتصال من الدخول فالمكثر منها قد أطرق والمقل منها قد أملق وبلغ به المخنق فان رأى أمير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الدخول ويداوي المحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ويزيل اللأواء ألا وان السيد من يعم ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى

قوله اقتحمته أي احتقرته اه الجفلى محركة والاجفلى أي جماعتهم والنقرى محركة الدعوة الخاصة اه

انى أحسن اليه شكر وان أسيئ اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية هاهنا يا أبا بحر ثم قرأ والتعرفنهم فى لحن القول (وقال) سفيان الثورى لما حج المهدى قال لا بد لى من سفيان فوضعوا لى المرصد حول البيت فأخذونى بالليل فلما مثلت بين يديه أدنانى ثم قال لاى شئ لا تأتينا فنستشيرك فى أمورنا فما أمرتنا من شئ صرنا اليه وما نهيتنا من شئ انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت فى سفرك هذا قال لا أدرى لى أمناء ووكلاء قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدى الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حج قال لغلامه كم أنفقنا فى سفرتنا هذه فقال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارا فقال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال) الزهرى ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك قال ماهن قال لا تعد أحدا عدة وأنت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقى سهلا اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال جزاء فاحذر العواقب وللدهر ثورات فكن على حذر (ولما) دخل ابن السماك على هارون قال له عظنى فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته فى عباده غيرك فلا ترض من نفسك الا مارضى به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته فى مهلة من أجله كان خليقا ان يعتق نفسه يا أمير المؤمنين من اذاقته الدنيا حلاوتها بركونه منه اليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها يا أمير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم على جنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على حالة نادم مشغول ولا تخلف الا مفتونا مغرورا وانك واياناالفى دار سفر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له تكلم يا أبا حازم فقال بم أتكلم فقال فى الخروج من هذا الامر

قال يسيران أنت فعلته قال وماذاك قال لاتأخذ الاشياء الامن حلها ولا تضعها الا فى أهلها قال ومن يقوى على ذاك قال من قلده الله من الامر ماقلدك قال عظنى ياأباحازم قال ياأمير المؤمنين ان هذا الامر لم يصر اليك الابموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ماصار اليك ثم قال ياأمير المؤمنين نزه ربك فى عظمته عن أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك ياأمير المؤمنين انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر فاختر لنفسك أيهما شئت قال فمالك لاتأتينا قال وما أصنع باتيانك ان أدنيتنى فتنتنى وان أقصيتنى أحزنتنى وليس عندى ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له قال فارفع الى حوائجك قال قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما أعطانى منها قبلت ومامنعنى منها رضيت يقول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فمن ذا الذى يستطيع أن ينقص من كثير ماقسم الله أو يزيد فى قليل ماقسم الله قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال له أبوحازم اسكت فان الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له ياأمير المؤمنين والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى (وقال) الفضل بن الربيع حج هارون الرشيد فبينما أنا نائم ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فاذا هو أمير المؤمنين فقلت ياأمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال ويحك قد حاك فى نفسى شئ لايخرجه الاعالم انظر لى رجلا أسأله فقلت له ههنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال ياأمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال خذ لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال عليك دين قال نعم فقال ياعباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه نسأله فأتيناه

فقرعنا عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال عليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أوما عليك طاعته أوليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفى فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله قال فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى فقال خذ لما جئناك له يرحمك الله فقال وفيم جئت حطبت على نفسك وجميع من معك حطبوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم ان يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت وانى لأقول لك هذا وأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هارون بكاء شديدا

قوله حطبت أى خلطت اه

حتى غشي عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت
وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني ان
عاملا لعمر بن عبد العزيز شكى اليه فكتب اليه عمر يا أخي اذكر سهر أهل
النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما أو يقظانا
واياك ان تزل قدمك عن هذه السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع
الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال عمر ما أقدمك
فقال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله تعالى فبكى
هارون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي
صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله أمّرني على امارة فقال له صلى
الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان
الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون أميرا فافعل
فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه
أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا
الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى
هارون بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه
فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال
انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا أمرني ان أصدق وعده
وأطيع أمره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم
من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال
له هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك
فقال سبحان الله أنا أدلك على سبيل النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك
الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هارون اذا
دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروى) ان
امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت يا هذا أما ترى ما نحن فيه من ضيق

المحال فلو قبلت هذا المال لفرجت به عنا فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه موتوا يا أهلي جوعا ولا تذبحوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال قال فدخلنا عليه فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب على السطح فجلس هارون الى جانبه فجعل يكلمه وهو لا يجيبه فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شيبه المنصور فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوق شكرك شكرا (ودخل) عمرو بن عبيد على المنصور فقرأ والفجر وليال عشر حتى بلغ ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا أمير المؤمنين فان بأبوابك نارا تأجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك أما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان بن مجالد اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال عمرو ويحك يا ابن مجالد أما كفاك انك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا (وقال) الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دماء المسلمين وشق أبشارهم ونهب أموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا عن غير عمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قلوب رعيتك يا أمير المؤمنين لو ان ثوبا من النار صب على ما في الارض لاحرقه فكيف بمن

يتقمصه ولوان ذنوبا من النار صب على ما في الارض لاحرقه فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه (ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسطت يداه بالقدرة فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق (وروى) ان اعرابيا قام بين يدى هشام بن عبد الملك فقال له أيها الامير أتت على الناس سنون ثلاثة أما الاولى فأكلت اللحم وأما الثانية فأذابت الشحم وأما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول أموال فان كانت لله فاقسمها بين عباد الله وان كانت لهم فلم تحظرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للاعرابي بمال فقال أكل المسلمين له مثل هذا المال قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين (وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنك كثرة من تخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال حاجتك فقال عاملك باذربيجان أخذ مني اثني عشر ألف درهم فقال اكتبوها له حتى ترد عليه (ولما دخل) زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى الى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا أمير المؤمنين والله لو ان كل شعرة منك قطعت ما بلغت كنه ما أنت فيه فاعمل لنفسك في الخروج مما أنت فيه يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم ألد قال سيئ الحالة قال فان كان له خصمان ألدان قال اسوء الحالة قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه عيش قال فوالله ما من أحد من أمة محمد الا وهو خصمك فبكى حتى تمنيت ان لا أكون قلت له ذلك (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها خرج الناس بما ربحوا فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم

فكم من قوم غرهم مثل الذى أصبحت فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم يأخذوا من الدنيا للآخرة فأخذ مالهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم (فانظر) الى الذى تحب ان يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه وانظر الذى تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو رواجها عندك يا أمير المؤمنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدى بعض الملوك فأغلظ له السلطان فقال له الرجل انما أنت كالسماء اذا ارعدت وابرقت فقد قرب خيرها فسكن غضبه وأحسن اليه (ولما) احتاج المنصور بن أبى عامر ملك الاندلس ان يأخذ ارضا محبسة ويعاوض عنها خيرا منها استحضر الفقهاء الى قصره فأفتوا بأنه لا يجوز فغضب السلطان وارسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلى أموال الناس يا آكلى أموال اليتامى ظلما يا شهود الزور وآخذى الرشا وملقنى الخصوم وملقحى الشرور وملبسى الامور وملتمسى الروايات لدى اتباع الشهوات تبا لكم ولآرائكم فهو اعزه الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم لامانتكم مغض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم فى حاجة مرة واحدة فى دهره فلم تشفعوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم وافحش عليهم بهذا ونحوه فأجابه شيخ منهم ضعيف الهمة فقال نتوب الى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الاقالة فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان جلدا صارما فقال للمتكلم مم نتوب يا شيخ السوء نحن برآء من متابك (ثم) اقبل على الوزير فقال يا وزير بئس المبلغ أنت وكل ما نسبته الينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمته فأنتم الذين تأكلون أموال اليتامى بالباطل وتستحلون ظلمهم بالاخافة وتنتجون معايشكم بالرشا والمصانعة وتبغون فى الارض بغير الحق وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة ولا يقولها لنا الا متهم فى الديانة

حيويه كنمرويه اه

فنحن

فنحن أعلام الهدى ومسرج الظلمة بنا يتحصن الاسلام ويفرق بين
الحلال والحرام وتنفذ الاحكام وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق
وتحقن الدماء وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا أمير المؤمنين بشئ
لاذنب فيه لنا وقال بالغيظ ماقاله تأنيت بالاغنار رسالته بأهون من
الفاشك وعرضت لنا بانكاره ففهمناه منك وأجبناك عنه بما يصلح
الجواب له وكنت تزين على السلطان ولا تفشى سره ولا تحيينا بما
استقبلتنابه فنحن نعلم ان أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأى فينا
ولا يعتقد هذا المعتقد فى صفاتنا وانه سيراجع بصيرته فى ايثارنا وتعزيزنا
ولو كان عنده على هذه الحالة التى وصفتها عنا والعياذ بالله تعالى من ذلك
لبطل عليه كل ماصنعه وعقده من أول خلافته الى هذا الوقت فلا يثبت له
كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة
ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا
منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم فدخلوا
القصر فتلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا اليهم
مما كان من صاحبهم وقالوا لهم ان أمير المؤمنين يعتذر اليكم من فرط
موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته التى حملته على
الجفاء عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان منه اليكم وهو مستبصر فى
تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمر لكل واحد منكم بما ترون من
صلته وكسوته علامة لرضاه عنكم فدعواله وقبضوا ما أمر لهم به
وانصرفوا غالبين لم يمسسهم سوء (ولما) نظر مالك بن دينار الى المهلب
ابن أبى صفرة يجر اذياله ويتبختر فى اثواب خيلائه ناداه ان ارفع من
ثيابك فقال له المهلب اوما تعرفنى قال له مالك بلى انى اعرفك اولك نطفة
مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة (ويروى)
ان رجلا قال لعبيد الله العمرى هذا هارون الرشيد فى الطواف قد اخلى
له المسعى فقال له لا جزاك الله عنى خيرا كلفتنى امرا كنت عنه غنيا ثم جاء

الموجدة الغضب اه

اليه فقال يا هارون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من خلق الله تعالى قال لا يحصيهم الا الله قال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسئل عن خاصة نفسه وانت وحدك تسئل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرف في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرف في مال المسلمين فيقال ان هارون كان يقول بعد ذلك اني احب ان احج في كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبد الله العمري (ويروى) ان الحسن بن محمد بن الحسين دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال عمر إيه اهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة وجثى على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم منهم غلام للكلام وكان حديث السن فقال عمر لينطق من هو أسن منك فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الامر يا أمير المؤمنين بالسنّ لكان في الامّة من هو أحق منك بمجلسك هذا فقال عمر صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة وقد أتيناك لمنّ الله الذي منّ علينا بك لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد أتتنا منك في بلادنا وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فقال له عمر عظني يا غلام فقال أصلح الله أمير المؤمنين ان ناسا غرّهم حلم الله عليهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم أقدامهم فهووا في النار فلا يغرنك حلم الله عليك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه الامة ثم سكت فسأل الامام عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن

المرزئة المصيبة اه

احدى

احدى عشرة سنة ثم سأل عن نسبه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتمثل عمر عند ذلك بقول الشاعر

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وفي) مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي بما لبس مالك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع المرء أدبه وعقله لا حليته وحلته لحي الله امرأ يرضى ان ترفعه هيئته وجماله لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه وقلبه ويعلو به اكبراه همته ولبه (ولما) دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا رأي وعقل احتقرته عينه لدمامته فقال لأن تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ثم قال ضمرة أبيت اللعن ان القوم ليسوا بجزر تجزرون وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان فأعجب المنذر بكلامه (وروى) ان روح بن زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك واذا هم براع فدعاه الى الطعام فأبى وقال اني صائم فقال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال أفأدع ايامي تذهب باطلا فقال له روح لقد ضننت بأيامك يا راعي اذ جاد بها روح بن زنباع (وروى) ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا امير المؤمنين اني مكلمك كلاما فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي فقال اني سأطلق لساني بما خرست به الالسن تحق الله وتحق امانتك انه قد اكتنفك رجال اساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فأعظم الناس غبنا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت فقد نصحت وارجو ان الله يعين على ما قلدنا وقد جردت لسانك وهو سيفك فقال اجل يا امير المؤمنين وهو لك

لاعليك (وقال) ابن أبي العروبة حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعى بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي وأساله عن بعض الامر (فنظر) نحو الجبل فاذا هو براع بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له ائت الامير فأتاه فقال له الحجاج اغسل يديك وتغدمعي فقال دعاني من هو خير منك فاجبته فقال من هو قال الله تعالى دعاني الى الصيام فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد حرا منه قال فافطر وصم غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية (ولما) حج هارون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن انس ان امير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (وقال) وهب بن منبه رضي الله عنه ان ملكا كان يفتن الناس ويحملهم على اكل لحم الخنزير فأتى برجل أفضل اهل زمانه واعظم الناس مكانه وهالهم امره فراودوه على اكل لحم الخنزير فرفق له صاحب شرطة الملك وقال له انا آتيك بجدي تذبحه مما يحل لك كله واذا دعا الملك بلحم الخنزير اتيتك به ففعل ثم اتى به الملك فدعا بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بلحم ذلك الجدي فأمر به الملك ان يأكله فأبى ان يأكله فجعل صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فأبى ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعك ان تأكله وهو اللحم الذي انت ذبحته اظننت اني جئتك بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكنني خفت ان يفتتن الناس بي فان أكرهوا على أكل لحم الخنزير قالوا قد أكله فلان فيستن بي فأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوّفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب

ولكن

ولكن خوّفنا قال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فاطرق عمر مليا ثم أفاق فقال يا كعب خوّفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فبكى عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خرّ على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب اني لا أسألك اليوم الا نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم يقول يا رب أمّتي أمّتي لا أسألك غيرها (واستأذن) ابن دهمان على بعض الامراء فحجبه ثم أذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك قد كان في يدي غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال بن أبي بردة أمير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه قال له بلال ماهذه الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع أنتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى وانما أنتم طوّلتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة (وأما) أنا فلما دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت سلام عليكم ورحمة الله فردّ السلام على نحو ما سلمت ردّا جميلا وأكرم اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه (فقلت) أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله سبحانه قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد أطوع لله منك وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت

من كان قبلك وهو خارج عن يديك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال الله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها السليمان بن داود عليهما السلام فسخرله الانس والجن والطير والشياطين والوحوش والبهائم وسخرله الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب فوالله ماعدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف (ثم أتممت) المجلس بأن قلت قد دورت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولدلى فيها غير هذه المملكة ثم أنشدت

والناس أكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(وكتب) حكيم الى حكيم انى سائلك عن ثلاثة أشياء ان أجبت عنها صرت لك تلميذا أى الناس أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبم تتلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان أولى الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون فى السلطان الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعوب مهموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له وتضيع أمور الناس اذا كان الرأى عند من لا يصله والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تلميذا له الى ان مات (وقال) يحيى بن سعيد حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر ابن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات

قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال أرى دنيا عريضة يأكل
بعضها بعضا وأنت المسئول عنها المأخوذ بها فبينما هو كذلك اذ طار
غراب من سرادق سليمان فى منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب فقال عمر ما أدرى ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال
اخبرنى قال هذا غراب طار من سرادقك فى منقاره كسرة أنت بها
مأخوذ وعنها مسئول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتجيئ
بالعجب قال أفلا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله
كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت
كيف يهنيه العيش قال لقد غشيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار
(ويروى) ان بلال بن أبى بردة خرج فى جنازة وهو أمير على البصرة فنظر
الى جماعة وقوفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف
معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع الينا الى القبر فجاء الوصيف
فأدى الرسالة الى مالك فصاح به مالك لا مالى اليه حاجة فاجيبه فيها فان
تكن له حاجة فليجئ الى حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه
الى حلقة مالك فلما دنا منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشى الى الحلقة حتى
جلس فلما رآه مالك بن دينار سكت فأطال السكوت فقال له بلال يا أبا
يحيى ذكرنا فقال نسيت شيأ فاذكركه قال له فحدثنا قال اما هذا فنعم
قدم علينا أمير من قبلك على البصرة فمات فدفناه فى هذه الجبانة ثم أتينا
بزنجى فدفناه الى جنبه فوالله ما أدرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه
وتعالى (فقال) بلال يا أبا يحيى أتدرى ما الذى جرأك علينا وما الذى
سكتنى عنك قال لا قال لانك لم تأخذ من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت
من دراهمنا شيئا ما اجترأت على هذه الجراءة فأفادنى هذا الحديث علما
ألا فاتقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن
شهاب ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال
حدثونا ان الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات

ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أقرب الى الله أم خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال انا أحدثك يا أمير المؤمنين بما لا شك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين هذا وعيد الله لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغرونا عن ديننا (وروى) زياد عن مالك بن أنس قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس فدخلا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه أنطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق عنا طويلا ثم رفع رأسه الى ابن طاوس فقال حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشدّ الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه فامسك أبو جعفر ساعة حتى اسودّ ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن ينتضح علي من دمه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فامسك عنه فقال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال) أحمد بن أبي الحواري سمعت رجلا يحدث عن ابن السماك قال بعث الى هارون فلما انتهيت الى باب القصر أخذ حرسيان بضبعي فأدخلاني فى دهليز القصر فلما انتهيت الى باب القاعة لقيني خصيان ضخمان فأخذاني من الحرسيين فأدخلاني فى قاعة القصر فانتهيت الى البهو الذى هو فيه فتلقاني خصيان دونهما فأخذاني فأدخلاني فى البهو فقال لهما هارون ارفقا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا أمير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدتني امي أتعب من يومي هذا فاتق الله فى خلقه واحفظ محمدا فى أمته وانصح لنفسك فى رعيتك فان لك مقاما

الضبع بالسكون العضد اه
البهو بفتح فسكون البيت أمام البيوت اه

بين

بين يدى الله تعالى أنت فيه أذل من مقامى هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من أخذ الله وسطواته على أهل المعصية كيت وكيت قال فاضطرب على فراشه حتى نزل الى مصلى بين يدى فراشه فقلت يا أمير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف لو رأيت ذل المعاينة قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى للخصيين أخرجاه فقد أبكى أمير المؤمنين (ثم) دخل مرة أخرى فقال له عظنى وأوجز فقال له يا أمير المؤمنين ان الذى أكرمك بما أكرمك به لحقيق عليك ان تحب ما أحبه وتبغض ما أبغضه فوالله لقد أحب الله دارا وأبغضتها وأبغض دارا وأحببتها فكأنما أردت خلاف ربك أو أردت سواه واعلم يا أمير المؤمنين ان الذى فى يديك لو بقى على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك فاتق الله فى خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم فى أمته (ودخل) هارون على بعض النساك فسلم عليه فقال وعليك السلام أيها الملك ثم قال له أيها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال نعم قال كذبت والله فى حبك اياه انك لو أحببته اذا ما عصيته ثم أنشد يقول

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك مضيع

(وروى) زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى والى المدينة احذر ان يأتى رجل غدا ليس له فى الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط من زوجتيهما وكما كانت زوجة نوح ولوط أولى بفرعون من زوجته من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه (وقال) بشر بن السرى بينما الحجاج جالسا فى الحجر اذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه قال اذا خرج من طوافه فائتنى به فلما فرغ أتاه به فقال ممن أنت

فقال من أهل اليمن قال أفلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال فأخبرني عنه قال لقد تركته أبيض بضا سمينا طويلا عريضا قال ويلك ليس عن هذا أسألك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فاجور السيرة وأخبث الطعم واعدى العداة على الله واحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويلك أوما علمت انه اخي قال بلى قال اذن اقتلك قال أما علمت ان الله ربي والله لهو أمنع لي منك أكثر منك لاخيك قال أجل ارسله ياغلام (وقال) الاصمعي حدثني رجل من أهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا بقريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن أبي ذئب قال أبو جعفر لابن أبي ذئب ما تقول في بني فلان قال اشرار من أهل بيت اشرار فقالوا سله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة فقال ما تقول في الحسن قال يأخذ بالاحب ويقضي بالهوى فقال الحسن والله يا أمير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال فما تقول في قال اعفني قال لابد ان تقول قال ان كان لابد فانك لا تعدل بين الرعية ولا تقسم بالسوية قال فتغير وجه أبي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل فقال طهرني بدمه يا أمير المؤمنين فقال له ابن أبي ذئب اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد أن لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك رزقت ابنا سميته الحافي العراق يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك انه لصوام لليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج (فقال) أبو جعفر أما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال برأي نفسه (ودخل) أبو النظر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له يا أبا النظر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ذا ترى قال أبو النظر لقد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت من أهله

البض الرقيق الجسد الممتلىء اه قاموس

(الباب الثالث فيما جاء فى الولاة والقضاة وما فى ذلك من الغرر والخطر)

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (جاء) فى التفسير من اتباع الهوى ان تحضر الخصمين بين يديك فتود أن يكون الحق للذى لك منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس كان الذى أصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أعز نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التى انزلها الله تعالى فى السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التى فيها بقاء الملك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ثم سمى المنصورين وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم أربع شرائط كما ترى فتى تضعضعت قواعدهم أو انتقض عليهم شئ من اطراف ممالكهم أوظهر عليهم عدو أو باغى فتنة أو حاسد نعمة أو اضطربت عليهم الامور أو رؤا اسباب الغير فليلجؤا الى الله تعالى ويستجيروا من سوء أقداره باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه وتعالى باقامة الميزان بالقسط الذى شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذى قامت به السموات والارض واظهار شرائع الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوى الخصاصة والفقراء المستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشئ من الشروط الاربع التى شرطت فى النصر (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على أهل

بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجعل النبى صلى الله عليه وسلم كل ناظر فى حق غيره راعيا له واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من بأكله فهو الهلاك كما قال الشاعر

و راعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الذئاب لها رعاه

(وروى) مسلم فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن امرئ يلى أمر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة (وقال) معقل بن يسار سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد استرعاه الله تعالى رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة (وقال) أبو ذر قلت أمرنى يارسول الله قال انها امانة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وادّى الذى عليه فيها (وروى) البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهة لهذا الامر حتى يقع فيه (وفى الحديث) من ولى من أمر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوّء مقعده من النار (وروى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم ان يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقذف على جسر جهنم فيأمر الله سبحانه وتعالى الجسر فينتفض به انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى العظام فترجع الى اماكنها ثم يسائله فان كان لله تعالى مطيعا اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان لله تعالى عاصيا خرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم اسمع

قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان إي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من سلب الله أنفه وألصق خده بالارض (وروى) ان العباس قال أمّرني يارسول الله فأصيب واستريش فقال له ياعباس ياعم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ألا أحدثكم عن الامارة أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروى) أبوداود في السنن قال جاء رجل فقال يارسول الله ان أبي عريف على الماء وانه يسألك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرفاء في النار (وروى) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر (وقال) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على رؤس الخلائق فان كان عدلا نجاه الله تعالى بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم يخرق به الصراط فما يلتقي قعر جهنم الا بحر وجهه (وروى) معاذ ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي لينزل في جهنم في مزلقة أبعد من عدن (وقالت) عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايودّ أنه لم يقض بين اثنين في تمرة (وروى) الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يارسول الله خرلي قال اقعد في بيتك (وفي الحديث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودّن أقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا أمراء على شيء فكم من متخوّض في مال الله ومال رسوله له النار غدا يوم القيامة (وفي الحديث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أمّتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم

قوله فقال عمر الخ أي ضرب بيده الخ استريش أي انتعش اه

وغال فى الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جيئ به يوم القيامة مغلولا نجاه عمله أو أهلكه (وقال) طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان لا أدرى قال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فما زال يبكى حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة ان تكون أمراء فجرة وقراء كذبة وأمناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل قضى بغير علم فهو فى النار ورجل قضى بعلم فجار فهو فى النار ورجل قضى بالحق فهو فى الجنة رواه بريد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلمانى يتخايرون اليه فى ألواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا (وتخاير) غلمان الى ابن عمر فجعل ينظر فى كتابتهم فقال هذا حكم ولا بدّ من النظر فيه (والمصنفون) يرسلون فى كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود فى سننه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قدّم للقضاء فقد ذبح بغير سكين (وفى أخبار القضاة) ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضى أبلغك قول النبى صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان أمور المسلمين ضائعة فى بلدنا فجئت تحرزها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أنى لا أطأ لك مجلسا ولا أؤدّى عندك شهادة أبدا (وروى) ان أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه قال فى بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله فى ملكه ورغبه فيما فى ايدى الناس وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره

الذى فى الجامع الصغير من ولى القضاء الخ اه
قوله نضب عمره وضحا ظله معناه مات اه

وضحا ظاله حاسبه الله فأشدّ حسابه وأقل عفوه (وذكر) السلطان اعرابى
فقال والله لئن عزوا فى الدنيا بالجور لقد ذلوا فى الآخرة بالعدل و بقليل
فان رضوا من كثير باق وانما يكون الندم حيث لا ينفع الندم (وقال) أبو
بكر بن أبى مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم
رجل فقالوا دلنا على الماء قال احلفوا لى ثلاثة وثلاثين يمينا انه لم يكن صرّافا
ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا ويروى ولا عرّافا وأنا أدلكم على الماء
فحلفوا له ثلاثة وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا اعونا على غسله قال
احلفوا لى ثلاثة وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم
قالوا تقدّم فصل عليه قال لا حتى تحلفوا لى أربعا وثلاثين يمينا كما تقدّم
فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يروا أحدا فكانوا يرون انه الخضر عليه
السلام (قال) ابن مسعود رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم أشدّ
الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى وامام ضلالة وممثل من
الممثلين (وقال) أبو ذر قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ستة أيام اعقل يا أباذر
ما أقول لك قال فلما كان فى اليوم السابع قال أوصيك بتقوى الله فى أمر سرك
وعلانيتك واذا أسأت فأحسن ولا تسألنّ أحدا وان سقط سوطك ولا تأوين
أمانة ولا تأوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا
فلا تتأمرن على اثنين ولا تلينّ مال يتيم (وروى) أبو ذر أيضا قال قلت
يا رسول الله ألا تستعملنى فضرب بيده على منكبى وقال يا أباذر انك ضعيف
وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدّى الذى
عليه فيها (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثنى
الى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لى بالقضاء فقال ان الله سبحانه وتعالى
هاد قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاوّل حتى تسمع كلام
الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف نهى

أباذر عن القضاء وأمر عليا به مع ما فيه من التغرير وما روى ان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد من حضرته وترك التيمن بمشاهدته وتعلم سننه وشرائع دينه والتخلق بأخلاقه وشيمه وأيهما أفضل المثول بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه أو القضاء في غيبته والبعد عنه (قلنا) انما نهى أباذر عن القضاء لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده في على رضى الله عنه من استجماع شرائط القضاء وقوته عليه الا تراه قال لابى ذر انى أراك ضعيفا ثم قال في آخره الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فاستدللنا بهذا على ان من استجمعت فيه شرائط القضاء وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت النهى ومما يعد ضعفا عن القضاء طلبه اياه اذا لم يدر عواقبه (وقد) وصف الله سبحانه المتسرعين الى الامانة بالجهل فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا أى ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة أمره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن مرتبة القضاء احدهما بفسقه وظلمه والآخر بجهله وقد عابت جهلة بنى اسرائيل طالوت فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وانه ليس من سبط المملكة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء فبين شروط الولاية والممالك وانها تفتقر الى العلم الذى به يحكم والى القوة التى بها تنفذ الاحكام دون ما ظنه بنوا اسرائيل وأما قولك أيهما أفضل القضاء في غيبته أو الحضور بين يديه والكون في حضرته فالجواب ان أوامره فرض يعصى بتركه والكون في حضرته مستحب بعد الهجرة ولا يعصى بتركه فعلمنا بهذا انه انما بعث عليا

المثول الانتصاب قائما وهو من باب قعد اهـ

قوله فقال لهم النبى الخ أى نبى زمانهم واسمه حزقيل كما فى الجلالين اهـ

للقضاء لانه أفضل من سكناه بحضرته لانه مبلغ عنه للخلائق شريعته التى بعثه الله بها فهو خليفته فى ذلك يدل على هذا انه أوجب الجنة لمن قضى بالحق

(الباب الرابع فى بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله ان لا يؤتاه احد من بعده ونفى البخل عنه)

فان قال لنا قائل اليس سليمان بن داود عليهما السلام قال هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله أحد بعده وكان ظاهره يؤذن بالبخل والكلام على هذه الآية من وجوه أحدها انه انما سأل هذا بعد أن سلبه الله تعالى ملكه ثم أعاده اليه فحين طلب الملك كان ملكا فكانه قال هذا الملك الذى جددته هبه لى على صفات لا أعصيك فيه فتسلبنى اياه وتعاقبنى يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لى وهب لى ملكا أى ملكا لا أعصيك فيه فتؤاخذنى والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب فكانه أجاب دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان أعطيت أجرت وان امسكت فلا تبعة عليك وهذا تخصيص لسليمان بن داود عليهما السلام لم يخص به أحد من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون (وأما) قوله تعالى لا ينبغى لاحد من بعدى فقال عطاء معناه لا أسلبه فى باقى عمرى فيصير لغيرى كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيطانا كالذى سلطته على وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فأجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية على نبوته وعلما على معجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرنا له الريح الى آخر الآية وقيل ان سليمان كان ملكه فى خاتمه ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغى لاحد من بعدى يعنى اجعل ملكى فى نفسى لا فى خاتمى حتى لا يملكه أحد غيرى فان ابليس لعنه الله

لما أخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس لعنه الله وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد ألقى عليه شبهه وقال عمرو بن عثمان المكى انما أراد به ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ماروى سليمان الشعبانى قال بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم سليمان وما آتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله تعالى حتى قبضه عز وجل وزاد غيره انما أراد ملك النفس وقهرها الثلاثة بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة وقال بعض الوعاظ انما أراد حتى أنتقم لآدم من ابليس وذريته حيث كان سببا لاخراجه وذريته من الجنة (وروى) البخارى فى صحيحه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فامكننى الله منه فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدى ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه لو أراد ابراز فضله جاز له ان ينبه على مكانته وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه واظهار الفضله فيجعل فى مكانته وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامر فى يد الخونة واللصوص ومن لا يؤدى الامانة ويعلم من نفسه أداء الامانة مع الكفاية جاز له ان ينبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من أصحاب الشافعى رضى الله عنه من كملت فيه آلات الاجتهاد وشروط القضاء جاز له أن ينبه السلطان على مكانه ويخطب خطبة للقضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر فى يد من لا يقوم به

(الباب الخامس فى فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا)

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعنى

لولا ان الله تعالى أقام السلطان فى الارض يدفع القوى عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوى الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين يعنى فى اقامة السلطان فى الارض فيأمن الناس به فيكون فضله على الظالم كف يده وفضله على المظلوم أمانه وكف يد الظالم عنه (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لاترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه (وروى) كثير بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه يرفعه قال لعمل الامام العادل فى رعيته يوما أفضل من عبادة العابد فى أهله مائة سنة أو خمسين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل فى بيته ستين سنة (وقال) مسروق لأن أقضى بالحق يوما أحب الىّ من ان أغزو سنة فى سبيل الله (وروى) ان سعد بن ابراهيم وأبا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صلواتك عمرك وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ماناله الرعية من الصلاح بصلاح السلطان (واعلم) أرشدك الله ان الانسان أعز جواهر الدنيا واعلاها قدرا وأشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الدنيا فهو اذا أعز أعلاق

الاعلاق بالفتح النفائس اه

الدنيا وأعمها نفعا وبركة ولذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم كان السلطان صلاح الدارين فأخلق بشخص يعم نفعه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه في البلاد عميما وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة الاترى ان الانبياء عليهم السلام أعم خلق الله تعالى نفعا فهم أجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من الظلمات الى النور وكذلك سلطان الله في الارض هو خليفة النبوة في اصلاح الخلائق ودعائهم الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم أودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل أو ملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على نحالة من حطام الدنيا يحبوك بها ولكن صيانة جمجمتك وحفظ حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم نفعا لك ان عقلت وليس لله في الارض سلطان الا وقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كما ان خيره يعم كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير الجائر رتبة لشر يرلان شره يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته واقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسلت السماء غياثها وأخرجت الارض بركاتها ونمت تجارتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم ودرت أرزاقهم ورخصت أسعارهم وامتلأت أوعيتهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعيرت المواعين وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام لكثرته

فناء كسكساء وما اتسع من أمام الدار اه

وذل

وذل بعد عزته وتماسكت على الناس مروآتهم وانحفظت عليهم أديانهم وبهذا تبين لك ان الوالى مأجور على مايتعاطاه من اقامة العدل ومأجور على مايتعاطاه الناس بسببه واذا جار السلطان انتشر الجور فى البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مروآتهم وفشت فيهم المعاصى وذهبت أماناتهم وتضعضعت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا البهرج فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غياثها ولم تخرج الارض زرعها ونباتها وقل فى أيديهم الحطام وقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت فيهم الأيمان الكاذبة والحيل فى البيع والخداع فى المعاملة والمكر والحيلة فى القضاء والاقتضاء ولا يمنعهم من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحياء فيظل أحدهم عاريا عن محاسن دينه متجردا عن جلباب مروءته واكثر همته قوت دنياه وأعظم مسراته أكله من هذا الحطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظهرها (قال) وهب بن منبه رضى الله عنه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزرع والضرع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك (وقال) عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفى هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد ابن هشام ان الرعية لتفسد بفساد الوالى وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثورى لابى جعفر المنصور انى لأعلم رجلا ان صلح صلحت الامة وان فسد فسدت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته مستخفيا بمكانه فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فتعجب الملك لذلك وحدثته نفسه

البهرج كجعفر الباطل اه

قوله تناجزوا أى تقاتلوا اه

يأخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك مابال حلابها انقص أرعت فى غير مرعاها بالامس قال لا ولكنى أظن أن ملكها هم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه وتعالى فى نفسه أن لا يأخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لاعدلن مابقيت (ومن) المشهور فى أرض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت بركتها فتاب السلطان وأخلص نيته لله أن لا يأخذها أبدا ثم أمرها فعصرت ملء القدح (وحدثنى) بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا لم يكن فى الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل فى ذلك العام شيئا ولا تمرة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة فى الناحية الغربية يجنى منها عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وقال) الشيخ رضى الله عنه وشهدت أنا بالاسكندرية والصيد فى الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يعلى كثرة يصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة الى يومنا هذا (وهكذا) يتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم فى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر (وروى) أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج وتلاقوا يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وأمثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح

وطعام فكان الناس يتحدثون فى الاطعمة الرفيعة ويتوسعون فى الانكحة والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك فى كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم يصوم من الشهر وأمثال ذلك

(الباب السادس فى ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح)

اعلموا أرشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة وقد يطرقه من الآفات ويحتوشه من الامور المهلكات ما يجب على كل ذى لب ان يستعيذ بالله مما حله ويشكره على ما عصمه لا يهدأ فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه الخلق فى شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير أهل بيته وإيالة ضيعته وتدبير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته وكلما رتق فتقا من حواشى مملكته انفتق آخر وكلما رم منها شعثا ارث آخر وكلما قمع عدوا أرصد له أعداء الى سائر ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماتهم ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستجباء الاموال ودفع المظالم ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحدة وانما برزأ من الدنيا قوته مثل ما برزأ آحاد الرعايا ثم يسأل غداة غد عن جميعهم ولا يسئلون عنه فيالله ويا للعجب من رجل يرضى ان ينال رغيفا ويحاسب منها على آلاف آلاف ويأكل فى معاء واحد ويحاسب على آلاف آلاف معاء ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف آلاف من الانفس وعلى هذا النمط فى جميع أحواله يحمل أثقالهم ويريح أسرارهم ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدفع مناويهم ومناصيهم ويعصى ربه فيهم ويخالف أمره ويرتكب نهيه من أجلهم ويقتحم جرائم جهنم على بصيرة منهم ثم يجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل بهذه المنزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكل ما ذكرته فى هذا الباب أحكمه النبى صلى الله

قوله ويحتوشه الخ من احتوش القوم بالصيد أحاطوا به وقوله وايالة ضيعته أى اصلاحها اه

برزأ أى يصيب اه

قوله مناويهم أى معاديهم ومناصيهم أى مزعجيهم بضم الميم فيهما ه

عليه وسلم فى كلمة فقال مالكم ولا أمرانى اليكم صفوا مرهم وعليهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الا كلة له العنا ولهم الهنا وله الحرارة ولهم القار طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد القوم أشقاهم (وفى الحديث) ساقى القوم آخرهم شربا (وكان) بعض سلاطين المغرب يسير يوما وبين يديه الوزراء اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيره أتريد أن أريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة وطائفة لادنيا ولا آخرة وطائفة دنيا بلا آخرة فقال وكيف ذلك أيها الملك فقال اما الذين لهم الدنيا والآخرة فهؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون أحدا وأما الذين لادنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم الدنيا بلا آخرة فانا وأنت وسائر السلاطين فحق على جميع الورى ان يمدوا السلطان بالمنا والمناصحات ويخصوه بالدعوات ويعينوه فى سائر المحاولات ويكونوا له أعينا ناظرة وأيدا باطشة وجننا واقية وألسنة ناطقة وقوادم تنهضه وقوائم تقله وهيهات منه السلامة وانى له بالسلامة (وعن) هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان الجنة والسلطان لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله حدثنى رجل له قدر قال أرسل الى السلطان أن طلق زوجتك وكان قد أرادها لبعض أصحابه فأبيت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لى ناصح منهم خذ الامر مقبلا فانه لا حيلة لك فان السلطان لا يخشى فى الدنيا عارا ولا فى الآخرة نارا ففارقتها (وروى) عن عبد الملك بن مروان انه لما ولى الخلافة أخذ المصحف ووضعه فى حجره ثم قال هذا فراق بينى وبينك (ولما) حج هارون الرشيد لقيه عبيد الله العمرى فى طوافه فقال له ياهارون قال لبيك ياعم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله قال اعلم أيها الرجل ان كل واحد منهم يسئل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسئل عن جميعهم فانظر كيف تكون فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له والله

الشرط كصرد الاعوان اهـ

ان الرجل ليسرف في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرف في مال المسلمين ويقال ان هارون كان يقول والله انى لاحب ان أحج في كل سنة ومايمنعنى الا رجل من ولد عمر يسمعنى ما أكره (وقال) مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن اغر ممن اغتر بى ياراعى السوء دفعت لك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها اعظاما تتقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

(الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض)

اعلموا ارشدكم الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله سبحانه وتعالى جبل الخلائق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان كمثل الحوت في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقر لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة (ولهذا) قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله في أهل الارض من حاجة (ومن) الحكم التى في اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه وتعالى ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة أمر العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وتدبيره ومافيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم أتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الارض (ولهذا) قال على بن أبى طالب أمران جليلان لا يصلح أحدهما الا بالتفرد ولا يصلح الآخر الا بالمشاركة وهما الملك والرأى فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأى بالانفراد به (ومثال) السلطان القاهر لرعيته ورعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله قيام من الناس يعالجون صنائعهم فبينما هم كذلك اذ طفئ السراج فقبضوا أيديهم في الوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش الهوام الخسيس

خشخش أى صوت

فدبت العقرب من مكمنها وفسقت الفأرة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطالت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهر الرعية كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء فى أهبها محقونة والحرم فى خدورهن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق والدعارة خامل فاذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم السلطان حولا فى كفة كان هرج الناس ساعة ارجح وأعظم من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفى زوال السلطان او ضعف شوكته سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبة (قال) الفضيل جور ستين سنة خير من هرج ساعة فلا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور أو فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى فى اصلاح السلطان وان تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها فان فى صلاحه صلاح العباد والبلاد وفى فساده فساد العباد والبلاد (وكان) العلماء يقولون ان استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه منه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم فأقيموا عذر السلطان بانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة واستئلاف الاعداء ورضاء الاولياء وقلة الناصح وكثرة المدلس والفاضح (وفى كتاب التاج) هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شئ وألباب السوقة مشغولة بما ليس بشئ والجاهل منهم يعذر نفسه عند ما هو عليه من الوشل ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت الحكماء من العجم لا توطنن الا ببلد فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

(الباب الثامن فى منافع السلطان ومضاره)

قالت

أهبها بفتحتين جمع اهاب وهو الجلد اهـ

الدعارة بالفتح الخبث اهـ

قوله العيارة رجل عيار كثير التطواف والحركة يخلى نفسه وهواها لا يروعها ولا يزجرها اهـ

قوله الوشل بالتحريك الضعف والافتقار والاحتياج اهـ

(قالت) حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سقيا الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافر ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرس سيوله فيهلك الناس والدواب والذخائر ويموج له البحر فتشتد بليته على أهله ولا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله فى الارض التى أحيى والنبات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر ان يعظموا نعمة ربهم ويشكرونها ويلغوا ذكر خواص الاذية التى دخلت على خواص الخلق (ومثاله) أيضا مثال الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها القاحا للثمرات وأرواحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها فتجرى بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها فى البحر أفلاكهم وقد تضر بكثير من الناس فى برهم وبحرهم وتخلص الى أنفسهم فيشكر بها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس فلا يخرجها ذلك عن منزلتها من قوام عماده وتمام نعمته (ومثاله أيضا) مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله تعالى حرهما وبردهما اصلاحا للحرث والنسل ونتاجا للانعام والثمر يجمعها البرد باذن الله تعالى ويخرجها الحر باذن الله تعالى فتصبح على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الأذى فى حرهما وبردهما وشمومهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الا الى الصلاح والخير وقد غمر صلاحهما أذيتهما (ومثاله أيضا) مثال الليل الذى جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له أخو الفقر ويسارع فيه أهل الدّعارة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام والحية وذوات السموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعمة الله عليهم به ولا يزرى صغير ضره بكبير نفعه (ومثاله أيضا) مثال النهار الذى جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وقد تكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشخوص والخصومات فيستريح الخلق منه الى الليل ثم يتبين للعباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من أمور الدنيا يكون

ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شئ يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صفوا من غير كدر وميسورها من غير عسير لكانت الدنيا هى الجنة التى لا تعب فيها ولا نصب قال الشاعر

لا ترج شيئا خالص نفعه * فالغيث لا يخلو من العيب

(الباب التاسع فى بيان معرفة منزلة السلطان من الرعية)

اعلموا أرشدكم الله ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة فقرت فى جميع اجزاء الجسد فأمن الجسد من التغيير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح وفسد مزاجها فيما يحيى الجسد فيسرى الى الحواس والجوارح فتصير الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر الى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان أيضا مثل النار ومثال الخلق مثل الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منها متأودا احتاج الى النار ليقام أوده ويعدل عوجه فان أفرط النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أوده وان قصر النار لم يكن الخشب قابلا للاعتدال فيبقى متأودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان فى أطواره ان أفرط أهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا (ومثاله أيضا) مثال عين خرارة فى أرض خوّارة فان حلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد أوصافه تخلج فى الارض فابتلعته صافيا صرفا ثم شربته عروق الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظ سوقها وفرعت أغصانها وامتدت أفنانها ثم أخرجت أوراقها وأبرزت ازهارها ثم قذفت ثمارها فجاءت على أتم طباعها كبرا وطعما ولونا ورائحة فتقوت بها العباد وأكلت حطامها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فأحرز كل منها قوته واستقام النظام وان كان فى حواشى الارض ما يدق عن الانبات والنفع ويكدى عن الزكاة والريع أو كان فيه من الشجر ما يندرج له وبقل

قوله خرارة الخور بالسكون المنخفض من الارض وقوله تخلج أى صار خليجا اه

قوله ويكدى من باب رمى قل خيره اه

ربعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع مافى قواه ولم يغادر ممكنا الا وافاه وان كان فى العين كدر أو فساد أو ملح شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعفت أغصانها وتغيرت أوراقها وقلت أزهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهى نزر قدرها ردى طعمها كاسف لونها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل مادخل عليهم من المنافع فى الاولى ولهذا قال الرسول عليه السلام ان الضب ليموت فى جحره هزالا من ظلم بنى آدم يعنى اذا كثرت المعاصى فى الارض حبست السماء غياثها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والدواب والحشرات

النزر الاحتقار اه

(الباب العاشر فى معرفة خصال ورد الشرع بها فيها انتظام الملك والدول)

وهى ثلاثة اللين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها ولا طالب لها (ولما علم) الله تعالى مافيهما من انتظام الملة واستقامة الامر نص عليها الله سبحانه ورسوله (اعلم) ان هذه الخصال من أساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم (اما) الالهية فقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر (وفى الآية) اشارتان (احداهما) ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسائه وأصحابه وأتباعه وحشمه وأخلق بخصلة تنفر الاولياء وتطمع الاعداء فقمن بكل سلطان رفضها والاحتراز من سوء مغبتها والتمكن كما قال الله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فجاء رجل فقال أيكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكئ فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد أجبتك (دل) الاثر على انه ما استأثر بشرف المجالس ولا بائنهم بزى ولا مقعد (وقد) يبلغ باللين مالا يبلغ

المغبة بفتح الميم والغين كالغب بالكسر عاقبة الشئ اه

بالغلظة (الاترى) ان الرياح تهول أصواتها فيتداخل لها الشجر وتنعطف الافنان والاغصان وفى الفرط تنكسر الاغصان والماء بلينه فى أصول الشجر يقلعها من أصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها فى جحرها ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانسان أحرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق فاذا أردت ان تنتقم ممن يسئ اليك فكافئه بكل كلمة سوء قالها كلمة جميلة وحسن ثناء عليه (والاشارة) الثانية انه قال وشاورهم فى الامر (فاذا قيل لنا) كيف يشاورهم وهو نبيهم واماههم وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا أمرا دونه (قلنا) هذا أدب أدب الله به نبيه عليه السلام وجعله مأدبة لسائر الملوك والامراء والسلاطين (لما) علم الله تعالى ما فى المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساهمته فى الامور فان نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولذى الامرة من أهل ملته الاترى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة فأمرهم بالنزول فقال له سعد يارسول الله ان كان هذا بأمرك فسمعا وطاعة وان يكن غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ارتحلوا (ومن) أقبح مايوصف به الرجال ملوكا كانوا أوسوقة الاستبداد بالرأى وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة بابا ان شاء الله تعالى (والخصلة الثالثة) ماروى البخارى ومسلم ان رجلا قال يارسول الله استعملنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لانستعمل على عملنا من أراده (والسر) فيه ان الولايات أمانات وتصريف فى أرواح الخلائق وأموالهم والتسرع إلى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد أ كلها فاذا أؤتمن خائن على موضع الامانات كان كمن استرعى الذئب على الغنم (ومن) هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والتشكى وذكروا سائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذى أنشدناه أولا

وراعي الشاء يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الذئاب لها رعاه

واذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالملح يصلح مايخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

(ولغيره) في مثل ذلك

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه * ماللفريسة لاتقع
عجل بها ياذا العلا * ان الفؤاد قد انقطع

(ومن) اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فحينئذ يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعد له الشرير بالمراصد ويخاصم عليه القوي ويقبح ثناؤه عند الجماعة ويتمنوا الراحة منه وينتظرون من يصلح لها سواه

(الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها)

(فأول) الخصال وأحقها بالرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول واس كل مملكة سواء كانت نبوية أو اصطلاحية (اعلم) ارشدك الله تعالى ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى ان كل الناس ليست تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فلو وسع الخلق العدل ماقرن به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله في الارض الذي به يؤخذ للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال ميزان الله الذي وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله (واعلم) أيها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فرأسه أنت وقلبه وزيرك ويداه أعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك ومابقي

جسد بلا روح واذا أردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم أبا ووسطهم أخا وصغيرهم ولدا فبر أباك وأكرم أخاك وارحم ولدك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته (واعلم) ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته (وفى منثور الحكم) سلطان جائر أربعين سنة خير من رعية مهملة ساعة واحدة من النهار اذا عدل الملك فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك فى الاعطاء وشرفها فى العفو وعزها فى العدل عدة السلطان ثلاثة مشاورة النصحاء وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل أفضل الازمنة أزمنة أئمة العدل (ثم) العدل ينقسم قسمين قسم الهى جاءت به الانبياء والرسل عليهم السلام عن الله تعالى والثانى ما يشبه العدل وهو السياسة الاصطلاحية التى هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وبعيد أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية فى حال ايمان أو كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك مما لا يمكن ولا يجوز (وقد) ذكرنا فى أول الكتاب ان سليمان بن داود سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال فى نفسه وددت ان يكون الحق لخاصتى فاقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه (فاجعل) العدل رأس سياستك تسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم لك جميع الشرائط التى تقوم بها المملكة (قال) على بن أبى طالب رضى الله عنه امام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم (وقال) ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك (واتفق) حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فاذا قوى الاساس قام البناء وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية

الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل أساسا لكل الولايات (وأما) العدل النبوى فأن يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الادلاء على الله والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (فاتخذ) أيها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدور المملكة بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق بملك يدور بين هاتين الخصلتين ان يقوم عموده ويطول أمده وكيف لا وقد قربهم الله فى سلطانه واصطفاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولى العلم وهم ورثة الانبياء عليهم السلام والموقعون عن الله تعالى (ان) الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففى تعظيمهم وتقريبهم امتثال لامر الله وتعظيم لمن أثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم عن من سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته وتوقيره فواجب على السلطان ان لا يقطع أمرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه فى ملك الله يحكم وفى شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته معه اليس اذا خالف واليه أمره ومارسمه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أوامره وازدجر عن زواجره حل منه محل الرضى فواعجبا لمن يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف سطوة ربه عليه اذا خالفه فهذا طريق اقامة العدل الشرعى والسياسة الاصطلاحية الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة لأزمة التدبير السالمة من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين وكما ان الملك الحازم لا يتم حزمه

الا بمشاورة الوزراء الاخيار كذلك لا يتم عدله الا باستفتاء العلماء الابرار (وقد) وقع المأمون فى قضية متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو اعمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفى اشاعة العدل قوة القلب وطيب النفس ولزوم اليقين وأمان من العدو (ولما) استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يجد عنده حاجبا ولا بوابا فقيل له هو فى المسجد فأتى المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كوما من الحصى ودرته بين يديه فقال له الهرمزان يا عمر عدلت فأمنت فنمت (وقال) الحسن بن على رايت عثمان رضى الله عنه وقد جمع الحصى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رأسه وقد وضع احدى جانبى ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه (وكتب) عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى الاصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور والسلام (وقالت الحكماء) من حرم العدل فلا خير له ولا للناس فى سلطانه (وقال) يحيى بن اكثم ماشيت المأمون فى بستان والشمس على يسارى والمأمون فى الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لى المأمون تحول مكانى وأنا أتحول مكانك حتى تكون فى الظل كما كنت وأقيك الشمس كما وقيتنى فان أول العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم على فتحولت (وكان) يقال ليس شئ أبعد من بقاء ملك الغاصب (وقيل) للاسكندر لوأ كثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيا ذكرك فقال انما يحيى الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء (وقال) الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له أحصن جنة ومن استشعر حلة العدل فقد استكمل رتبة الفضل (وقال) أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليسكتن الاصوات عن الله تعالى (وقال) الحكيم لا يزال السلطان ممهلا حتى يتخطى الى اركان العمارة ومبانى الشريعة فحينئذ يريح الله منه (وقالوا) لا تظلم الضعفاء فتكون من لئام الاقويا

وقال

(وقال) بعض الحكماء أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وغنى بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح (وقال) كسرى اتفقت ملوك العجم على أربع خصال ان الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأحق الناس باجبار نفسه على العدل الملوك الذين يعدلهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا أو فعلوا كان نافذا غير مردود (وقالت) الحكماء رم ماشئت بالانصاف وأنازعيم لك بالظفر به والظلم أدعى شئ الى تغيير نعمة أو تعجيل نقمة (وقال) الحكيم شر الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد ومتى أراد السلطان حسن الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل وان أحب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقم سوق العدل والذى يخلد به ذكر الملوك على غابر الدهور عدل واضح أو جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة

※(فصل)※ وأما القسم الثانى من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان أصلها على الجور فيقوم بها أمر الدنيا وكأنها تنشا كل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوائف فى أيام الفرس وكانوا كفارا بالله تعالى يعبدون النيران ويتبعون هواجس الشيطان فتواضعوا بينهم سننا وأسسوا لهم أحكاما وأقاموا لهم مراتب فى النصفة بين الرعايا واستجباء الخراجات وتوظيف المكوس على التجار كل ذلك بعقولهم على وجوه ما أنزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها من برهان بيد أنه لما جاءت الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما أقرته فى نصابه ومنها ما نسخته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى أمر الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محفوظا برعايتهم للقوانين المألوفة

بيد أى غير اه

بينهم فانقطع بذلك حبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب الحقوق ويتعاملون بها مالهم وعليهم (وعن) هذا كان يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرائط السياسة الاصطلاحية أبقى وأقوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية والجور المرتب أبقى من العدل المهمل اذ لاشئ أصلح للسلطان من ترتيب الامور ولاشئ أفسد له من اهمالها (واعلم) ان درهما يؤخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا أفسد لقلوبها من عشرة تؤخذ منها بسياسة على زمام معروف ورسم مألوف وان كان جورا (فلا يقوم) السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر الا باقامة العدل النبوى أو ما يشبهه من الترتيب الاصطلاحي (وقال) ابن المقفع الملوك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيهم بمنزلة الراضى وأما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر (ولقد) بلغنا ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فأصبح مسترجعا مهتما بأمور المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم فأمر مناديه ان لا يلبس أحد في مملكته ثوبا أحمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعى لم أمنع بصرى فكان كل من ظلم لبس ثوبا أحمر ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته (قال) شيخنا وأخبرنى أبو العباس الحجازى وكان ممن دخل الصين بسيرة عجيبة غريبة لملوكها في سياستهم وذلك ان للبيت الذى يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمناء للسلطان وحفظة فيأتى المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر بادخال المظلوم فكل من حرك تلك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى يدخل على السلطان

الخرق بضم فسكون ضد الرفق اه

(الباب الثانى عشر في التنصيص على الخصال التى زعم الملوك انها هدمت دولتهم وأزالت سلطانهم)

ايها

(أيها) الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا بأمور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك به قبل ان تصيبه عقوبتك والمحسن يستبشر بعلمك به قبل ان يأتيه ثوابك (وقال) أبو جعفر المنصور مازال أمر بني أمية مستقيما حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وأمنا لمكره فسلبهم الله تعالى العز ونقل عنهم النعمة (وقال) عبيد الله بن مروان ومروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في كورة بوصير لما زال ملكنا وهربت الى أرض النوبة فمن تبعني من أصحابي فسمع ملك النوبة بخبري فجاءني فقعد على الارض ولم يقعد على فراش افترشته فقلت له ألا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال لاني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباج والحرير وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا ديننا ولنا عبيد وأتباع فعلوا ذلك على كره منا فأطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وظلمتم في ما ملكتم فسلبكم الله تعالى العز بذنوبكم ولله فيكم نعمة لم تدرك غايتها وأخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلادي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلادي (وسئل) بزرجمهر ما بال ملك بني ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان وشدة الأركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال (وعن) هذا قالت الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة (وفي) الامثال زوال الدول باصطناع السفل (وقال) الشافعي رحمه الله أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه

واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (وسئل) بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذى سلبك ملكك قال باعطائنا من بطر وضعف ورفع عمل اليوم لغد (وسئل) بعض الملوك بعد ان سلبوا المملكة ما الذى سلب عزكم وهدم ملككم فقال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا فانفسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا وبطل اعطاؤنا عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصد ناعدونا فقل ناصرنا وكان أعظم مازال به ملكنا استتار الاخبار عنا (وقالت) الحكماء أسرع الخصال فى هدم السلطان وأعظمها فى افساده وتفريق الجمع عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة فمتى أعان بحب قبيلة فقد برئ من قبائل (وقديما) قيل المحاباة مفسدة (وقال) مهبوز الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغى ان يباعد ومباعدة من ينبغى ان يقرب وحينئذ حان أوان الغدر (وقيل) للملك بعد زوال ملكه ما الذى أذهب ملككم قال ثقتى بدولتى واستبدادى بمعرفتى واغفالى استشارتى واعجابى بشدتى واضاعتى الحيلة فى وقت حاجتى والتأنى عند عجلتى (ولما) أحيط بمروان الجعدى وهو آخر ملوك بنى أمية قال والهفاه على دولة مانصرت وكف ماظفرت ونعمة ماشكرت فقال له خادمه بسيل وكان من أشراف أولاد الروم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفى حتى يظهر أصابه مثل هذا (وسئل) بعض العلماء ما الذى ذهب بملك بنى مروان قال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد بن عمر كان يحب ان يضع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان مايرد عليه من أخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر بن سيار قال

أرى خلل الرماد وميض نار * فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
فقلت تعجبا يا ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام

(وكان) العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل أخبارهم الى بنى أمية حتى استفحل أمرهم وضعف أمر بنى أمية (وسئل) مروان بن محمد الجعدى وهو آخر ملوك بنى أمية ما الذى أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الاركان فقال الاستبداد برأيى لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت فى نفسى هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيهات ان ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان

(الباب الثالث عشر فى الصفات الذاتية التى زعم الحكماء انه لا يدوم معها مملكة)

ومن أعجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب (اعلموا) ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة تمنع من استماع النصح وقبول التأديب فالكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف وكل كبر ذكره الله تعالى فى القرآن فقرون بالشرك ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للعباس أنهاك عن الشرك بالله والكبر فانه يحتجب فى تعصب منهما (وقال) ازدشير بن بابك ما الكبر الافضل حمق لم يدر صاحبه أين يذهب به فصرفه الى الكبر (وقال) الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من ذلة يجدها فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه (قال الشاعر)

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة * ولكن كبرا ان يقال به كبر

(ونظر) أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت انى مثلك فى ظنك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة (وقالت) الحكماء وقد يدوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب أحمق ساد قبيلته منهم الاقرع بن حابس الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الاحمق المطاع

(وقالوا) لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة وأعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد فمنعهما من دخول الجنة (وقال) عز وجل سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق (وقال) بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول داؤه فى عينى الى أن تكبر عليه (واعلم) ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهته الحماة تطاولت اليه الاعداء (وأما) الاعجاب فيحمله على الاستبداد بالرأى وترك مشاورات الرجال (ومن) الصفات التى لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف (وقال) حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والجراءة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهب (وقالت) الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك (والكذب) أسقط الاخلاق وأغلب شئ على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه اضراوته (وقيل) لاعرابى لم لا تكذب قال لو تعززت به ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله استعذاب المنا وهو أضغاث فكر الحمقى (ومن) بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره واذا سمعت كذبة طائحة نسبت اليه (وقال الشاعر)

حسب الكذوب من المها * نة بعض ما يحكى عليه

فاذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

(وقال غيره)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو عادة السوء أو من قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

(ولآخر)

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقول * فحيلتى فيه قليلة

(ومما) روى ان قيصر ملك الروم كتب الى كسرى انوشروان فى آخر كتاب اخبرنى بم دام لك الملك فأجابه دام لى الملك بست خصال ماهزلنا فى أمر ولانهى وما كذبنا فى وعد ولاوعيد وماقابلنا الاعلى قدر الذنب لاعلى قدر غضبنا واستخدمنا ذوى العقول وولينا ذوى الاصول وفضلنا على الشباب الكهول فلماقرأها قيصر قام وقعد ثلاث مرات وقال يحق لمن كانت هذه سياسته ان تدوم له رياسته وقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله (وأما) الحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف أحدا واذاضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولاتصلح الناس الاعلى اشرافهم وقال الشاعر

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولاسراة اذاجهالهم سادوا

فوضى كسكرى اذا كانوا متساوين اه

(وأما) البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولاتصلح الولاية الابالمناصحة وليس للملك ان يبخل لان بيوت الاموال فى يديه (وأما) الجبن فانه اذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان جريشا غضوبا والقدرة من ورائه هلكت الرعية (وليس) للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته (ولما) دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير فكلمه بشئ أغضبه ضرب وجهه بالقضيب فأدماه فقال الاسقف ان شاء الامير أخبرته بما أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام فلا يغضب بعدها قال هات قال لاينبغى للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولاجائرا ومنه يلتمس العدل (وقال) الاوزاعى يهلك السلطان بالاعجاب والاحتجاب فأما الاعجاب فقدذكرناه وأما الاحتجاب فهو أدخل الخلال فى هدم السلطان وأسرعها خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قدمات لان الحجب موت حكمى فتعبث بطانته بأرواح الخلائق وحريمهم وأموالهم لان الظالم قد أمن ان لايصل المظلوم الى السلطان ومعظم مارأينا فى اعمارنا وسمعنا عن من سمعنا من

دخول المفاسد على الملوك فى حجبهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة (يا أيها) الملك المغرور المحتجب احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم جبالا مشيدة وحظائر بالحجارة والماء والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك حاجب ولا بواب قال الله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا (وقال) معاوية ليس بين ان يملك السلطان رعيته أو تملكه الا الحزم أو التوانى وكماله أمران شدة فى غير افراط ولين فى غير امتهان (وسئل) بزرجمهر أى الملوك أحزم فقال من ملك جده هزله وقهر لبه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده (وقال) بعض الحكماء زوال الدول فى اصطناع السفل ومن طال عدوانه زال سلطانه (وقالوا) من لم يستظهر باليقظة لم تنفعه الحفظة (وقال) يحيى بن خالد أحسن ما وجدت فى طراز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر فيالها حسنة غطت على سيئتين ويالها سيئة غطت على حسنتين

(الباب الرابع عشر فى الخصال المحمودة فى السلطان)

وقد اتفقت العلماء والحكماء عليها فقالوا أيها الملك ان قصرت قوتك عن عدوك فتخلق بالأخلاق الجميلة التى ليس لعدوك مثلها فانها أنكأ فيه من الغارة الشعواء (وقال) معاوية لصعصعة بن صوحان صف لى عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عادلا فى أقضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوى ولا جاف للقريب (قالوا) فالمنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والأمانة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب

الوحشة

الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمة والتوانى يوجب التضييع والجد يوجب رجاء الاعمال والهوينا توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبلين كنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق يجبر الخلل وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتؤدة يستحق اسم الكرم وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو أهلها المحبة والفظاظة تخلع صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة زارع البر يحصد السرور وصاحب العاقل مغبوط وصديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع واذا فضلت فاكتم واذا منعت فاجمل واذا أعطيت فأجزل واذا غضبت فاحلم من بدأك ببره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الرأى تبع للتجربة العقل أصله التثبت وثمرته السلامة والتوفيق أصله العقل وثمرته النجح والتوفيق والاجتهاد زوجان فالاجتهاد سبب والتوفيق ينجح بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والاعمال كلها تبع للقدور (واختار) العلماء أربع كلمات من أربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الحلم شرف والصبر

ظفر والمعروف كنز والجهل سفه والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله اصطناع المعروف يكسب الحمد اكرموا الجليس يعمر ناديكم انصفوا من أنفسكم يوثق بكم ايا كم والاخلاق الدنئة فانها تضيع الشرف وتهدم المجد نهنهة الجاهل أهون من جريرته رأس العشيرة يحمل اثقالها (وأجمعت) حكماء العرب والعجم على أربع كلمات قالوا لاتحمل قلبك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة وان طالت صحبتها ولا تثق بمال وان كثر

(الباب الخامس عشر في بيان ما يعزبه السلطان وهى الطاعة)

(قال) ملك فارس لموبذان موبذ ماشئ واحد يعزبه السلطان قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملة (وكان) يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه الرغبة والرهبة والمحبة والديانة (ولما) دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير قال له ياسعد ماصلاح الملك قال معدلة شائعة وهيبة وازعة ورعية طائعة فان المعدلة حياة الانام وفى الهيبة يضئ الظلام وفى طاعة الرعية التألف والالتئام طاعة الائمة فرض على الرعية طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته من اجلال الله اجلال السلطان عادلا كان أو جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين عصيان الائمة يهدم اركان الملة أولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته أهل الدين والنعم والمرؤات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقد السلامة وارفع منازل السعادة والطريقة المثلى والعروة الوثقى وقوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها وحرز لمن دخل فيها ليس للرعية ان تعترض على الائمة فى تدبيرها وان سوّلت لها أنفسها بل عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدّى

الفرائض

نهنهة عن الامر فتنهنه كفه وزجره وأصلها نهنهه والجريرة الذنب اه

الموبذان قاضى المجوس وموبذان موبذ قاضى القضاة كما فى الكنز المدفون للسيوطى اه

الفرائض وتحقن الدماء وتأمن السبل الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد أوجبها الله لمن خصه بفضلها وجعله أعلاها فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج عن الطاعة منقطع العصمة برئ من الذمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم والخروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى سلطان ليذلوه الا أذلهم الله قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة للرعية على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعى ما ليس بالراعى من الحاجة اليهم لولا الرعاة لهلكت الرعية ولولا المسيم لهلكت السوّام

(الباب السادس عشر فى ملاك أمور السلطان)

(قال) سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك (وقال) زياد ملاك السلطان ثلاثة أشياء الشدة على المذنب ومجازاة المحسن وصدق القول (ولما) غزا سابور ذو الاكتاف ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنوده وأفنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت وأخربت فاخبرنى ما الامر الذى تثبت به حتى قويت على ما أرى وبلغت فى السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما يضبط الامر مثله أديت اليك الخراج وصرت كبعض الرعية فى الطاعة لك فقال له سابور انى لم أزد فى السياسة على ثمان خصال لم أهزل فى أمر ولا نهى ولم أخلف فى وعد ولا وعيد ووليت أهل الكفاية وأثبت أهل النهى لا أهل الهوى وضربت للادب لا للغضب وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوت ومنعت

الفضول فأذعن له وأدّى اليه الخراج (وكتب) الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه انى أيقظت رأيي وأنمت هواى وأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفى لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى البطر والمسيئ فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب (وقال) أبو عبيدة اذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من ان يعرف ما فى نفسه متخيرا للوزراء مهيبا فى أنفس العامة مكافئا بحسن البلاء لا يخافه البرئ ولا يأمنه المجرم كان خليقا ببقاء ملكه

(الباب السابع عشر فى خير السلطان وشر السلطان)

أفضل الملوك من كان شركة بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحد أحق به من أحد لا يطمع القوى فى حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله (كان) النبى صلى الله عليه وسلم تاخذ بيده الامة من اماء المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى يقضى حاجتها (وفى) حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البرئ وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البرئ وأمنه المجرم (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار (وفى) حكم الهند أيضا شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان ما خافه البرى وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيفة حولها النسور وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير لهم من سلطان يخافها (وفى) الامثال العامّة رهبوت خير لك من رحموت (وكان) يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاثة من المفاقر جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة أذاعها وامرأة ان دخلت عليها السنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان أحسنت

لم يحمدك وان أسأت قتلك (وقال) رجل لبعض الحكماء متى أضل وأنا أعلم فقال اذا ملكتك أمراء ان أطعتهم أذلوك وان عصيتهم قتلوك (وقال) أبو حازم لسليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده أتى به (وفي) كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض (وسمع) زياد رجلا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان (وقال) معاوية لابن الكوى صف لي الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد (والمثل) السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك (وقال) بعض الحكماء ان أحق الناس من يحذر العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر (وقال) بزرجمهر أدوم التعب صحبة السلطان السيئ الخلق (وقال) بعض الحكماء اذا ابتليت بصحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت بين خيرتين ليس بينهما خيار اما الميل مع الوالي على الرعية وهو هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي وهو هلاك الدنيا فلا حيلة لك الا الموت أو الهرب منه (وقالوا) الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاخيار والاشرار ولا يضر أحدا والملك السوء مثل الجيفة يسرع اليها اشرار الحيوان ويتحاماها خيار الناس

النفاق بالفتح الرواج اه

الكوى كقمي اه

(الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن)

(روى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن معناه يدفع (وقال) كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضها الا ببعض (وقال) ازدشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حارس ومن لم يكن له أس فمهدوم ومن لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك وليكن من أهل العقل

(وكان) يقال الدين والسلطان توءمان

(الباب التاسع عشر في خصال جامعة لامر السلطان)

(قالوا) ظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته ونكوبه في حروبه على حسب جوره في عساكره واصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود (وقالوا) تاج الملك عفافه وحصنه انصافه وسلاحه كفاته وماله رعيته (وقالت) حكماء الهند لاظفر مع بغى ولاصحة مع نهم ولاثناء مع كبر ولاشرف مع سوء أدب ولابر مع شح ولااجتناب محرم مع حرص ولاولاية حكم مع عدم فقه ولاسودد مع انتقام ولاثبات ملك مع تهاون وجهالة وزارة (ولما) ولى أبو بكر رضى الله عنه خطب فقال أيها الناس انه لاأحد أقوى عندى من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولاأضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه (وقيل) للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء (وقال) بزرجمهر سوسوا أحرار الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة (وقال) الموبذان السياسة التى فيها صلاح الملك الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم فى غير مشقة وسد الفروج وأمن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم ولايحمل القوى على الضعيف (وقالوا) الوالى من الرعية كالروح من الجسد لاحياة له الابها وكالرأس من الجسد لابقاء له الابه وبعد الوالى من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد من البقاء بعد ذهاب الرأس والسلطان خليق ان يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوى النصيحة والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغى ان يحسد الولاة الاعلى حسن التدبير ولاان يكذب لان أحدا لايقدر على استكراهه ولاان يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الشر والندامة ولاان يبخل لانه أقل الناس خوفا من الفقر ولاان يحقد لان قدره جل عن المجازاة ولا ينبغى للوالى ان يستعمل سيفه فيما يكتفى فيه بالسوط ولاسوطه فيما يكتفى فيه بالحبس ولاحبسه فيما يكتفى فيه بالجفا والوعيد (وقال) معاوية انى لاأضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا

سوملى حيث يكفينى لسانى ولوان بينى و بين النـاس شـعرة ماانقطعت اذا مدّوها خليتها واذا خلوهامددتها (ونحو) هذا قول الشعبى كان معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالمشى لا يضع يده الاحيث تبصر عينه (و ينبغى) له ان يعلم رعيته انه لا يصاب خيره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغى له ان يدع تفقد لطيف أمور الرعية اتكالا على نظره فى جسيمها فان للطيف موقعا ينتفع به (وقد) آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد لان التهاون باليسير أساس الوقوع فى الكثير وقد قال الشاعر

لا تحقرن سببا * كم جرّ شرا سبب

(وقالوا) أصل الاشياء كلها شئ واحد ولا يدع مباشرة جسيم أمره فللجسيم موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير أبدا فيضع الكبير (وقال) زياد لحاجبه وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد سخنه فسد وصارخ الليل اشر دهاه وصاحب البريد فان التهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة (وكان) أبو العباس السفاح يقول لاستعملن اللين حتى لا ينفع الا الشدة ولا كثرن من الخاصة ما أمنتهم على العامة ولا غمدن سيفى حتى يسله الحق ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعا (وقال) ازدشير لما كمل ملكه وأباد أعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول كالصبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شئ أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بها صفحات حاله (وكان) عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين فى غير ضعف والقوة فى غير عنف (وقال) الاصمعى قال لى الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها وتكون لاغراضها الفقا ولمقاصدها وفقا تشرح المنبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا أمير المؤمنين دخل اكثم بن صيفى حكيم العرب على بعض الملوك فقال له انى سائلك عن أشياء لا تزال فى صدرى معتلجة وما تزال الشكوك عليها والجة فانبئنى بما عندك فيها

فقال أبيت اللعن سألت خبيرا واستنبأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندا قال فما المجد قال حمل المغارم وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاء فى الشدة والرخاء قال فما العز قال شدة العضد وثروة العدد قال فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل قال فما الغنى قال الرضى بما يكفى وقلة التمنى قال فما الرأى قال لب تعينه تجربة فقال له الملك أوربت زناد بصيرتى واذكيت نار خبرتى فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هى لك قال الاصمعى قال لى الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بثمانين ألفا (وكان) قس بن ساعدة يفد على قيصر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال فما أفضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما أفضل المروؤة قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحقوق

الهجمة بفتح فسكون من الابل أولها أربعون الى مازادت أو ما بين السبعين الى المائة أو الى مادونها اه قاموس

(الباب العشرون فى معرفة الخصال التى هى اركان السلطان)

(قال) أبو جعفر المنصور ما كان احوجنى ان يكون على بابى أربعة لا يكون على بابى أعف منهم قيل من هم يا أمير المؤمنين قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص قائمة واحدة عابه أحدهم قاض لا تأخذه فى الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والآخر صاحب خراج يستقضى ولا يظلم الرعية فانى غنى عن ظلمهم ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة أه أه قيل من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يصلح الوالى الا بأربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له أمر قوة على جمع المال من أبواب حله ووضعه فى حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

(الباب الحادى والعشرون فى حاجة السلطان الى العلم)

قال

(قال) ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان أكرموك لادب أو علم أو دين (اعلم) أرشدك الله ان أكثر الناس حاجة الى التفقه أكثرهم عيالا واتباعا وحشما وأصحابا والخلق مستمدون من السلطان الخلائق السنية والطرائق العلية مفتقرون اليه فى الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو أحوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص بلا علم كبلد بلا أهل وأفضل ما فى السلطان خصوصا وفى الناس عموما محبة العلم والتحلى به والشوق الى استماعه والتعظيم لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمية ومضاهاته للعالم العلوى وهو من أكد ما يتحبب به الى الرعية واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالدابة بلا رسن تمر فى غير طريق وقد تتلف ما تمر عليه (واعلم) ان زهرة الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحد من أهل الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسير الحكماء من السلطان (وانما) كان كذلك من وجهين (أحدهما) انه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطى حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع وفكر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يقدم اليها أهبتها (والثانى) ان من سواه من الناس لا يقدمون من يكثر عليهم ويعارضهم ويذكر لهم مساويهم ويخالفهم فى مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم ويعلمهم مراشدهم ومناظرة الاكفاء ومعاشرة النظراء تلقيح للعقول وتهذيب للنفوس وتدريب لأخذ الاحكام بخلاف السلطان

فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره ومبجل لشأنه وساتر لمساويه ومادح له بما ليس فيه وانما جوابهم له صدق الامير وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر علو الحائط يكون صوت الوجبة

(فصل) يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد دون ان يأمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدرا من ان يقبل أمر الله ولا ارفع خطرا من ان يتعلم حكم الله ولا أعلى شانا من ان يتصف بصفة من صفات الله ومن صفات الله تعالى العلم الذى وصف به نفسه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسى هو العلم والكراسى هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكى) ان ابراهيم بن المهدى دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه فقال ياعم ماعندك فيما يقول هؤلاء فقال ياأمير المؤمنين شغلونا فى الصغر واشتغلنا فى الكبر فقال المأمون لم لاتتعلم اليوم قال أو يحسن لمثلى طلب العلم قال نعم والله لأن تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا بالجهل قال ومتى يحسن طلب العلم قال ماحسنت بك الحياة (وروى) ان بعض الحكماء رأى شيخا يطلب العلم ويحب النظر فيه ويستحى فقال ياهذا أتستحى ان تكون فى آخر عمرك أفضل مما كنت فى أوله ولان الصغر أعذر وان لم يكن فى الجهل عذر (وفى) منثور الحكم جهل الشاب معذور وعلمه محقور فاما الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغر أفضل منه لان الامل فيه أقوى وحسبك نقيصة فى رجل يكون الصغر المساوى له فى الجهل أفضل منه وكل ماذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما يخص نفسه الواحدة فيفوت عليه تحصيل مايقومها به والملك

منتصب لسياسة أهل مملكته وتعليمهم وتقويم أودهم فهو الى العلم أحوج كما قال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما * عن الفضل فى الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها * ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا * الى كل ذى جهل كأن به جهلا
وما يألف الانسان الا شبيهه * كذلك رأينا العير قد يألف البغلا

(وقال) بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة علية عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين فى أقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما ظفر به قال هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا هذا وهو نبى الله وكليمه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته من جميع خلقه قد أوصاه ربه سبحانه وتعالى وعلمه كيف يستنزل ما فى خزائنه فقال وقل رب زدنى علما فلو كان فى خزائنه أشرف من العلم لنبهه عليه وهذا آدم عليه السلام لما فخرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها ارها وفخر آدم بالعلم فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعى السجود لحاملها ان يتنافس فيها كل ذى لب وهذا فصل الخطاب لمن تدبره (ولا) ينصبن لك عذر بما روى فى بعض الاخبار ومثل الذى يتعلم العلم فى صغره كالنقش على الحجر ومثل الذى يتعلم العلم فى كبره كالذى يكتب على الماء (وسمع) الاحنف رجلا يقول العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فقال الاحنف الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا ففحص عن المعنى ونبه على العلة (وقد) كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسلمون شيوخا وكهولا وأحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم بحور العلم وأطواد الحكم والفقه غير أن العلم فى الصغر أرسخ أصولا وأبسق فروعا وليس اذا لم يحوه كله يفته كله (قال) رجل لابى هريرة رضى الله عنه انى أريد أن أتعلم العلم وأخاف

قوله يوطده أى يثبته اهـ

أن أضيعه فقال أبو هريرة كفى بترك ماله تضييعا وبعض الخير خير من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت عبء الجهل مثل الحمال تحت حمل ثقيل فان هو كلما أعيى نقصه قليلا فيوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما أوشك ان يصرعه حمله فكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك ان يأتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر مافاته في الصغر فأوشك به أن يموت تحت عبء الجهل

(الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم وأهله)

(قال) كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى الجبانة فلما أصحرنا تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العلم دين يدان الله تعالى به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته مات خزنة الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أشخاصهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ان ههنا وأشار بيده الى صدره لعلما جما لو أصبت له حملة بل قد أصبت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله على كتابه أو كما قال وبنعمه على عباده أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ألا لاذا ولا ذاك أو مهموما باللذات سريع الانقياد للشهوات أو مغرى شأنه جمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم فكذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لن تخلو الارض من قائم لله تعالى بحججه لئلا تبطل حجج الله وبيناته ومن أولئك وأين أولئك

الاحناء بفتح الهمزة جمع حنو بفتح فسكون المتسع من بطون الارض اهـ

أولئك الاقلون عددا الاكثرون عند الله قدرا تحول الحكمة فى قلوبهم حتى يزرعوها فى قلوب أشباههم ويودعوها فى صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله فى بلاده وأمناؤه على عباده والدعاة الى دينه آه شوقا الى رؤيتهم

(الباب الثالث والعشرون فى العقل والدهاء والخبث والمكر)

(قد) ذكرت فى كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومحله وأحكامه بما لا مزيد عليه (ونذكر) هاهنا منافعه ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فمن كان فى طوقه ان يستدل بما شاهده على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك كمن نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت اركانه وجعل فيه من الآلات ما يكتفى به ساكنوه فاشرف عليه انسان فرأى بيوتا مقطوعة وأبوابا منصوبة وفرشا مفروشة وزرابى مبثوثة وموائد موضوعة وصحافا مصفوفة وأرائك منضودة وجالا مسدلة وطشوتا وأباريق وبيوت ماء ومياز يب تصب الماء وتحتها بلاليع لغيض الماء وطيقان للضياء الواقع ومداخن للدخان الخارج ومنافس للرياح والهواء الى سائر ما يستعده العقلاء للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر بما حواه صنعة قادر صانع عالم حى أو اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستقر فى عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه يفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال وانما كثرت لك هذه الامثلة لان ما فى الانسان من الاعضاء ولطيف الصنعة والعجائب أكثر مما فى القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى ما فى نفسه فرأى ما فيها من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصصه اما بجلب نفع أو دفع ضر فامعن نظره فى عضو واحد مثلا وهو

فيرى فى أوله اسنانا تشبه القوس تصلح للقطع وفى آخره طواحين مضرسة تصلح للطحن وشدقيه كانهما ثفال الرحى يمنعان ان ينهرق الطعام الى خارج ولسان يرد ما انفلت من الطعام اليه على الطواحين ثم يبلى ذلك بلعوم يبلع لازدراد هذا الطحين علم بأدنى تأمل ان هذه الخلقة ما انفعلت بنفسها اتفاقا بل هى مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لوذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهيمن فقال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول باثبات الصانع وتستغنى عن النظر فى الجواهر والاعراض فالعلم المفيد لاثبات الصانع فى الشاهد مثل البناء والنجار والخياط واشباههم بعد النظر فى صنائعهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند النظر فى حدث العالم على استدلال اعتبار للغائب بالشاهد اذلا فرق فى العقول بين صنعة وصنعة فى اقتضاء صانع وانما كان العلم فى الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يبنى والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم تر العقلاء القديم سبحانه وتعالى يخلق ويخترع وانما استفادوه من النظر فى الشاهد (فان) قيل فأى العلمين أقوى فى النفوس وأثبت فى العقول عند النظر فى السرير واقتضائه النجار أو العلم بالاله عند النظر فى السموات والارضين وما بينهما (فالجواب) ان هذا يستدعى تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فحينئذ يعلم ان معه عقلا غريزيا ونسميه عاقلا ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفى واذا ثبت هذا فاعلم ان الله تعالى خلق الخلق على أربعة أنحاء ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فأما الملائكة فعقول بلا شهوات ولا هوى وأما البهائم فشهوات بلا عقول وأما الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب فى بنى آدم العقل والهوى والشهوة فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقاتهم بالاخلاق المذمومة بالكبر

ثفال مثل كتاب جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق اه مصباح

والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فقطعت أوقاتها في شهوات البطن والفرج وأما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة واخلاق الشياطين وشهوات البهائم فمن غلب عقله هواه منهم فكانه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء والاصفياء وقليل ماهم وأما من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان كان ذلك من المباحات من المطاعم والمشارب والملابس والمراكب والنساء والخيل المسومة والانعام والحرث فأكل وتمتع بعد أن كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما ألحقناه بعالم البهائم لانه لا تكليف على البهائم وكذلك هذه المباحات لاحرج في الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبها من حله وان كان الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانا في خلائقه بهيمة في شهواته فلا يصلح للصحبة واذا ثبت هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من السيف

(فصل) وأما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي وهو ثقابة المعرفة واصابة الفكرة وليس له حد ينتهي اليه لانه ينمو اذا استعمل وينقص اذا أهمل (ونموه) يكون بأحد وجهين (اما) ان يقارنه من مبدأ النشو ذكاء وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني وأمتعني والله بفصاحته وملاحته أيسرك ان يكون لك مائة ألف درهم وانك أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يجني على حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى على حمقي استخرج هذا الصبي بفرط ذكائه مايدق على من هو أكبر منه سنا (وقيل) لبعض الصبيان اللك أب قال فكأني عيسى ابن مريم (وقد) قالت الحكماء آية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية الا ترى

ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه قال لابيه وهو طفل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا أبت تعلم ما مثلى ومثل أخى معك الا أنا كفرخ الحمام أقبح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحة وحسنا فتبنى له العلالى وتتخذ له المربعات وتستحسنه الملوك ومثل أخى مثل الجحش أملح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار الى القهقرى انما يصلح لحمل الزبل والتراب (والوجه) الثانى ما يصلح لذوى الحنكة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومرور العبر على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم أنواع الاخبار وآثار العبر (قال) بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة (وقالوا) التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك حمدت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار وينابيع الانوار لايطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم فعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حنكة وتجربة وقال الشاعر

ألم تران العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال الآخر)

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

(غير) أن للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى أبعد من أن تنفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو أغمض مسلكا فى الجنان من الروح فى الجثمان وأملك فى النفس من النفس والمالك للشئ (ولهذا) قيل كم من عاقل أسير عند هوى أمير فمن أحب ان يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما قال على بن الجهم

أنفس حرة ونحن عبيد * ان رق الهوى لرق شديد

(واختلف) الناس فى العقل المكتسب اذا تناهى وزاد فى الانسان هل يكون

الحنكة بضم فسكون معناه التجربة اه

فضيلة أم لا (فقال) معظم العقلاء انه فضيلة لانه اذن كان مجموع آحاد وللاحاد فضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة وأما الشئ المحدود تكون الزيادة فيه نقصا من المحدود كالتهور فى الشجاعة والتبذير فى الكرم (وأما) الزيادة فى العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن بما قد كان (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل الناس أعقل الناس (وقال) عليه السلام العقل حيث كان إلف مألوف (وقال) القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب الخصال عليه (ولما) مات بعض الخلفاء تخشخشت الروم واحتشدت واجتمعت ملوكها وقالوا الآن يستقل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة فيهم والوثبة عليهم وضربوا فى ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة النحر وكان رجل منهم من ذوى الرأى والمعرفة غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال غدا أخبركم ان شاء الله فلما أصبحوا غدوا عليه للوعد وقالوا القد وعدتنا قال نعم فأمر باحضار كلبين عظيمين قد أعدهما ثم حرش بينهما وألب كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل منه على الكلبين ذئبا عنده قد أعده فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فنالا منه ما أرادا ثم أقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم مالم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رايهم (وأما) المذموم فى هذا الباب صرف العقل الى الدهاء والمكر (قال) الشعبى دهاة العرب ستة معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن

قوله وألب بمعنى ما قبله اه

وقيل بدل الاخير عبد الله بن يزيد الخزاعى اه

بديل بن ورقا (قال) الاصمعى كان معاوية يقول انا للاناءة وعمرو للبداهة وزياد للصغار والكبار والمغيرة للامر العظيم (قال) قبيصة بن جابر مارأيت اعطى لجزيل مال من غير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حلما ولا أطول اناءة من معاوية ولا رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا أشبه سرا بعلانية من زياد ولو أن المغيرة كان فى مدينة لها ثمانية أبواب لايخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من أبوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبى صلى الله عليه وسلم ياعويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بأبى وأمى يارسول الله ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله وأدفرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل صالح الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزا (وتروى) هذه الابيات لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم انى لا أصدقها * ولست أرشد الاحين أعصيها
والعين تعلم من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

(وقال) بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله فى اغواء فقوله سقيم وفعله ذميم فأما من صرف فضل عقله الى الدهاء والمكر والشر والحيل والخديعة كالحجاج وزياد واشباههما فمذموم (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لست بالخب والخب لايخدعنى (وقال) المغيرة كان والله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أفضل من ان يخدع وأعقل من ان يخدع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم وصاحبه محذور تخاف غوائله وتحذر عواقب حبائله (وقد) أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أباموسى الاشعرى أن يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد أعن موجدة أو جناية ياأمير المؤمنين

الخب بالكسر الخداع اه

قال

قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان أحمل على الناس فضل عقلك
(وكتب) زياد الى معاوية رضى الله عنه ان العراق فى شمالى ويمينى فارغة
فولنى الحجاز اكفك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم كفه فطعن فى أصبعه
بعد أيام فمات (فنحن) وان كانرغب عن الدهاء والمكر فانا نرغب فى الحيلة
ونوصى بها والاتساع فى الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا
وليس شئ من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباغى الوسيلة ومرتاد أى أمر
كان دق أو جل خيرا من الحيلة وأضعف الحيلة أنفع من كثرة الشدّة
(وقالت) الحكماء ملاك العقل الحيلة والتأنى للسبب الضعيف والقوى
من الامور (وروى) ان رجلا وقف بكسرى فقال أنا أصنع ما تعجز الخلائق
عنه قال ما هو قال تشد برجلى حبلا طرفه برقبة فيل وبرجلى الاخرى
كذلك ويشد طرفه برقبة فيل ثم تساق الفيلة بالزجر والضرب فلا أتزحزح
ثم تعاطى ان يفعل ذلك بأربعة من الفيلة فمرت بحدتها فقسمته شطرين
فقال كسرى من لم يكن أكبر ما فيه عقله هلك بأصغر ما فيه فنظمه
بعض الشعراء فقال.

من لم يكن أكبره عقله * أهلكه أصغر ما فيه

(وسمعت) القاضى أبا الوليد يحكى ان رجلا استأذن هارون الرشيد فقال
انى أصنع ما تعجز الخلائق عنه فقال الرشيد هات فاخرج انبوبة فصب فيها
أبرعدة ثم وضع واحدة فى الارض وقام على قدميه وجعل يرمى ابرة ابرة من
قامته فتقع كل ابرة فى عين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسته فأمر الرشيد بضربه
مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار فسئل عن جمعه بين الكرامة والهوان
فقال وصلته لجودة ذكائه وأدبته لكى لا يصرف فرط ذكائه فى الفضول
ومن زعم ان العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل
هيآت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد
الفضيلة كالكرم الذى هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط
بين التهور والجبن (وقالت) الحكماء للاسكندر أيها الملك عليك بالاعتدال

فى كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الامور أوسطها (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالى ومنه يلحق التالى (قالوا) ولان زيادة العقل تفضى بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزى وبالعلوم وسائر الفضائل (وأما) قولهم بأنه يفضى بصاحبه الى الدهاء والمكر (قلنا) الدهاء والمكر كسب معان أخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تداهى ومكر وان شاء كف كما تقول فى كل شر يكتسبه العاقل باختياره ليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه قلة عقله (وكان) بزرجمهر لما فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما (وأنا) أقول ليس العجب ممن قرأ كتابى هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قرأه ولم يصر مهذبا كاملا

حياله بالكسر أى بانفراده اه

(الباب الرابع والعشرون فى الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم)

(قال) الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى (فلو كان) السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران (ثم) ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى (دلت هذه الآية) على ان موضع الوزير أن يشد قواعد المملكة وان يفضى اليه السلطان بعجزه ونحوه اذا استكملت فيه الخصال المحمودة (ثم قال) كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (دلت) هذه الكلمة على ان بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما ان أشجع الناس يحتاج الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير (وروى) أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال مابعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر

وتحضه

وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى (وانما) اشتقت الوزارة من الوزر وهو الثقل يريد انه يحمل من أمر المملكة وأعبائها وأثقالها مثل الاوزار (أسعد) الملوك من له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه (قال) وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال لا حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال بينما أنت إله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان (وعلى) هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن أبى مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين (وأشرف) منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشريك فى التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه (وفى الامثال) نعم الظهير الوزير (واعلم) ان أول ما يستفيد الملك من الوزير أمرين علم ما كان يجهله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه (وأول) ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى استنجاب الوزراء واستنقاد الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خصال تدل على كماله وبهائه يجمل فى الخلق ذكره ويجل فى العقول قدره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه (وكان يقال) حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم (وفى كتاب) كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء ولا الاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا المودة والنصيحة الا بالرأى والعفاف وأعظم الاشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة ان يحرموا صالحى الوزراء والاعوان فتكون أعوانهم غير ذى جدوى وغنى ويحذر الملك أن يولى الوزارة غير المتحرين كيلا تضيع الامور كما يحذر ان يتطبب بغير طبيب بصير مأمون (قال) شريح بن أبى عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب له صحائف فى كل صحيفة ارحم المساكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه (وقال) ازدشير يحق على الملك ان يكون ألطف ما يكون نظرا أعظم

الجدوى والجداء بالفتح العطية اه

مايكون خطرا ولايذهب حسن نظره فى الرعية خوفه لها ولا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد وان يكون حذره للمتملقين أكثر من حذره للمتباعدين وان يتقى بطانة السوء أشد من اتقائه العامة ولا يطمعن فى اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال) ازدشير لكل ملك بطانة حتى يجمع ذلك جميع المملكة فاذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية (ومثال) الملك الخير مع الوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا (ومثل) السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية مثل المرضى ومثل الوزير مثل السفير بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ماليس فى الرجل فيقتله الملك (فمن) ههنا شرطنا ان يكون الوزير صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بأمور الرعية ويكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فان اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (ولما) أراد سليمان بن عبد الملك ان يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن مسلم قال له عمر بن عبد العزيز اسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لاتحيى ذكر الحجاج باستكتابك اياه فقال يا أبا حفص انى لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه فى الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس مامس دينارا ولا درهما وقد أهلك هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال

يامَلكا طاعته لازمة * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

فى نفع الطيب ان هذان البيتان للمؤلف ذكرهما بعد كلام طويل وعظ به الافضل ابن أمير الجيوش بلفظ ياملكا طاعته قربة الخ اه

واشار

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من ان يقول هو صادق فاعترف بالاسلام (لا يعرف) وزير الملك ماله وما عليه حتى يراعى من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق الغيور من المعشوقة المتهمة (وكان) بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الاولى انك لست بإله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اذا كان الوزير يساوى الملك فى الرأى والهيبة والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفى) الامثال اذا سكنت الدهماء خافت الوزراء (ولما) كانت أمور المملكة عائدة الى الوزارة وأزمة الملوك فى اكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الخرق مماراة الامراء ومعاداة الوزراء ورب أمر كرهه الامير فتم بالوزير وكم من أمر اراده الامير فنهاه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج (وقال) أنوشروان لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من النظر فكما ان من لم ينظر الى المرآة لم ير محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها كاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه فى آفاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه ظهير الامير وزيره وزينته حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة للكاتب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويفشى سره اليه (وقد) قالت الحكماء لا يطمعن ذو الكبر فى الثناء ولا الخب فى كثرة الصديق ولا السيئ الادب فى الشرف ولا الشحيح فى البر ولا الحريص

فى قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء فى بقاء الملك وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك الامير لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه (ومن) شروط الوزير أن يكون مكين الرحمة للخلق رؤفا بهم ليأنسوا برحمته مما يخرجه السلطان بغلظته (ومن) شروطه ان يكون نقى الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة (قال) بعض الملوك لوزيره لا تكونن الى ما تسرنى به أسرع مبادرة الى انذارى فيما تخاف على منه (وقال) بعض الحكماء اعط من أتاك بما تكره كما تعطى من أتاك بما تحب فان من أنذرك كمن بشر (ومن) شروطه ان يكون معتدلا كليل تهامة لا حر ولا قر ولا سآمة وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكما ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدت الرعية كذلك الوزراء اذا فسدوا فسد الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الهوى وآفة الامير مخالفة الوزير (وقال) المقتدر بالله لوزيره على ابن عيسى اتق الله يعطفنى عليك ولا تعصه بسلطانى عليك (وقال) المأمون لمحمد بن يزداد اياك ان تعصى الله فيما تتقرب به الى فيسلطنى عليك (واعلم) انه ليس للوزير ان يكتم السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا سقما دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة ان تكون فى غير أهلها كما لا يصلح الملك ان يكون فى غير أهله وشر الوزراء من كان الاشرار أبضاله ووزراءه وبطانته ودخلاء (وأوصت) امرأة ابنها وكان ملكا فقالت يا بنى ينبغى للملك ان تكون له ستة أشياء وزير يثق برأيه ويفضى اليه باسراره وحصن يلجأ اليه اذا فزع وسيف اذا نازل الاقران لم يخف ان يخونه وذخيرة خفيفة المحمل اذا نابته نائبة كانت معه وامرأة اذا دخل عليها اذهبت همه وطباخ اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه

(الباب الخامس والعشرون فى الجلساء وآدابهم)

(قال) الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقال) سبحانه ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا (وينبغى) للملك ان يجالس أهل العقل والادب وذوى الرأى والحسب وذوى التجارب والعبر فمجالسة العقلاء لقاح العقل ومادته ولذلك حمدت أراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وينابيع الانوار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليكم بأراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم أثار الغير (وقالوا) رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال) عبد الملك لجلسائه جنبونى ثلاثا لا تطغونى فانى أعرف بنفسى منكم ولا تكذبونى فانه لا رأى لكذوب ولا تغتابوا عندى أحدا فيفسد قلبى عليكم (وقال) بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة (وقالوا) التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل (وقد) قال هرم بن قطبة وهو أحد حكماء العرب حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الحديد النظر (وقال) كثير من حكماء العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم يضره طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول أصدق على العقول (وقال) عبد العزيز ابن زرارة لمعاوية عليك بمجالسة الالباء أعداء كانوا أو أصدقاء فان العقل يقع على العقل (قال) ابن عباس مجالسة العقلاء تزيد فى الشرف (وقال) سفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا أياما (وقال) مالك بن أنس رحمة الله عليه مر سليمان بن داود عليهما السلام بقصر بأرض مصر فوجد فيه مكتوبا

غدونا من قرى اصطخر * الى قصر فقلناه
فمن يسأل عن القصر * فمبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه

ولاشئ على الشئ * علامات واشباه
وللمـــــرء على المرء * دليل حين يلقاه
فلا تصحب أخا الجهل * وا ياك واياه
فكم من جاهل اردى * حكيما حين واخاه

(قال) ووجد عليه نسرا واقعا فدعاه فقال له من بنى هذا القصر فقال لا أدرى فقال كم لك منذ وقعت عليه قال تسعمائة سنة (وفى الامثال) يظن بالمرء ماظن بخليله (ولما) حج عبد الله بن جعفر نزل بمكة ليلا فلما أصبح قال يا أهل مكة عرفنا خياركم من شراركم فى ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل أخيارنا على أخياركم وأشرارنا على أشراركم فعرفناكم (واعلم) انه ليس الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (وقال) الاوزاعى الصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن من مثله شانته (وقال) مالك بن مسمع للاحنف بن قيس يا أبا بحر ما أشتاق الى غائب اذا حضرت ولا انتفع بحاضر اذا غبت فأخذه ابراهيم الكاتب فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من بينهم * وأنت الحبيب وأنت المطاع
ومابك ان بعدوا وحدة * ومامعهم ان بعدت اجتماع

(وقال) عبد الله بن طاهر المال غادو رائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة (وقال) الاصمعى تناظر رجلان واعرابى حاضر فقال لاحدهما مناظرة مثلك فى الدين فرض والاستماع منك أدب ومجالستك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تلقيح للعقول وشحذ واخاؤك شرف وفخر (وقال) السمنانى غنى مخارق بين يدى المأمون

وانى لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفوان كدرت عليه
عذيرى من الانسان لاان جفوته * صفالى ولاان صرت طوع يديه

(فطرب) المامون وقال ويحك يامخارق خذمنى نصف الخلافة واعطنى هذا الانسان (وقالت) الحكماء النظر فى عواقب الامور تلقيح للعقول

مسمع كمنبر أبو قبيلة وهم المسامعة اه قاموس

(وقالوا) العاقل لاتنقطع صداقته والاحمق لاتدوم مودته فاتخذ من نصحاء أصحابك مرآة لطبائعك وفعائلك كما تتخذ لوجهك المرآة المجلية فانك الى اصلاح طبائعك أحوج منك الى تحسين صورتك (وقال) المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر الى الحسن من كل شئ (قال) فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن (وقال) هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شئ فأكلت الحلو والحامض حتى لا أجد منهما طعما وشممت الطيب حتى لا أجد له رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالى امرأة أتيت أم حائطا فما وجدت شيئا ألذ من جليس سقطت بينى وبينه مؤنة التحفظ (وقال) عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شئ الا من مجالسة الاصحاب ومحادثة الاخوان فى الليالى الزهر على التلال العفر (وقال) عبد الملك من قرب السفلة وأدناهم وباعد ذوى العقل وأقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد ورثه من لا يحمده (ومن) الكلام الشريف قول الحكماء ما أحوج ذا القدرة الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تجربة طويلة وعبر محفوظة والى أعراق تسرى اليه وأخلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف لؤم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ومن لم يتحفظ من فلتات الزلل لم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا ثناء وان سمج واذا رأيت من جليسك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها أو صدرت منه كلمة عوراء أو هفوة غبراء فلا تقطع حبله ولا تصرم ودّه ولكن داوكلمه واستر عورته فابقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السوء قال الشاعر

اذا راب منى مفصل فقطعته * بقيت ومابى للنهوض مفاصل

ولكن أداويه فان صح سرنى * وان هو أعيى كان فيه تحامل

(وجاء) رجل الى بعض الحكماء فشكى اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له الحكيم أتفهم ما أقول لك فأكلمك أم بك من ثورة الغضب ما يشغلك عنه فقال انى لما تقول واع فقال أسرورك بمودته كان أطول أم غمك بذنبه فقال بل سرورى قال أفحسناته عندك أكثر أم سيئاته قال بل حسناته قال فاصفح بصالح أيامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح مؤنة الغضب والانتقام منه ولعلك لا تنال ما أملت فتطول مصاحبة الغضب وأنت صائر الى ما تحب

(الباب السادس والعشرون فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال السلطان)

(قد) ذكرنا الخصال التى تجرى من المملكة مجرى الاساس من البنيان ونذكر الآن الخصال التى تجرى من المملكة مجرى التاج والطيلسان وحسن الهيئة والكمال فأصلها وقاعدتها العفو (قال) الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (فلما) نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا أدرى حتى أسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (واعلموا) أرشدكم الله ان الله تعالى أمر بالعفو وندب اليه وذكر فضيلته وحث عليه ووصف به نفسه فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأوجب الله تعالى محبته للعافين وأثنى عليهم بالاحسان فقال تعالى ولمن صبر وغفر انّ ذلك لمن عزم الامور وعزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل عليهم السلام قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (وقال) سبحانه واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم (فاستعطف) الخلق وندبهم الى أن يعفوا عن الجناة والظالمين والخاطئين كما يحبون أن يفعل الله بهم (وقال) فيمن انتصر ولم يعف ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (فرفع)

الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة (ثم) كشف الغطاء وأزاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وتعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (وهذا) نص لايحتمل التأويل (وتحقيق) القول فى ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله أحب الينا من عدله لانه ان عدل علينا فأخذنا بحقه هلكنا وان عفا عنا برحمته تخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله تعالى بالاحسان ولما علم ان فى العدل استقصاء ومناقشة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتحرج له الصدور نيط الاحسان بالعدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان (وأيضا) فان الانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة (والدليل) على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها غير انه انما سميت سيئة لما كانت منتجة سيئة لانه لايجوز الانتصار وهو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن فى الحقيقة جهلا (وعن) هذا روت عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط غير أنه اذا انتهك شئ من محارم الله تعالى فلا يقوم لغضبه شئ (وروى) انه صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا فى الدنيا (فان) عفوت أيها الطالب كان أجرك على الله وان لم تعف كان حقك قبل من ظلمك ولأن يكون أجرك فى ضمان الله تعالى أوثق من ان يكون قبل مخلوق (وأيضا) فانك ان لم تعف نلت حقك بلا زيادة عليه وان عفوت كانت حسنة أسديتها لاخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (وشفع) الاحنف ابن قيس الى السلطان فى محبوس فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريئا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدى أمير المؤمنين بلغ

أمير المؤمنين عنك أمر فقال له لا أبالي فقيل له ولم لا تبالي فقال له ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب وسعني عدله (ولما) دخل عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم فينا بالعدل فغضب عمر وهم أن يوقع به فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر وقافا عند كتاب الله تعالى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (وقال) ارحم ترحم (وكان) يقال أولى الناس بالسلطان أحقهم بالرأفة والرحمة (وفي الانجيل) أفلح أهل الرحمة لانهم سيرحمون (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لقد أبغض الله المتسرعين الى هرق الدماء انتهت اليهم القسوة والغلظة والتباعد من الرحمة (ولما) تمكن داود من قتل جالوت أبقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال رب أعظم دمي في عين أعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم (وقالت) حكماء الهند لا سودد مع انتقام ولا رياسة مع عزازة نفس وعجب (وقالت) الحكماء ليس الافراط في شئ أجود منه في العفو ولا هو في شئ أقبح منه في العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة (واعلم) انك لان تخطئ في العفو في ألف قضية خير من ان تخطئ في العدل في قضية واحدة (وقال) معاوية رضي الله عنه اني لأرفع نفسي ان يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل أكبر من حلمي وعورة لا يواريها ستري (وقال) المأمون ليس علي في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رأيي في الحلم فيذهب الخوف فتخلص لي قلوبهم (وقال) رجل للمنصور يا أمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتجاوز قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين ان يرضى لنفسه بأوكس النصيبين وان لا يرتفع الى أعلا الدرجتين فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم (وأنشدوا)

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

التأديب اللوم اه

(وقال) بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما أدرى أيها الامير أى يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم عفوت (وقال الشاعر)

مازلت فى العفو للذنوب واط * لاق لك جان بجرمه علق
حتى تمنى العصاة أنهم * عندك أمسوا فى القيد والحلق

(ورفع) الى أنوشروان ان العامة تؤنب الملك فى معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم فى الذنوب فوقع المجرمون مرضى ونحن أطباء وليس معاودة الداء اياهم بمانعنا من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شئ الى شئ أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقال) رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب والعافى مستدع لشكرهم أو مكافاتهم أيام قدرتهم ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من ان تنسب الى ضيقه واقالة العثرة موجبة اقالة عثرتك من ربك وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله تعالى لك والله يحب العافين (وقال) المنصور عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح وقال المأمون

لما رأيت الذنوب جلت * عن المجازاة بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا * امضى من الضرب للرقاب

(وقال) الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل مالم تعد العفو ضيما والبذل شرفا (وفى) الحكمة اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون مما أوجبت المروءة قطيعته أو يكون فى قبولك عذره تشجيعه على المكروه أو عونه على الشر فان قبولك العذر فيه اشتراك فى المنكر (ولما) دخل الفيل دمشق حشد الناس لرؤيته وصعد معاوية فى علية له متطلعا فبينا هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر فى قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن

من فتحه بدفوقعت عينه على الرجل فقال له ياهذا أفى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمى وأنت فى قبضتى ماحملك على ذلك فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى قال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فخلى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والحلم الواسع ان يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وأتى) موسى الهادى برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال الرجل ان اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك واقرارى بماذكرت ذنب ولكنى أقول *

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

فامر باطلاقه (وقال) المهلب لاشئ أبقى للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية (ومن) الحكمة البالغة فى هذا قول سابور وقد جمع أولاده فقال يا بنى اذا أعجزكم ان تملؤا قلوب الرعية حياء فاملؤها خوفا وليس ذلك بأن تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تجعلها لمن يستحقها (وفى) هذا المعنى قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم وهذا المعنى لايختل عما أوجبناه وهذا معنى قول سابور ولا يخالف ماقررنا من حسن العفو بل هذا محمول على الواجب المستحق او على مافى تركه اغراء بركوب امثاله فهاهنا يكون العفو مفسدة (فيا أيها) المعاقب اذا أقدمت على مذنب بعقوبة فلا تكن كالمستشفى المتلذذ بعذابه لانك واياه اخوان لاب وأم آدم وحواء لم تفضله بحولك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذكر لو كنت فى مقامه وكان فى مقامك ولا تأمن من تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدى من لا يرحم ولا ينظر فى العواقب واحذر التفريط والتقصير فأقم نفسك مذنبا أقيم للعقوبة وليكن عقابك مقدرا كما كان عطاؤك مقدرا وليكن

عقابك

عقابك للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى (وعن) هذا قال بزرجمهر لا ينبغي للملوك ان يكرموا أحدا بهوان من ليس للهوان أهلا وان يهينوا أحدا بكرامة من ليس للكرامة أهلا لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل أسرع منك الى البذل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
فليس يبالي ان يكون به الاذى * اذا ما الاذى بالكره لم يغش مسلما

(وقال) سليمان بن داود عليهما السلام التنكيل والعقوبة أمنية الملك الشرير وعلى مثله يبعث الله ملكا غير رحيم (وقال) معاوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب أو رضى الا ثواب أو عقاب (وقال) ازدشير فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فكلما استكثر منها ابانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم وكلما نقص منها قرب من السوقة (وقال) المأمون انى لاجد لعفوى لذة أعظم من لذة الانتقام (واعلم) انه اذا عاقب الملك وأهان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطاء فى الرأى أعظم مما أدخل على صاحبه من العقوبة (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر الا بالاثم (وقيل) لافلاطون أى شئ من افعال الناس يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس (وقال) حكيم الحلم قوام السفيه والعفو زكاة العقل (وقال) حكيم السيد الذى لا يشين حسن الظفر بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو (وكان) يحيى بن معاذ يقول سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجوك الا أهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن * بعز الحلم ينتقم الحليم

(وروى) ان الحجاج أخذ قطرى بن الفجاءة فقال لاقتلنك قال ولم قال لخروج أخيك على قال ان معى كتاب أمير المؤمنين ان لا تأخذنى بذنب أخى

قال هاته قال فان مى أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فتعجب من جوابه وخلى سبيله (ولما) وفد عقيل بن أبى طالب على معاوية أمر له بمائة ألف درهم فلما أراد الانصراف رأى فى الطريق جارية بأربعين ألف درهم فرجع الى معاوية فأخبره قال وما تصنع بها قال تلد لى غلاما فان أغضبتنى يضرب مفرقك بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولدت له مسلم ابن عقيل ثم قدم مسلم الى الشام فابتاع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسين ابن على الخبر فكتب الى معاوية انى لا أجيز بيع مسلم فارسل معاوية الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يأمر برد المال فقال مسلم أما دون ان أضرب مفرقك بالسيف فلا فضحك معاوية وقال والله لقد تهددنى أبوك بذلك قبل ان يشترى أمك وسوغه المال فقال الحسين حين بلغه ذلك غلبنا معاوية جودا وحلما

(الباب السابع والعشرون فى المشاورة والنصيحة)

(وهذا) الباب مما يعده الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويفتقر اليه الرئيس والمرؤس (وقد) ذكرناه فى باب الخصال الفرقانية ونذكر ههنا فوائدها ومحاسنها (اعلموا) ان المستشير وان كان أفضل رأيا من المشير فانه يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوأ فلا تقذفن فى روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به وان أردت الذكر كان أنخر لذكرك وأحسن عند ذوى الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من اخوانه ولا يمنعك عزمك عن انفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة الاترى ان ابراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه فى النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما يرسم فى هذا الباب (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة

الآراء

الروع بالضم الخاطر والقلب كما فى المصباح اهـ

السحيل كأمير الحبل على قوة واحدة اهـ

الآراء كالثلاثة لا تكاد تنقطع (وروى) ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسى نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومى ونحن لا نملك علينا من لا يشاور (وقال) بزرجمهر اذا أشكل الرأى على الحازم كان بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الرأى فى الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته حمدت امارته (وفى حكم الهند) قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزامة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأى مالا يناله بالقوة والجند ولم تزل حزمة الرجال يستحلون مرائر قول النصحاء كما يستحلى الجاهل المساعدة على الهوى (قال) المأمون لطاهر بن الحسين صف لى أخلاق المخلوع يعنى أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما تأباه همم الاحرار ولا يصغى الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته ولا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ماحل محله اما والله لو ذاق لذاذة النصائح واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به (وقال) بعضهم انفاذ الملك الامور بغير روية كالعبادة بغير نية ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون العيوب ويستشيرون صواب الرأى من كل أحد حتى الامة الوكعاء (هذا) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى (وكان) يقال من اعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب (وقال) بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره (وقال) صاحب كتاب التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال بعضهم لا ينبغى للملك ان يستشير منا أحدا الا خاليا فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر للسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض (وكان) بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته

الحزامة بالفتح كالحزم وحزمة كخدمة اهـ

الوكعاء الحمقاء وزنا ومعنى اهـ

فقصروا فى الرأى دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ مرازبتك وتعاقبنا فيقول نعم لم يخطئوا الا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم واذا اهتموا اخطأوا (وكانوا) اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عياله لسنة ليتفرغ لبه (وكان) يقال النفس اذا أحرزت قوتها اطمأنت واذا شاورت فاصدق الخبر تصدقك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك (وقال) بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة بأسك فى باطنك ولا علو مكانك فى نفسك من ان تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أصبت حمدت وان أخطأت عذرت فان فى ذلك خصالا منها ان وافق رأيك رأى غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته على نظرك فان رأيته معتليا لما رأيته قبلته وان رأيته متضعا استغنيت عنه وذلك انه يجدد لك النصيحة ممن شاورته وان أخطأ وتمحض لك مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشورة الا انك ان أصبت مستبدا سلبت فائدة الاصابة بألسنة الحسدة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان أحسن واذا شاورت فأصبت حمد الجماعة رأيك لانهم لنفوسهم يحمدوا وان أخطأت حمل الجماعة خطأك لانهم عن أنفسهم يكافحوا (واعلم) ان القول الغليظ يستمع لفضل عاقبته كما يتكاره شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال) اعرابى ما عثرت قط حتى عثر قومى قيل له وكيف ذلك قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم (وقيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم يا بنى عبس فقال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكانا ألف حازم (وكان) ابن هبيرة أمير البصرة يقول اللهم انى أعوذبك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط فى هوى مستشيره (وفى حكم الهند) من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطأ الرأى وازداد مرضا وحمل الوزر (وقالت الحكماء) لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من يرهقه أحد السبيلين (وقالوا) لا رأى لحاقب ولا لحازق ولا لحاقن ولا تشاور من

لا توفيق عنده (الحازق) هو الذى ضغطه الخف الضيق والحاقب هو الذى يجد فى بطنه دراً (وقالوا) من شكى الى عاجز أعاره عجزه وأمده من جزعه (ومن) لطيف ماجرى فى الاستشارة ان زياد بن عبيد الله الحارثى استشاره عبد الله بن عمر فى أخيه أبى بكر ان يوليه القضاء فأشار به فبعث الى أبى بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبى بكر فقال أبو بكر لعبيد الله أنشدك الله أترى لى القضاء قال اللهم لا قال زياد سبحان الله استشرتك فأشرت على به ثم اسمعك تنهاه فقال أيها الامير استشرتنى فاجتهدت لك الرأى ونصحتك ونصحت للمسلمين واستشارنى فاجتهدت له رأيى ونصحته (وروى) ان الحجاج بعث الى المهلب يستعجله فى حرب الازارقة فكتب له المهلب ان من البلاء أن يكون الراعى لمن يملكه دون من يبصره

﴿فصل فى النصيحة﴾ اعلموا ان النصح للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين (قال) الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم (وقال) شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (فالنصح) فى الجملة فعل الشئ الذى به الصلاح والامانة مأخوذ من النصاحة وهى السلوك التى يخاط بها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قميص منصوح أى مخيط ونصحته نصحا اذا خطته (ويختلف) النصح فى الاشياء لاختلاف الاشياء (فالنصح) لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس بأهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فى محابه والتباعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة بث جميع ما ذكرناه

فى عباده (والنصيحة) لكتابه اقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم مافيه واستعماله والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم مافيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب (والنصيحة) للرسول صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا واحياء سنته بالطلب واحياء طريقته ببث الدعوى وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة (والنصيحة) للائمة معاونتهم على ماتكلفوا القيام به فى تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم عند ماجهلوا وتحذيرهم ممن يريد السوء بهم واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم فى جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم (والنصح) لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم ودعوتهم الى مايسعدهم وتوقى مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم (ومن) النصيحة للمسلمين رفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجه عنهم (قال) الاصمعى لقط عمر بن الخطاب رضى الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فألقاها فى الدار وقال يأكلها داجنهم (والنصح) لجميع الملل أن يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر وبالسيف ان كان ذا سلطان أو يكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصح الله لاقامة أمره فيهم (روى) معاذ رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط بمن وراءهم (وروى) جابر بن عبد الله بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقننى وبما استطعت والنصح لكل مسلم (وقال) أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه (وقال) أبو الدرداء العلم يعلمه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله لا تثبت الا فى قلوب المنتخبين الذين صحت

عقولهم

عقولهم وصدقت نياتهم (واعلم) ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا أولوا العزم (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الىّ عيوبى (وقال) ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكرهه فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكرهه (وقال) مالك النصيحة لله فى أرضه هى التى بعث الله بها أنبياءه ومن أمر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله فى أمورهم والنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله مائلة الى ما وافق هواها (وفى منثور الحكم) ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك (وكان) يقال أخوك من احتمل ثقل نصيحتك وقال بعضهم

عرضت نصيحة منى لزيد * فقال غششتنى والنصح مر
ومالى ان أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد أتانى ان زيدا * يقال عليه فى نقعاء شر
فقلت له تجنب كل شئ * يقال عليك ان الحر حر

(وقال آخر)

وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح

(وقال القطامى)

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا

(وقال ورقاء بن نوفل)

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انا النذير فلا يغرركم أحد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

(وقال) ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فيمن لا خير له فى نفسه (وقالت) العلماء لن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه (وقال) بعضهم رأيي ورأيك فى المعرفة أمثل لنفسك من رأيك لانه

قوله القصد المراد به هنا العدل اه

نقعاء بلدة لبنى مالك ابن عمرو وسمى كثير مرج راهط نقعاء فى قوله أبوك تلاقى يوم نقعاء راهط اه قاموس

خلومن هواك (وقال) أبوالدرداء ان شئتم لانعحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون فى الارض نصحا (وروى) ان رجلا لطم ابراهيم بن أدهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى انك تثيبنى وتعاقبه فلا تثبنى ولا تعاقبه (ومن) الخصال التى تجرى مجرى الجمال والكمال الحلم

(الباب الثامن والعشرون فى الحلم)

(قال) الله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب (وقال) تعالى فاصفح الصفح الجميل (قال) على بن أبى طالب رضى الله عنه الصفح الجميل هو الرضى بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضى بلا توبيخ فيه ولا حقد معه (وفى) الامثال القديمة كاد الحليم ان يكون نبيا (وروى) ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات أعيش بهن ولا تكثر على فانساهن قال لا تغضب (واعلم) ان الحلم أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة أود الخلق وممارسة اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت عبء ثقيل (وكان) أنوشروان ذا حلم وأناة وكان يقول فى خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة (ويروى) ان يحيى بن زكريا لقى عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال يا روح الله اخبرنى بأشد الاشياء فى الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجينى من غضب الله تعالى قال اترك الغضب قال يا روح الله وما بدء الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وجبت محبة الله على من أغضب فحلم (والذى) يضرب بحلمه المثل فى هذا الباب قصة اسحاق عليه السلام قال له ابراهيم عليه السلام يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم تله للجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل الا خيرا قال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفى الاخبار)

يقول

يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم نيأس منه وان كان تحيا الموتى بدعائه لانه تأتى عليه ساعة يحتد فيها فنصيب منه ما نريد (وروى) ان جعفر ابن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال يا أمير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى فلا تغضب له بأ كثر من غضبه لنفسه (واعلم) أرشدك الله تعالى ان هذه الكلمة لاقيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالته فما أفخمها وأجل قدرها وأعظم شأنها لانك اذا كنت أيها السلطان انما تتصرف فى ملك الله بأمر الله فالله تعالى قد حد حدودا وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدّر فى كل خصلة عند مخالفته حدا محدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا تقتل من استحق القطع والحبس والادب والحد ولا تحبس غير من استحق الحبس (وكانت) الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم (فمن) عثر من ذوى المروآت أقيلت عثرته ولم يقابل بشئ (لقوله) عليه السلام أقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم (ومن) سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قائما فى مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من على رأسه وآخر يكلم بالكلام الذى فيه بعض الغلظة (قال) الشعبى كانت العصاة فى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزعت عمامته وطيف به فى المسجد على قومه وقيل هذا رجل أخل بشعيرة (فلما) ولى زياد ضربهم ونزع عمائمهم فلما ولى مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم (فلما) ولى بشر بن مروان أقامهم على الكراسى ثم مدت أيديهم وسمرها بمسامير ثم نزع الكرسى من تحت أرجلهم حتى تخرم أيديهم فمن ميت ومن حى (فلما) ولى الرجل المعروف بالحجاج قال كل هؤلاء يلعب فمن أخل بشعيرة ضربت عنقه (وقال) ارسطاطاليس النفس الذليلة لاتجد ألم الهوان والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

(واعلم) ان من تجاوز فى العقوبة فوق ما حدّ الله تعالى فيها شارك المذنب فى الذنب واستوجب ما استوجبه المجرم من العقوبة وتبين بالآخرة انه انما يعاقب للهوى والتشفى اذا فاغضب لله تعالى (وفى كتاب) سليمان بن داود عليهما السلام القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده وصدق نبى الله عليه السلام فان السلطان يفتح المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقتل ابطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى أسيرا فى ذل هواه قد قهرته قينة بطنبورها أو قدح خمر يلعب بعقله (وقال) اكثم بن صيفى الصبر على جرع الحلم أعظم من جنا ثمار الندم (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه سألت كبرا من كبراء فارس عن أحمد ملوكهم عندهم قال ازدشير فضل السبق غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان قال فأى اخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضى الله عنه هما توءمان انتجهما علو الهمة (ومن) محمود السيرة ان تعرف الناس من اخلاقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجى (قال) محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أو هفا * تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

(وقال) الاصمعى سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن بين جنبيك جمرة الغضب واردد اساءته بالحلم فان شجرة النار اذا الحت عليها الرياح تخللت أغصانها فتشتعل نارا فتحترق من أصولها (وقال) عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر عفا وكف (وسئل) جعفر بن محمد رضى الله عنه عن حد الحلم فقال وكيف

يعرف فضل شئ لم نر كماله فى أحد (وقال) الاحنف بن قيس لابنه يا بنى اذا أردت ان تواخى رجلا فاغضبه فان أنصفك والا فاحذره (وكان) سلم بن نوفل سيد بنى كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فاخذ فأتى به اليه فقال له ماالذى فعلت أما خشيت انتقامى قال لا قال فلم قال ماسودناك الا ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجانى وتحلم على الجاهل وتحتمل المكروه فى النفس والمال فخلى سبيله فقال قائلهم

تسود اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

(وقال) رجل من كاب للحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله لاعطينك عطية ما تعطيها العبيد فاعطاه مائة رأس من السبى (ومن) أمثال العرب احلم تسد (ويروى) ان هشاما غضب على رجل من اشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل وقال له أما تستحى ان تشتمنى وأنت خليفة الله فى أرضه فاطرق هشام واستحى وقال له اقتص فقال أنا اذا سفيه مثلك قال فخذ عن ذلك عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها لله قال هى لله ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله لا أعود لمثلها قال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال آخر)

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو اننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

(وقال) هشام لخالد بن صفوان صف لى الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان شئت أخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنتين وان شئت بواحدة فقال اخبرنى عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فاخبرنى عنه باثنتين قال كان يؤثر الخير ويتوقى الشر قال فاخبرنى عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه (وقال) اكثم بن صيفى الغلبة والعز للحلم (وقال) الاحنف وجدت الحلم

أنصرلى من الرجال وصدق الاحنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرع فى شتم بعض الادباء وهو ساكت فحمى له بعض المارين فى الطريق وقال له يرحمك الله ألا أنتصرلك قال لا قال ولم قال لانى وجدت الحلم أنصرلى من الرجال وهل حاميت لى الاحلمى (وقال) رجل لعمرو بن العاص رضى الله عنه والله لاتفرغن لك فقال له الآن وقعت فى الشغل (وقال) عبد الله بن عمران رجلا ممن كان قبلكم استضاف قوما فأضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا أنبح ضيف أهلى الليلة فعوى جراؤها فى بطنها فبلغ ذلك نبيا لهم أو قيلا من أقيالهم فقال مثل هذا مثل أمة تكون بعدكم تظهر سفهاؤها على حلمائها (وقال) الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا (وسئل) الاحنف عن الحلم فقال هو الذى يصبر عليه ولست بحليم ولكنى صبور (ويروى) ان المهلب نازعه رجل من كبراء بنى تميم فأربى على المهلب والمهلب ساكت فقيل له فى ذلك فقال كنت اذا سبنى استحييت من سخف السباب وتحلية اللئام والسفلة وكان اذا سبنى تهلل وجهه وشمخت نفسه بأن ظفر بفضل الفخر ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء (ومر) المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول لهم خيرا فقال كل ينفق مما عنده (وقال) اكثم بن صيفى من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الاخوان غنم والمباشرة يمن ومن الفساد اضاعة الزاد (وسب) رجل الشعبى بقبائح نسبها اليه فقال الشعبى ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى (وقال) رجل لابى بكر الصدّيق رضى الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال أبو بكر معك يدخل والله لا معى (وقال) رجل للاحنف بن قيس ان قلت لى كلمة لتسمعنّ عشرة فقال له الاحنف لكنك لو قلت لى عشرا لم تسمع منى واحدة (وروى) ان رجلا سب الاحنف وهو يماشيه فى الطريق فلما

قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقى معك شئ فقله ههنا فانى أخاف ان يسمعك فتيان الحى فيؤذوك (وسب) رجل بعض الحكماء فقال له الحكيم لست أدخل فى حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زرارة

فقل لبنى سعد فمالى ومالكم * ترقون منى ما استطعتم وأعتق
أغركم انى بأحسن شيمة * بصير وانى بالفواحش أخرق
وان تك قد سابتنى فقهرتنى * هنيئا مريئا أنت بالفحش أحذق

(وقال) رجل لابى ذر رضى الله عنه أنت الذى نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال يا ابن أخى ان ورائى عقبة كؤدا ان نجوت منها لم يضرنى ما قلته وان لم أنج منها فانا شر مما قلت (وقال) لقمان لابنه يا بنى ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه (وسب) رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك أعنى فقال له الحكيم وعنك أعرض وفى ذلك قيل

قل ما بدا لك من زور ومن كذب * حلمى أصم وأذنى غير صماء

(وقيل) يوما للاحنف بن قيس ما أحلمك فقال لست بحليم ولكنى أتحالم والله انى لاسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا ما يمنعنى من جوابها الا الخوف من ان أسمع ما هو شر منها (وقال) الشاعر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا كان عند السخط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتجشم

(ويروى) ان رجلا سب جعفر بن محمد رضى الله عنهما فقال أمّا ما قلت مما هو فينا فانا نستغفر الله منه وما قلت مما ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى (وقال) بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى (وقال) اكثم بن صيفى لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه ضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق

انه لمفسد (ومن) أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو اصابك جاهل
(ووصف) اعرابى رجلا فقال أحلم من فرخ طائر (وقال) اعرابى ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل (وقال) صعصعة ابن صوحان الغضب مرقدة العقل فربما أصلده وربما أربده (وقال) اعرابى اذا جاء الغضب تسلط العطب (وكان) ابن عون اذا غضب على أحد قال سبحان الله بارك الله فيك (وقال) الاصمعى دفع ازدشير الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال اذا رأيتنى قد اشتد غضبى فادفعه الى فكان فيه اسكن فلست باله انما أنت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع أمر أن يكتب فى كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فأعرضه على فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه سكن غضبه (وقال) معاوية أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكر واذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا أساء استعفى واذا وعد أنجز (ومن) كلام الحكماء من أطاع الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق غمره الذل (وقال) بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفى ضرب من الجزع (وقال آخر) أول الغضب جنون وآخره ندم (وقال) بعض الحكماء اذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك بقول فقال لاغيظن من أمره يغفر الله لى وله قيل له ومن أمره قال الشيطان (وقال) رجل لاخيه انى مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء رحمتك منها قال فهل سمعتنى اذكره بشئ قال لا قال فاياه فارحم (وقال) الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر (وقال) الاحنف بن قيس تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقرى انى لجالس معه فى فناء بيته وهو يحدثنا اذ جاءت جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل مأسور فقيل له هذا ابنك قتله

اخوك

أخوك فوالله ماقطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشد

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت الى بعض ولده وقال قم أطلق عمك ووار أخاك التراب وسق الى أمه مائة من الابل فانها غريبة (ومن) انبل بيت قالته العرب

فصح بالخير خرس بالخنا * رجح الاحلام ذيال الازر

ذيال الازر أى طوالها اهـ

(وقال آخر)

باحلام عاد لايخاف جليسهم * اذا نطق العوراء عرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا ادوا بحسن بيان

(وقال) المسيح عليه السلام ماحلم من لم يصبر عند الجهل وماقوة من لم يرد الغضب وماعبادة من لم يتواضع للرب تعالى (وقيل) للاسكندران فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلوعاقبتهم فقال هم بعد العقوبة أعذر فى ثلبى وتنقيصى (ويروى) عن جرير بن عبد الله بينماهو راكب قد أردف ابنه اذلقيه رجل فنال منه وجرير ساكت فلما ولى قال له ابنه ياأبت لم سكت عنه قال له يابنى اذن أوسع جرحى (وقال) بعض الحكماء متى أشفى غيظى أحين أقدر فيقال لوعفوت أم حين أعجل فيقال لوصبرت (وسئل) بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب قال نعم لولم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشئ فيتبين فى وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم (ومن) لم يغضب من الاشياء التى مثلها تغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والحمية والدفاع والاخذ بالثار والغيرة فان هذه الخصال نتائج الغضب فمن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل على ماسنذكره فى باب الشجاعة ان شاء الله (وقيل) عند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع (وكان) يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب (وقال) الشعبى الجاهل خصم والحليم حاكم (قال) الشافعى رضى الله عنه من استغضب

الثالب المعائب اهـ

ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى ولم يرض فهو جبار (وقد) كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب ولكنه انما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه (واعلم) ان الله تعالى ما مدح من لم يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقال والكاظمين الغيظ (وقد) أنشد النابغة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم

فلا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان تكدّرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله (وكان) عمر رضي الله عنه اذا سافر استتبع سفيها ويقول أدفع به شر السفهاء عني (واعلموا) أرشدكم الله ان أحسن خصال الملوك وأجلها قدرا وهي حلية الانبياء ولبسة الاصفياء والاولياء وأعمها على الرعايا نفعا وأخلدها على ممر الايام ذكرا وأجلها في المحافل والمجالس نشرا وهي الفضيلة التي تعم سائر الفضائل وتكمل بها سائر المحاسن وهي الحلم (وها) أنا أتلو عليك من ذلك ما يقضي فيه بالعجب هذه دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح الى يومنا هذا لم يكن فيهم أحلم من المأمون بلغ من حلمه أنه كان يقول لو يعلم الناس ما لي في لذة العفو ما تقربوا الي الا بالجرائم فعم حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه (وبهذه) الخصلة تهيأ ملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية لا جرم ان دانت له الدنيا وملك بها رقاب العرب والعجم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويهتدي به العقلاء حتى حكي عنه أنه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط عنكبوت أو شعرة ما انقطعت اذا جذبوا ارسلت واذا ارسلوا جذبت (وهذه) دولة الفرس وكانت أعظم دول الارض وأشدها بأسا وأكثرها علوما وحكما لم يكن في أكاسرها أحلم من كسرى أنوشروان وصار يضرب بحلمه المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات (فيروى) ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضوان الله عليه لقى كبيرا من كبراء الفرس فقال له ما أحمد خصال ملوككم فقال السبق لأزدشير وأحمدهم سيرة أنوشروان فقال له على وما كان أغلب خصاله عليه قال الحلم والاناة قال على هما توأمان نتيجتهما علو الهمة وبلغ من حلمه انه كان يضيق صدره بحلمه فيقول فى خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة فأعظم بخصلة تعم منفعتها ويبقى على الدهر جمالها وتخلد فى العقلاء والعلماء والملوك والسوقة بهجتها وحسن مصادرها ومواردها ان يتخذها الملوك شعارا ودثارا وانما قصدت الحكماء من الملوك خاصة فأما من سواهم من الرعية كالاحنف بن قيس ونظرائه فلا يحصون عددا وكثرة

(الباب التاسع والعشرون فيما يسكن به الغضب)

(فأول) ذلك انك اذا نظرت الى تغيير اشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ أوداجك وذهاب حيائك وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لأمسكت عن الغضب وطالما كنت تستحى ان تتكلم بين الجلساء باليسير الجائز فعدت تهدر بالكثير الفاحش ولوان من غضب تذكر اذا صحى وسكن غضبه انقلاب صورته وتغيير وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وخوى خطابه والتفاف لسانه وخفة عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كانه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه لما يسمع كانه بهيمة وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه كانه أحمق (ومن) شؤم الغضب وعظيم بليته انه قد يقتل النفوس ويسلب الروح (وكان) سبب موت الوليد بن عبد الملك انه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلام فعجل عليه سليمان بأمر يلحق أمه ففتح فاه ليجيبه واذا بجنبه عمر بن عبد العزيز فامسك على فيه ورد كلمته وقال يا ابن عبد الملك أخوك وابن أمك وله السبق عليك فقال يا أبا حفص قتلتنى قال وما صنعت بك قال رددت فى جوفى أحر من الجمر ومال لجنبه فمات (ولعمرى) انه قد يزيد على الجفاء (ومنها) ان ينتقل عن الحالة التى كان

عليها الى غيرها (كانت) الفرس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا كان جالسا فليقم وهذا المذهب كان يأخذ المأمون به (ويروى) ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع فى القبور واعتبر بالنشور (وكان) بعض ملوك الطوائف اذا غضب القى بين يديه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه (وكان) عكرمة يقول فى قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعنى اذا غضبت فانه اذا ذكر الله خاف منه فيزول غضبه (وفى التوراة) مكتوب يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق (ومنها) ان يذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند ابناء جنسه ووصفهم لقبائحه وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا لزوال غضبه (ومنها) ان يتذكر انعطاف القلوب وانطلاق الالسنة بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان السفه ذل وشين (وروى) أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك والغضب انما أنت بشر ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء (وكان) معاوية كثيرا ينشد

انا اذا مالت دواعى الهوى * وأنصت السامع للقائل
واعتلج الناس بألبابهم * نقضى بحكم عادل فاضل
نخاف ان تسفه أحلامنا * فيحمل الدهر على الحامل

(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تفضى الى ذلة العذر (وقال الشاعر)

واذا ما اعترتك فى الغضب العـ * ـزة فاذكر مذلة الاعتذار

(وقال آخر)

زررنا على غير الفواحش قصدنا * ولم نستجز الا الذى هو أجوز

(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وبالذى هو أقدر على عقابك منك على عقابى الاعفوت عنى فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان فى أسارى بنى الاشعث ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه ابراهيم بن المهدى وكان مع أخيه عليه انى شاورت فى أمرك فأشاروا على بقتلك الا انى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل لا لزم حرمتك فقال يا أمير المؤمنين ان المشير أشار بما جرت به العادة فى السياسة الا انك أبيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وأنشأ يقول

البر منك وطى العذر عندك لى * فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم (ومنها) ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذلة الانتقام وشروع القصاص فى بدنه بين يدى من لا يرحمه فان ذلك مما يزعه عن الغضب

(الباب الثلاثون فى الجود والسخاء)

(وهذه) الخصلة الجليل قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها وهى احدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة وتسترق بها الاحرار وتستمال بها الاعداء وتستكثر بها الاولياء ويحسن بها الثناء ويملك بها القرباء والبعداء ويسود بها فى غير عشائرهم الغرباء (وهذه) الخصلة بالعزائم والواجبات أشبه منها بالجمال والمتممات وكم قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتد فى أرض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا (واخلق) بخصلة يترك الانسان لها دينه الذى يبذل دونه نفسه ان تكون

جليلة القدر عظيمة الخطر وأحوج خلق الله تعالى اليها وأفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه الملوك والولاة (واعلموا) يا معشر من وسع الله عليه دنياه وأسبغ عليه آلاءه ونعماه انه ليس فى الجنة لا وحسبك بكلمة لا تدخل الجنة سقوطا وضعة وانما أسست الجنة على ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (ولهذا) وصف بعض البخلاء رجلا بخيلا فقال هو جملة من حيث جئته وجدت لا (وقالوا) فى نحو هذا فلان حسبه لا (وهذه) الخصلة أعنى الكرم والجود والسخاء والايثار بمعنى واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجود أن لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار (فمن) أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال) ذو النون بداءة السخاء ان تسخو نفسك بما فى يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما فى أيدى الناس وان لا تبالى من أكل الدنيا (وتذاكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من أحب شيئا أكثر من ذكره (وأصل) السخاء هو السماحة وان يؤتى ما يأتيه عن طيب نفس وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع (ولهذا) قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء فى الازل لان العطاء فعل والفعل فى الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تعجز عن فالمأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو (قال) الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى جائع فاطعمنى فبعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فقلن والذى بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم

قال

قال من يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله تعالى فقام رجل من الانصار فقال
أنا يا رسول الله فحمله الى منزله وقال لاهله هذا ضيف النبي صلى الله عليه
وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ماعندنا الاقوت الصبية فقال
قومي فعلليهم عن قوتهم حتى ينساموا ثم اسرجي واقعدي فاذا أخذ الضيف
يأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا الضيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت وجعلا يمضغان ألسنتهما والضيف
يظن انهما يأكلان وباتا طاويين فلما أصبحا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس أهدى لبعض الصحابة
رأس شاة مشوية وكان مجهودا فوجه به الى جارله فوجه به الجار الى أهل
بيت آخر فتداولته سبعة أبيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم
اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شيء من الماء وأنا أقول ان كان به
رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار أن نعم فاذا رجل
يقول آه فأشار الى ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت له
أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قدمات
ثم رجعت الى هشام فوجدته قدمات ثم رجعت الى ابن عمي فوجدته قدمات
(وروت) عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي
قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل
بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل
السخي أحب الى الله من عابد بخيل (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن آدم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو أعطيت
فامضيت (واعلموا) ان السخاء على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا
فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والايثار وسماحة النفس (قال) الله ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع

المال وتعاهد الاخوان مسرورا قلبه بذلك (والسخاء) فى الدين ان تسخو
بنفسك ان تتلفها الله تعالى وتريق دمك فى الله سماحة من غير كراهة لاتريد
بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كان غير مستغن عن الثواب لان الغالب
على قلبه حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك
ماتحب ان تختاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من
السيد قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه
الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل
الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم فى النفوس قدرا
فسكت القوم فقال فتى أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس
فى فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان أرضا بسبعمائة
الف فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لايدرى مايطرقه
لغرير بالله ثم جعلها صررا وجعل رسوله يختلف الى الناس حتى قسمها
وما أصبح عنده منها درهم (وكان) أسماء بن خارجة يقول ماأحب ان أرد
أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه وان كان لئيما أصون
عنه عرضى (وكان) مورق العجلى يتلطف فى ادخال الرفق على اخوانه
فيضع عندهم ألف درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم أنتم
منها فى حل (وقال العتبى) أعطى الحكم بن عبد المطلب جميع مايملك
فلما نفد ماعنده ركب فرسه وأخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج فاخبرنى
رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لاشئ معه فأغنانا قيل
كيف أغناكم وهو مملق قال ماأغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا
على بعض فاستغنينا (وأكرم) العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه
رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد
أعطيت فيه ستمائة ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت
فالمال وان شئت فالحائط (ويروى) ان رجلا بعث الى جبلة بجارية فوافته
بين أصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسى وأنتم حضور وأكره ان أخص بها

واحد منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لاتحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فأمر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف (وقيل) لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت انه نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها وقال شأنكم فقلت ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال انى لا أطعم أضيافى الغاب فأقمنا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيته مائة دينار وقلنا للمرأة اعتذرى لنا منه ومضينا فلما متع النهار اذا رجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن القرى ثم انه لحقنا وقال لتأخذنها والا طعنتكم برمحى فأخذناها وانصرف (قال) ميمون بن مهران من طلب مراضاة الاخوان بلا شئ فليصحب أهل القبور (وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هناه واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه (وقال) الحسن كان أحدهم يشق ازاره لاخيه نصفين (قال) المغيرة فى كل شئ سرف الا فى المعروف (وقيل) للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى (ونظمه) محمد ابن حازم فقال

لا الفقر عار ولا كسب الغنى شرف * ولا السخاء مفرطا فى طاعة سرف
مالك الا اقتنا شئ تقدمه * وكل شئ اذا أخرته تلف

(وأما طلحة) بن عبيد الله الخزاعى المعروف بطلحة الطلحات وما سمى هذا الاسم الا انه كان عظيم البذل فى كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان كل معتق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمى بذلك طلحة الطلحات ثم ولى سجستان وفيه يقول الشاعر

رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

وبلغه ان معلمه فى الكتاب كان فى الحجاز قد قعد به الدهر فأرسل اليه مع غلامه مائة ألف وقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الى ولده

قوله الغاب أى المتغير وقوله متع أى ارتفع اه

وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافاه الرسول فوجده قدمات ولم يعقب ففرقها على قومه (وقال) زيد بن أسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم أمرك الله ان تكون كريما ويدخلك الجنة ونهاك ان تكون بخيلا ويدخلك النار (وقال) حكيم بن حازم ما أصبحت قط صباحا لم أر ببابي طالب حاجة الاعددتها مصيبة أرجو ثوابها (وقال) أبو على الثقفى المعروف كنز لا ينفد من بر ولا فاجر (وكان) الزبير من أجود الناس وأشجعهم ولما مات وجد عليه مائتا ألف دينار (ووجد) مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم مالم يأتك واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته (وقال) على بن أبي طالب كرم الله وجهه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك (وروى) مالك فى الموطأ ان مسكينا سأل عائشة وهى صائمة وليس فى بيتها الارغيف فقالت لمولاة لها اعطيه اياه فقالت ليس عندنا ما تفطرين عليه فقالت اعطيه اياه ففعلت فلما أمست اهدى لها أهل بيت شاة وكفنها يعنى ملفوفة برغفان فقالت لها عائشة كلى هذا خير من قرصك (وقال) عبد الله ابن عمر ما كان أحدنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسب ان له فى الفضل شيئا (وقال) الحسن كنا نعد البخيل من يقرض أخاه الدرهم (ومن) عجائب ما روى فى الايثار ما ذكره أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى أحرقوه فأحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالى لولا أم لى وكان بجانبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليست لى أم فادفع الى رقعتك وخذ رقعتى ففعلا فقتل هذا وتخلص هذا (وحكى) عن أبي العباس الانطاكى رضى الله عنه انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الرى ولهم أرغفة لا تسع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما رفع

اذا الطعام بحاله لم يأكل كل واحد منهم ايثار الصاحبه على نفسه (وروى) انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب القلوب فحضر طبق فيه تين أخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يمد يده فان ظفر بحبة حصرم أكلها وان ظفر بطيب دفعه الى صاحبه ولم يأكله فلما رفع الطبق اذا الطيب كله فى الطبق لم يأكلوا منه شيئا (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافى فى يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت يا أبا نصر الناس يزيدون الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت تنقص فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لى ما أواسيهم فاردت ان أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد (وقال) الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبى ثور وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف أتدرى لماذا تقدم وتساق قال نعم قال وماذا يعجلك قال آوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليتعرف حالهم فألقى القاضى على أبى الحسن النورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى أبكى القاضى فأرسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر من ينادى من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد (وروى) ان عبد الله بن جعفر وكان أحد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يقوم عليها فأتى بقوته ثلاثة أقراص ودخل كلب فدنى من الغلام فرمى له قرصا فأكله ثم رمى له الثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال

ماهى بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر أألام على السخاء وهذا أسخى منى فاشترى الحائط والغلام ومافيه من آلات وعتق الغلام ووهب ذلك له (وقال) الثورى رأيت محمد بن سوقة بالغدو صاحب مائة ألف وبالعشى سألناه من أصحابه خبزة (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد الله الروذبارى الى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وهناك بيت مقفل فكسر القفل وأمر بجميع ماوجده فيه فانفذوه الى السوق فباعوه واصلحوا لهم وقتا من الثمن فجاء صاحب البيت فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت الكساء وقالت ياصاحبنا هذا أيضا من جملة المتاع بيعوه فقال زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ونبقى شيئا ندخره عنه (وأما) عبد الملك بن بحر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال كنت أسأل لاخوانى الجنة فى صلاتى وأبخل عليهم بمالى (ويروى) ان الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها وبعث بها اليه وقال إنا لانعيرها فارغة (وقال) بزرجمهر لاعز أثبت اركانا ولا أبذخ بنيانا من بيت الكرم واكتساب الشكر وذلك ان العز المنتظم بالفعل الجميل باق فى قلوب الرجال فمن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمانواه وربح الشكر والثواب (ويروى) ان عبد الله بن أبى بكر وكان أحد الاجواد عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت اليه كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة من العرب مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله وقال ياغلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بى فقال ياغلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا فقالت أف لك فحمل اليها أربعين ألف درهم فما أمست حتى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصد رجل الى

صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين فدخل الدار وأخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شقت عليك الاجابة فقال انما أبكي لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتى (وقال) أكثم بن صيفى صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجد متكأ (وقال) الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا (ويروى) عن امرأة من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو فى جماعة من أصحابه ما السخاء عندكم قال البذل والايثار قالت فما السخاء فى الدين قال ان تعبدى الله سبحانه سخية بها نفسك غير مكرهة قالت أفتريدون على هذا جزاء قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشرة أمثالها قالت فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأى شئ سخيتم به وانما السخاء ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك أجرا ألا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيئا بشئ (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبدين أتظن ان السخاء فى الدينار والدرهم فقط انما السخاء فى بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) أبو بكر الدقاق ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواجد (وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد لم يكن يناول أحدا شيئا بيده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله الآخذ بيده من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من ان ترى يدى من أجلها فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما فى صحن داره فدخل عليه انسان فسأله شيئا فلم يحضره شئ فقال اصبر حتى أفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فلما خرج وعلم انه قد بعد صاح وقال دخل انسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل وفى معناه قال الشاعر

ملأت يدى من الدنيا مرارا * فما طمع العواذل فى اقتصادى
ولا وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) أبو مزيد أحد الكرام فدحه أحد الشعراء فقال ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي فادّع عليّ عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمسوا حتى دفعوا له عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف درهم في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (ولما) دخل ابن المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتني فاقة فقالت ما عندي شئ فلو كانت عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن اسيد فأرسلت بها في أثره فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للغلام اذهب لجواري فقل لهن من أرادت منهن ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (وقال) الاصمعي كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فأذن لي فاذا هو في شملة يخبط نوى لعنز له حلوب فاخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدّينا فأتته بزيت وتمر قال فدعاني فعذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله وثب الى طين ملقى في الدار فغسل به يديه ثم صاح بالجارية فقال اسقيني ماء فأتت بماء فشربه ومسح بفاضله على وجهه وقال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدّي شكر هذه النعم ثم قال عليّ بردائي فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له فتحمل ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطي السجان في كل يوم دينارا فاستكثره أصحابه وكرهوه

فى ذلك فقال لهم حفص بن عمارة سمعت سفيان الثورى يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك مافى يده فخر بهلول على يديه فقبلهما وجعل يقول سألتك بالله أنت سمعته يقول هذا فحلف بالله لقد سمعته يقول وقال الشاعر

ذرينى أكن للمال ربا ولا يكن * لى المال ربا تحمدى غبه غدا
أرينى جوادامات هزلا لعلنى * أرى ماترينى أوبخيلا مخلدا

(وكان) عبد الله بن أبى بكر ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين امامه وأربعين خلفه ويبعث لهم الاضاحى والكسوة فى الاعياد ويعتق فى كل عيد مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة آلاف درهم فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتى فقال احملوها على دابته الى داره وقال عبد الله بن زهير

وعاذلة تخشى الردا ان يصيبنى * تروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما قسم
وانى أحب الخلد لو استطيعه * وكالخلد عندى ان أموت ولا ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم على علي بن أبى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة الحياء يمنعنى من ان أذكرها قال خطها فى الارض فخط فى الارض انى فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسه حلتى فكساه الحلة (فقال)

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * لاتبغين بما قد نلته بدلا
لاتزهد الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

(فقال) على رضى الله عنه زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابى قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها شأنهم فقال مه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن الشخير اذا أراد

احدكم منى حاجة فليرفعها فى رقعة فانى أكره ان أرى فى وجهه ذل الحاجة (وقرئ) على القاضى أبى الوليد وأنا أسمع

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزرى بأهله * فأكرمت نفسى ان يقال بخيل
ومن خير حالات الغنى وأتمها * اذا نال خيرا ان يكون ينيل
عطاءى عطاء المكثرين تكرما * ومالى كما قد تعلمين قليل

(وقال عروة بن الورد العبسى)

وانى امرؤ عاف اناءى شركة * وأنت امرؤ عاف اناؤك واحد
أتضحك منى ان سمنت وان ترى * بجسمى شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

الشحوب بالضم الهزال اه

(وقال) بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفوس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت من الخاص والعام وجميع خصال الخير فروعه (وروى) انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فأمر به فبيع له ثم أمر ان يشترى له نصف ربع القفيز فقيل له تبيع وتشترى فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن اذا حزنوا (ولام) رجل حاتم طىء فقال

لعمرى لقد ما عضنى الجوع عضة * فآليت ان لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم الآن اعفنى * فان أنت لم تسطع فعض الاصابعا
وهل ما ترون الآن الا طبيعة * وكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

(وقال آخر)

أصون عرضى بمالى لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض فى المال
احتال للمال ان أودى فأجمعه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

أودى هلك اه

(وبروى) ان رجلا سأل الحسن بن على رضى الله عنه شيئا فأعطاه خمسة آلاف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فاعطاه

طها لسانه وقال يكون كراء الجمال من قبلي (ويروى) ان الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فأمر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سألت على قدرحاجتها ونحن نعطيها على قدرنعمتنا (ويروى) ان رجلا استضاف بعبد الله بن عامر بن كريز فلما أراد الرجل ان يرتحل لم تعنه غلمانه فسأل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من يرتحل عنا وفي معناه قال المتنبي

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

(الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما)

(الشح) في كلام العرب البخل ومنع الفضل (كان) النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا اللهم اني أعوذبك من شح نفسي واسرافها ووسواسها (وروى) جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (وقد) فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح أشد من البخل فان البخل أكثر ما يكون في النفقة وامسا كما قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة (وقال) ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه (وقال) في الشح أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فالشح ينبني على الكزازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله وانما الشح ان يطمع في ماليس له (ولهذا) قال ابن المبارك سخاء النفس بما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود اني أخاف أن أكون قد هلكت سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شئ فقال ليس بالشح الذي ذكره الله تعالى ولكن الشح ان تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما يتبع هواه فلم يقبل الايمان (وقال) طاوس الشح أن يبخل المرء بما في أيدي الناس والبخل

واول الحديث كما في الجامع اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح الخ اه

الكزازة بالفتح اليبس والانقباض اه

أن يبخل بما في يديه (وروى) أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح أن يمنع شيئا أمره الله به فقد وقاه شح نفسه (وقال) أبو التياح الاسدى رأيت رجلا في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي ولا يزيد على ذلك شيئا فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أقتل واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله تعالى أن لا يخلف ولا يثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد والخلق في ترك معاونتهم والنصح لهم (وقال) كسرى لاصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع أبدا (ولما) قدم الشافعي رضي الله عنه من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشتري بها ضيعة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق معه شيء (ولما) قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلني وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعى بتذكرته فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلي اياه (وروى) ان رجلا أراد أن يؤذي عبد الله بن عباس فأتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فأتوه فملؤوا الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر أن تشترى الفواكه في الوقت وأمر بالخبز والطبخ فاصلح القرى فلما فرغ قال لوكلائه أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء كل يوم عندنا (ومن) الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر والله الموفق للصواب

(الباب الثاني والثلاثون في الصبر)

(الصبر) زمام سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه

ينال

ينال كل خير ومكرمة (قال) الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا (وقال تعالى) انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (فعظم) وظائف الدين ذكر الله تعالى ورسوله جزاءه ملوما لمن أقامها الا الصبر فانه بغير حساب (قال) الله تعالى وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء (وقال) تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (وقال) تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (وقال) ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا (ثم) ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور (فالصبر) حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهى والمعاصى (الاترى) ان أهل الجنة نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (فأخبر) الله تعالى انه آتاهم جنته بصبرهم يعنى صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معاصى الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أى احبس نفسك (فمن) أمارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر فى الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا (وقال) سفيان بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (فعلق) الفلاح على الصبر والتقوى يعنى اصبروا على مافرض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثانى رابطوا على انتظار الصلوات (بدليل) ماروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (وقال) الحسن

فى قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ابتلاه بالكواكب فصبر وبالقمر فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر (وقال) تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين (فبدأ) بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم للانصار ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خير وأوسع من الصبر (وقال) ابن مسعود قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة ما أريد بها وجه الله فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت انى لم أكن أخبرته ثم قال لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على امرأة تبكى على قبر فقال لها اتقى الله واصبرى فقالت اليك عنى فانك لم تصب بمثل مصيبتى فلما انصرف قيل لها هذا رسول الله فجاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى (ويحتمل) هذا الحديث وجهان اما الطنافسى فقال معناه الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاتك بالجزع وأما القابسى فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت أمرها النبى عليه السلام بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان أو غلبة (ويروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (وفى منثور الحكم) قالت الصحة أنا لاحقة بأرض المغرب قال الجوع وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بأرض الحجاز قال الصبر وأنا معك قال الملك أنا لاحق بأرض العراق قالت الفتنة وأنا معك (واعلم) ان العجلة فى الامر خرق ومخرجها من قلة العقل وأخرق من ذلك التفريط فى الامر بعد القدرة عليه (ومثال) ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤها قليلا غلت بيسير من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها (وفى كتاب) جاويدان جرد وليس للعجم كتاب مثله قال يحرم على السامع

تكذيب القائل الا فى ثلاث هن غير الحق   صبر الجاهل على مضض المصيبة
وعاقل أبغض من أحسن اليه   وحماة أحبت كنة

❊(فصـــــل)❊ واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ماهو كسب للعبد وصبر على ماليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ماأمر الله تعالى به وصبر على مانهى الله عنه (فاما) الصبر على ماليس بكسب فصبر العبد على مقاساة مايتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة (وينقسم) من وجه آخر على أربعة أقسام (فأول) أقسامه وأولاها الصبر على ماأمر الله سبحانه وتعالى به والانتهاء عما نهى عنه (والثانى) الصبر على مافات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته بمصيبة (والثالث) الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها (والرابع) الصبر على مانزل من مكروه أو حل من أمر مخوف (وجميع) أقسامه محمودة بكل لسان وفى كل ملة وعند كل أمة مؤمنة أوكافرة (قال) اكثم بن صيفى من صبر ظفر (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر مطية لاتكبو والقناعة سيف لاينبو (وقال) ازدشير الصبر الدرك (وقال) عليه السلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه السلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال) ابن عباس أفضل العدة الصبر على الشدة (وقال) عبد الحميد الكاتب لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كان الشكر والصبر مطيتان لماباليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوة (وقال) ابن المقفع فى كتاب التيمة الصبر صبران فاللئام أصبر أجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفظة مرتبطا (وفى منثور الحكم) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا (وقال) بزرجمهر لم أرظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولامذلا للحساد كالتجمل

الكنة بفتح الكاف وتشديد النون امرأة الابن اوالاخ اه

الجاش النفس والحفظة بكسر فسكون الحمية والغضب اه

ولا مكسبا للاجلال كتوقى المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل فى مواضع الجد (فاما) القسم الاول وهو الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى والانتهاء عن محارمه فبه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (ولذلك) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال) الجنيد المسير من الدنيا الى الله سهل هين على المؤمن وهجر الخلق فى حب الله شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد (وسئل) عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس (وكان) حبيب بن أبى حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب يبكى ويقول واعجبا أعطى وأثنى عليه (وقال) الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال) عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى أعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال) عمر بن عبد العزيز للقاسم بن محمد أوصنى فقال القاسم عليك بالصبر فى مواضع الصبر (وقال) الحسن الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عند ما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء من خاف شيئا صبر على الفرار منه وصبر عند كراهية ما يحذر من ضرره ومن رجى شيئا صبر على طلبه ليظفر به (وأما) القسم الثانى وهو الصبر على مافات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح وأحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففى ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور ونظمه أبو تمام فقال

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والاسى * وتلك الايامى للبكا والمآتم

(وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا (وقال) الحسن والله لو كلفنا الجزع ما قدرنا به فالحمد لله الذى آجرنا على مالو نهانا عنه لصرنا اليه (وعن) هذا قالت الحكماء الجزع أتعب من الصبر ففى الجزع التعب والوزر وفى الصبر الراحة والاجر (ولو) صور الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع أقبح صورة وأحود طبيعة ولكان الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال) بعض الحكماء لو وكل الناس بالجزع للجئوا الى الصبر (وقال) شبيب بن شيبة المهدى ان أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه وأنشدوا

واذا تصبك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

(وقال آخر)

وعوضت أجرا من فقيدك لا يكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تتابع التلهف على فائت أو أكثر الفرح عند مستظرف (وقال) حكيم ان كنت جازعا على ما يفلت من يديك فاجزع على ما لا يصل اليك ومن ايقن ان كل فائت الى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول القضاء وقال الشاعر

اذا طال بالمحزون أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر
ولا شك ان الصبر يحمد غبه * ولكن انفاقى عليه من العمر

(وقال) بعض القدماء الصبر على أربع مراتب الشوق والاشفاق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت قصر عن الخطيئات (وأما) القسم الثالث فهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها فبالصبر

قوله واحود بالمهملة معناه ألأم وأبخل اه

والتلطف يدفع عادية ما يخاف وينال نفع ما يرجو (قال) النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال محمد بن بشر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسنّ وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
أخاق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

(وقال) بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ذمار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا على قصر خراب

ذمار بالفتح والتخفيف اه

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر

(وقال غيره)

نم للخطوب اذا أحداثها طرقت * واصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
فكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل صبر وشيكا بعده ظفر

(وتحته) مكتوب بخط آخر لو كان كل من صبر أعقب الظفر صبرنا ولكنا نجد الصبر فى العاجل يفنى العمر ويدنى من القبر وما كان أصلح لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيته لكتبت تحته فى الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله تعالى وأجر بغير حساب وفى الجزع استعجال الهم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبة وما أحسن لذى العقل اجتنابه هذا والسلام (وقال) بعض العارفين من صبر نال المنا ومن شكر نال النعماء قال الشاعر

الصبر مفتاح كل خير * وكل صعب به يهون
اصبر وان طالت الليالى * فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأ

انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (ويروى) ان جارية كانت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه تتصرف فى حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب دار على رضى الله عنه ويقول لها انى لأحبك فى الله تعالى فلما كثر منه ذلك شكته الى على رضى الله عنه فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقولى له والله انى لاحبك فيه فا الذى تريد فقال لها ذلك فقالت له والله انى أحبك فيه فقال لها تصبرين وأصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فدعا على رضى الله عنه الخياط فوجد أمره مستقيما على الصحة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) رضى الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لايخيب ظنه والعاقل لايذل بأول نكبة ولا يفرح بأول رفعة (وكان يقال) الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما) القسم الرابع وهو الصبر على مانزل من مكروه أوحل من أمر مخوف فيه تنفتح وجوه الآراء وتتوقى مكائد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى واصبر وماصبرك الابالله (وقال) تعالى واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور (وروى) ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت ان تعمل لله تعالى بالرضى فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا (وقال) على رضى الله عنه الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان (وقال) الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تفتح مغاليق الامور وأنشدوا

انما أجزع مما أتقى * فاذا حل فمالى والجزع

(ولما حبس) أبوأيوب خمسة عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فبعث الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فردّ عليه جواب رقعته

صبرا أبا أيوب صبر مبرّح * فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها

المناضلة المدافعة اه

اصبر فان الصبر يعقب راحة * فلعلها ان تنجلي ولعلها

(فلما) وقف أبو أيوب على ذلك كتب اليه

صبرتني ووعظتني فأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى أطلق مكرما ولتميم بن المعز

تماسكت صبرا واحتسابا فانني * أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول

عذابي ان اشكو الى الناس انني * عليل ومن أشكو اليه عليل

وان الذي يشكو الى غير راحم * ويفشو بما في نفسه لجهول

(وقال بعض الشعراء)

دع الدهر يجري بمقداره * ويقضي عجائب أوطاره

ونم نومة عن ولاة الامور * وخل الزمان بتدواره

فانك ترحم من قد غبطت * وتعجب من قبح آثاره

(وأنشد بعضهم)

ويمنعني الشكوى الى الناس انني * عليل ومن أشكو اليه عليل

ويمنعني الشكوى الى الله انه * عليم بما ابديه قبل أقول

(ولغيره)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * مالامرئ حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع احيانا بصاحبه * لا تيأسنّ فان الصانع الله

(وصرف) من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر (فالمتصبر) من صبر في الله على المكاره فتارة يجزع وتارة يصبر (والصابر) من لا يشكو ولا يجزع (والصبار) الذي لو جمع عليه جميع البلايا والمحن لم تتغير من وجهه الحقيقة وان تغير من وجهه الرسم والبشرة والخلقة كما قال الشاعر

صابر الصبر فاستغاث به الصبـ * ـر فصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا

(وهذا) أقوى بيت قيل فى الصبر وأحسنه (وقريب) منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا أصارنى * الى ان ينادى الصبر لا صبر لا صبر

(والصبور) هو الثابت على هذه المقامات (وقيل) أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وان من اخلاقى انى أنا الصبور (ويقال) الصبر لله فناء والصبر بالله بقاء والصبر فى الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وأنشدوا فى المعنى

اذا لعب الرجال بكل شئ * رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل منى * بمنزلة اليمين من الشمال

(وقال) المحاسبى من الصبر والتصبر حالة هى التنعم (وذلك) اذا رفع الله تعالى له علما من أعلام الآخرة يدله على منازل الصابرين عنده فيتنعم القلب بسرور النعم (وقال) أبو محمد بن الحارث الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلايا ومع وجدان اثقال المحنة وانشدوا

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى * واخفيت مابى منك عن موضع الصبر

مخافة ان يشكو ضميرى صبابتى * الى دمعتى سرا فتجرى ولا أدرى

(وقيل) للمحاسبى بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان فى صبرك رضى مولاك أما سمعت قول الحكيم

رضيت وقد أرضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضى صاحب الامر

(وقيل فى معناه)

سأصبر كى ترضى وأتلف حسرة * وحسبى ان ترضى ويتلفنى صبرى

(قال) شيخنا وشكاك لمن تحبه أعظم من شكاك لنفسك هذا أيوب عليه السلام لما أصيب بنفسه قال مسنى الضر ويعقوب لما أصيب بحبيبه قال يا أسفى على يوسف (قال) أحمد قال لى أبو سليمان الدارانى أتدرى بماذا أزال العقلاء الملامة عمن أساء اليهم قلت لا قال لعلمهم ان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه أنزلت بلائى بعبدى

فدعانى فما لقته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك (وقيل) فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذى لاشكوى فيه ولا بث (قال) أنس ماصبر من بث (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتستغزروا الدموع بالتذكر قال الشاعر

* ولا يبعث الاحزان مثل التذكر *

(ومما) يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى وترددالاسف قال الشاعر

لاتكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق

لاتخرج الغريق بالغريق

(وفى) منثور الحكم المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الانال مايرجوه من فرج وينبغى لمن نزلت به مصيبة أوكان فى شدة ان يبتغى تسهيلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر ما يتيقنه من وجوب الفناء وتقضى المسار وان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعليها يعادى من لاعلم له وعليها يحسد من لافقه له ولها يسعى من لاثقة له من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لاخيرها يدوم ولاسرورها يبقى ولا فيها لمخلوق بقاء فاذا تصور حقيقتها فحينئذ يرى الحوادث سهلة والمصائب هينة قال الشاعر

يمثل ذو اللب فى نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا

فان نزلت بغتة لم ترعـ * ـه لما كان فى نفسه مشغلا

رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا

(وقال) بعض الحكماء من حاذر لم يخدع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلق متوجعا ومن لم يشعر نفسه ماذكرنا من أحوال الدنيا وتقضى المسار ثم الثواء فى اللحود بين اطباق الثرى والجنادل قد فارقه الاحباء وأسلمه الاولياء وهجره القرباء والبعداء الفته الحوادث واثقا فسلبته الصبر

وضاعفت

وضاعفت عليه الاسى (وقال) ابن الرومى

ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف فهو غير مطاق

(وقال آخر)

تعودت مس الضر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
ووسع صدرى للاذى كثرة الاذى * وان كنت احيانا يضيق به صدرى
وحسن لى يأسى من الناس كلهم * لعلمى بصنع الله من حيث لا أدرى

(ولبعض الاعراب)

تعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يغنى ان يرى المرء جازعا * لنائبة أو كان يغنى التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة * ونازلة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه * ومالامرئ عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة * ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة * تحمل مالا يستطاع فتحمل
وقينا بحمد الله منا نفوسنا * فصحت لنا الاغراض والناس هزل

صليبة كشديدة وزنا ومعنى اهـ

(الباب الثالث والثلاثون فى كتمان السر)

(قال) الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل (وفى الحديث) استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود (واعلم) ان كتمان السر من الخصال المحمودة فى جميع الخلق ومن اللوازم فى حق الملوك ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والاتباع (قال) على رضى الله عنه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره (واعلم) ان أمناء الاسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتم الاسرار فان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز

الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وعبء الاسرار أثقل من عبء الاموال وان الرجل ليستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشى به ويثقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن جاشه وكانما القى عن نفسه جبلا (قال) عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه اقفالها والالسن مفاتحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره (ومن) أعجب الامور ان الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها الا السر فانه كلما كثرت خزانه كان أضيع له وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطواته (وقال) أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات (وقال) بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره فى غير أوداجك فاذا تكلمت به فقد أرقته (وكان) لعثمان بن عفان رضى الله عنه كاتب اسمه حمران وهو مولاه فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدى لعبد الرحمن بن عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى بماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان الخبر فقال عثمان أعاهد الله ان لا يساكننى حمران أبدا ونفاه الى البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان بن عفان (واعلم) ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فلا خير فى انسان لا يمسك سره (ويروى) ان رجلا أودع سره عند رجل فقال له أفهمت قال بل جهلت فقال أحفظت قال بل نسيت (وقيل) لبعضهم كيف كتمك للسر فقال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر (قال) الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت * منى الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت أول من ينسى سرائره * اذ كنت من نشرها يوما على خطر

(قال) شيخنا ومن أحسن شئ سمعته فى كتمان السر ما أنشده بعض فقهاء البصريين بالبصرة فقال

ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

(وفي معناه)

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا ان ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته من حيث لا تبلغ النفس

(وقال) العتبي أسر معاوية الى عثمان بن عنبسة حديثا قال فقلت لابي ان امير المؤمنين أسر الي حديثا أفاحدثك به قال لا من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا قلت يا أبت أفيدخل هذا بين الرجل وابنه قال لا يا بني ولكن أكره ان تعود لسانك افشاء السر قال فحدثت به معاوية فقال أعتقك أخي من رق الخطا (وقيل) لبعض الملوك ما أصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه و يكتم سره وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون التلاد وانني * بسرك عمن سالني لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه * يبث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني * كتوم لاسرار العشير أمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته * مكان سويداء الفؤاد مكين

(قال) شيخنا قلت الناس يقولون أراد بالاثنين المودع والمودع ولا يبعد أن يريد به الشفتين (وكان) يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا (وقد) روى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة (قلت) واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال (وقال) أبو بكر ابن حزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره (وقال) هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا انتقص ايمانه (وقال) جعفر بن عثمان

ياذا الذي أودعني سره * لا ترج ان تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كانه لم يجر في أذني

(وكان) عمرو بن العاص يقول ما أفشيت سرى الى رجل فافشاه على فلمته اذ كان صدرى به أضيق (وقال) الاحنف بن قيس يضيق صدر أحدهم بسره حتى يحدث به غيره ثم يقول اكتمه على (ومن) امثال الفرس اذا أفشيت الى سرك وأوصيتنى ان لا أبوح بالسر فهلا أوصيت بهذا نفسك (وفى) منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدوا

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

(وفى منثور الحكم) من أفشى سره كثر عليه المتآمرون قال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى

(وقال آخر)

ولا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوز الاثنين فاشى

(وقال غيره)

تبوح بسرك ضيقا به * وتبغى لسرك من يكتم
وكتمان سرك فيما تخاف * وفيما تحاذره أحزم
اذا ذاع سرك من مخبر * فأنت اذا المتهم الوم

(وقال آخر)

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الملوم

(وقال) حكيم ما كتمته عن عدوك فلا تطلعن عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته لقرينة تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح مسالم فمن صفات أمين الاسرار ان يكون ذا عقل ودين ونصح ومروءة فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كملت فيه فهو عنقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الوديعة خائن (قال) صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك لطالبه منك فالطالب للسر مذيع (وفى) الجملة اذا زال سرك عن ذنبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه اذا اودعته

قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التململ بتمليك سرك لغيرك (واعلم) ان افشاء سر غيرك أقبح من اظهار سر نفسك لأنه يبوح باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان مؤتمنا أو النميمة ان كان مستخبرا (وقال) بعض الحكماء لابنه يا بنى كن جوادا بالمال فى مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان أحمد جود المرء الانفاق فى وجه البر والبخل بمكتوم السر (وكان) يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

ألم تر أن وشاة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

(وقال غيره)

ما كل مكتوم يباح به * احذر لسانك من جوالبه
فمرارة الكتمان أعذب من * بث تحاذر من عواقبه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * أيام تلعب فى جوانبه
هذا هوى لو فحت به * ضحك الحسام الى مضاربه

(الباب الرابع والثلاثون فى بيان الخصلة التى يصلح عليها الامير والمأمور وهى رهين من سائر الخصال وزعيم بالمزيد من الآلاء والنعماء من ذى الجلال والاكرام وهى الشكر)

(قال) الله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام وقد آتاه الله تعالى ملك الدنيا والجن والانس والطير والوحش والرياح تجرى بأمره حيث أراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فما عدها نعمة كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنها ملوك الارض بل خاف أن تكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال الله تعالى فى أمة أرادهلا كهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين (جاء) فى التفسير أصب عليهم النعم وأنسيهم الاستغفار وانما الفرح بما أوتى من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزبرجها من شعار الكفار ألا ترى الى قول قارون اللعين انما أوتيته على

علم عندى فكان جزاؤه ماقال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (ولما) خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجا كان جوابه ماقال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (واعلم) أرشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ النعم فقط بل هو مع حفظه لها زعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم (والشكر) على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بالجوارح (فأما) الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو أن تعلم أن النعمة من الله تعالى وحده وان لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الابتداء تها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك بمعرفة انعام الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذى يقال فيه يجب على العبد أن يشكر الله تعالى على نعم اسديت الى غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى أيقنوا أنها من الله تعالى (والى) هذه الكلمة انتهى جميع ماقاله الخلق فى الشكر والدليل عليه أيضا قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أى فاتقونى فانه شكر لنعمتى (وخلق) الله الحياة نعمة على العبد فقال تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع (ويقال) فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة (وقال) أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر (وروى) ان داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى (وقال) وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس فيه شعرة الا تحتها منك نعمة وفوقها منك نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه ياداود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان مابك من نعمة فمنى (وفى هذا) يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره

على شكر الشكر الى مالا يتناهى وهذا الشكر أيضا واجب (ونظم) محمود الوراق كالاماني المعنى فقال

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن أقر بنعمة الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كلف لان أحدا لا يمكنه أن يوازى شكر نعمة الله تعالى (وفى مناجاة) موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف يشكرك قال ان يعلم ان ذلك منى فكان معرفته بذلك شكره لى

(فصـــــل) وأما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث (قيل) يعنى النبوة وقيل يعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم (روى) النعمان بن بشير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى والتحدث بالنعم شكر (وقال) الله تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تذاكروا النعم فان ذكرها شكر (وكتب) عدى بن أرطاه الى عمر بن عبد العزيز لما حفر نهر البصرة الذى يقال له نهر عمر انى حفرت لاهل البصرة نهرا عذب لهم مشربه وجادت عليه أموالهم ولم أرلهم على ذلك شكرا فان أذنت لى قسمت عليهم ما أنفقت عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز انى لا أحسب أهل البصرة خلوا من رجل قال الحمد لله حيث حفرت هذا النهروان الله قد رضيها شكرا من جنته فارض بها شكرا من نهرك والسلام (وحقيقة) الشكر فى هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بأنه شكور حقيقة فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر الله للعبد ثناؤه عليه باحسانه واحسان الرب للعبد

انعامه عليه (وهذه) اللفظة مأخوذة من قولهم دابة شكور اذا ظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف (ويقال) وجه شكور اذا كان ممتلئ المحاسن ظاهرها (وفى الحديث) يقول الله تعالى أنا والجن والانس فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى (وقال بعضهم) انما أوتى الناس لانهم فى موضع صبرهم يحسبون أنهم فى موضع شكر

(فصـــــل) وأما الشكر الذى على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فجعل العمل شكرا (وقال) عطاء دخلت على عائشة رضى الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا أم المؤمنين حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا انه أتانى فى ليلة فدخل معى فراشى حتى مس جلده جلدى ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى فقلت انى أحب قربك فأذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت له يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا فلم لا أفعل وقد نزل على ان فى خلق السموات والارض (فجعل) النبى صلى الله عليه وسلم الشكر بالعمل وبين فيه مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا اى كل واحد منهما يخلف الآخر فمن فاته العمل فى احدهما عمله فى الآخر (فجعل) الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا (وقال) أبو هارون دخلت على ابى حازم فقلت له رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أذعته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت له ما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته

قلت

(قلت) فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فأنت الشاكر حقا (وفى حكمة) ادريس عليه السلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله تعالى على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع به الخالق تعالى (واذا) ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد ملازمة من غيره (فالطاعة) فى مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها لانها من جنس النعمة فاذا أردت أن تحرس دوام نعم الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء (والطاعة) فى رفع ذوى الضعة والخمول والمسكنة بغير معصية أشبه بالشكر على رفع قدرك والتنويه باسمك (والطاعة) فى تمريض الفقراء وتلطيف أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات (والطاعة) فى الشفاعات عند السلطان وقضاء حوائج الغرباء والاخوان أشبه بذوى الحاجة من سائر الطاعات (وعلى) هذا المثال ينبغى أن تقابل سائر نعم الله تعالى على العبد (ومن) العبارات الجامعة للشكر أن يقال معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح

(فصـــــل فى الكلام على الزيادة) (قال) الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قال) قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعونى أستجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده (وقال) قوم معناه لازيدنكم نعم الآخرة (فان قيل) انما تكون الزيادة من جنس المزيد عليه (فأجابوا) بأن النعم الدنيوية والاخروية وان تفاضلت واختلفت كلها متجانسة من حيث انها نعمة (وقال) قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون فى كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما

فان من سأل الله تعالى أن يعطيه مالا أو يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال أنفقه فى المعاصى أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشى فى الآثام فالمنع ههنا وهبة من الله جزيلة (ومن) ههنا قالت العلماء منع الله تعالى عطاء (وقال) قوم يمكن تقدير الاستثناء فيها لئن شكرتم لأزيدنكم الا ان تعصوا فأعاقبكم بالحرمان فأجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من ان اعاقبكم فى الآخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو تهيأ ان يسلموا من الذنوب لدرت الزيادات قال الله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين (وقال) قوم الآية خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من يشكر الله تعالى على الحيوة (قال) الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه لم يشكر بل قد أخل بالشكر الذى أخذ عليه اما ان لا يزكيه أو يزكيه لغير اهله او يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم اذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله تعالى ما منه من الاحسان واذا كان قوم فى ظل العافية فان الله تعالى لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب او اخلال بحق او إلمام بذنب كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا يعصى الله تعالى بنعمه وان جوارحك كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تعصه بها (ويحتمل) أن يكون معنى الآية لئن شكرتم لأزيدنكم ان شئت ألا ترى انه قال من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يؤتونه فيكون التقدير نؤته منها لمن نشاء بدليل قوله فى الآية الاخرى عجلنا له فيها

وفى الطبرانى عن أبى أمامة لولا ان المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم كذا فى الجامع الصغير اهـ

ماشاء ان نريد وهكذا قوله تعالى ادعونى أستجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجاب لهم ولكن معنى الآية أستجب لكم ان شئت ولمن شئت بدليل قوله تعالى فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد (قال) الجنيد كنت بين يدى السرى وأنا ابن تسع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى ياغلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله عز وجل بنعمه قال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكى على هذه الكلمة (فان قيل) مامعنى قوله تعالى وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ومايحصل من الافعال فى الوجود يمكن احصاؤه (قلنا) نعم الله على وجهين دفع ومنع فالمنع يمكن احصاؤه ودفع البلايا نعم لايمكن احصاؤها ومايدفع الله عنهم مما فى مقدوره من ذلك ومايدفع الله تعالى عن العبد لايحصى

(فصـــــل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء فى الشكر (فقال) بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجده لم يذم وان عدمه لم يقم (واجمعت) حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدّى شكرها (وقال) بعض الحكماء من أعطى أربعة لم يمنع أربعة من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب (وكان) يقال اذا رعيت النعم بالشكر فهى أطواق واذا رعيت بالكفر فهى أغلال (قال حبيب)

نعم اذا رعيت بشكر لم تزل * نعما فان لم ترع فهى مصائب

(وبعث) الحجاج الى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذى ذكرنى (قال) على بن أبى طالب لاتكن ممن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى تنهى ولا تنتهى وتأمر الناس بما لم تأت تحب الصالحين ولا تعمل بما عملوا وتبغض المسيئين وأنت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولاتدعها

فى طول حياتك (وقال) المغيرة بن سعيد اشكر من أنعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقاء لنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم (وكان) الحسن يقول ابن آدم متى تنفك عن شكر النعم وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت ما تنفك بالشكر عن نعمة الا الى ما هو أعظم منها (وقال) سفيان لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام قال على أى دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة (وروى) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعا الى قوم ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يبلغهم فأعتق عثمان رقبة شكرا لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة رجل مسلم (ويروى) ان الحسن بن على التزم الركن وقال الهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم ولا من الجانى الا الجفا (وقال) عون بن عبد الله الخير الذى لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة (وروى) ان نملة قالت لسليمان بن داود يا نبى الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا ثم قال لولا أنى أبجلك لسألتك أن تنزع عنى ما أعطيتنى (وقال) صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما يعبؤ الله تعالى بخلق هذه فأنطقها الله تعالى وقالت يا داود تعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتانى الله أذكر لله وأشكر له منك فيما آتاك ولمحمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا

متى ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

(وكان) لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله فجىء بمجوس مجوسى مبطون وقيد وجعل حلقة فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى وكان المجوسى

يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول وأى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ما كنت تصنع (ولبعضهم)

ومن الرزية ان شكرى صامت * عما فعلت وان برك ناطق
أأرى الصنيعة منك ثم أسرها * انى اذن ليد الكريم اسارق

(وقال) رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص الى قلبك وهو الشيطان وأخذ التوحيد فما كنت تصنع (ولما) بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سأل المغفرة فقيل له فيه فقال لاشكره فانى كنت أعمل قبل المغفرة فبسط الملك جناحه فرفعه الى السماء (ويروى) ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بحجر صغير يخرج منه الماء فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله تعالى يقول وقودها الناس والحجارة وأنا أبكى من خوفه فدعا النبى عليه السلام ان يجيره الله من النار فأوحى الله اليه انى أجرته من النار فمر النبى ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه مثل ما كان فعجب فانطق الله تعالى الحجر فقال له لم تبكى فقال ذلك بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور (وروى) أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادى المبتلى والمعافى فقال الهى ما بال المعافى قال لقلة شكره على عافيتى اياه (وأولى) رجل اعرابيا بلاء حسنا فقال لا أبلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك ولا أنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وانشدوا

ساشكر لا انى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يرى ذلك الشكر
وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(ولبعضهم)

أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلاشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(ولبعض العرب في المعنى)

الهي قد أحسنت عودا وبدأة * الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذري اقراري بان ليس لي عذر

(وكان) مطرف يقول الهي تكون منك النعمة وعليك تمامها وأنت تعين على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد (قال) الله تعالى في الثناء على بعض عباده انه كان عبدا شكورا (وقال) شاكرا لأنعمه اجتباه وكذلك سائر ما اثنى الله على عباده ثم قال تعالى ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ليس للرب تعالى فيها الا قليل ولا كثير فانه أجل من ان ينال الحظوظ وأجل من ان يلحقه ثناء مثن أو شكر شاكر فأخبر ان العلو والجلال له دونهم وانه مقدس عن الناس بثناء مثن أو كفر كافر قال تعالى يدعوكم ليغفر لكم فوا عجبا أعطى ثم أثنى (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه كفر النعمة داعية للمقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة أو قضيت له حاجة ان يكافي فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها قال الشاعر

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لرفعة مال أو علو مكان
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروا لي أيها الثقلان

(وقال بعضهم)

لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاعتي * لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

(وقال) اسحاق بن ابراهيم الموصلي وقفت علينا امرأة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرأ فهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف وأعان على عفاف (شعر)

فلو كان للشكر شخص يبيـ * ـن اذا ما تأمله الناظر
لمثلتـــــه لك حتى ترا * ه فتعلم اني امرؤ شاكر

ولكنه

ولكنه ساكن فى الضمير * يحركه الكلام السائر

(وقيل) للسرى ما الشكر فقال المكافأة على قدر الطاقة قيل فما الكفر قال ترك الجزاء ولو بالثناء قيل وهل يكون أحد أبخل ممن يبخل بالثناء قال نعم من عادى على الصنيعة *

(الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس وتسهل صحبة الخلائق أجمعين مستخرجة من القرآن العظيم)

(قال) الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يماثلونا فى خلقتنا ولا أشكالنا ولا فى عقولنا ولا سائر ماتدركه العين منهم ومنا فتبقى المماثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فألحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة (فاذا) رأيت الرجل الجاهل فى خلائقه الغليظ فى طباعه القوى فى بدنه الذى لا يؤمن طغيانه وافراطه فألحقه بعالم النمور والعرب تقول أجهل من نمر وانت اذا رأيت النمر بعدت عنه ولا تخاصمه ولا تشاتمه فما لك بالرجل كذلك (واذا) رأيت الرجل الغالب على اخلاقه السرقة خفية والنقب ليلا على وجه الاستتار فهذا يماثل عالم الجرذ فدع ملاحاته ومخاصمته كما تدع سباب الجرذ اذا أفسد رحلك بما يصلح له (واذا) رأيت الرجل هجاما على اعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلاب ان يعقومن لا يعقوه ويبتدى بالاذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلاب اذا نبحك ألست تذهب فى شأنك ولا تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يهتضم عرضك مثل ذلك (واذا) رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا قال نعم وان قلت نعم قال لا فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان أدنيته

الجرذ كصرد ضرب من الفيران اه

بعد وان أبعدته قرب وأنت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تفارقه فاستمتع أيضا بهذا الانسان ولا تسبه ولا تفارقه (واذا) رأيت رجلا يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فمثله فى الآدميين كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع النغلة منه ذوات المدة والدم والنجاسة فاستر ذلك الموضع ولا تحاميه (واذا) بليت بسلطان يهجم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة * ولا قرار على زأر من الاسد * (واذا) بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب (واذا) بليت بمن يمشى بالنمائم ويفرق بين الاحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا وخاصة هذه الدويبة اذا جاءت وسط جماعة ان يتفرقوا وكان الجماعة اذا أقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك ينبغى اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض (واذا) رأيت انسانا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويألف سماع أخبار الدنيا والخرافات وما يجرى فى مجالس العوام فألحقه بعالم الخنافس فانه يعجبه أكل العذرات ويألف روائح النجاسات ولا تراه الا ملابسا للاخلية والمرحضات وينفر من روائح المسك والورد واذا طرح عليه المسك وماء الوردمات (واذا) رأيت انسانا انما دأبه حفظ الدنيا لا يستحى من الوثوب عليها فألحقه بعالم الحدآن بان تمكن رحلك عنه (واذا) بليت بالرجل عليه الاناة والسكينة وقد نصب أشراكه لاصطياد الدنيا وأكل أموال الودائع والامانات والارامل واليتامى فألحقه بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه * ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلا * ان الفؤاد قد انصدع

قوله النغلة الخ نغل الاديم كفرح فسد اه

قوله الظربان بكسر فسكون اه

فاحترز منه كما تحترز من الذئب (واذا) بليت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان
الانسان الكذاب كالميت فى الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما
لا تصحب الموتى لا يصحب الكذاب (وقد قيل) فى المثل كل شئ شئ الا صحبة
الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت
الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل وأخرى تحت طاقة من الرمل وسائر
بيضه فى قعر الحفرة فاذا رآه الغراب أخذ تلك البيضة ويكشف عن وجه
الرمل فيجد الاخرى فيظن انه ليس ثم شئ آخر والخبير بحالة النعام اذا رأى
البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة فكذلك
الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية فى الكشف عنه (واذا)
رأيت رجلا انما دأبه ان يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها يبيض ثيابه
ويعدل عمامته ويأنف ان يمسه شئ غيره وينظر فى عطفيه ويطرح القذى عن
ثوبه ليس له همة بين الجلساء الا نظره الى نفسه واصلاح ما انثنى من ثيابه
فألحقه بعالم الطواويس التى هذه صفتهم فانه يتبختر فى مشيه وينظر الى
نفسه ويفرش ذنبه فتتخذه الملوك استحسانا له (واذا) رأيت انسانا حقودا
لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب
تقول فلان أحقد من جمل وكما تجتنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل
الحقود (واذا) رأيت انسانا منافقا يبطن خلاف ما يظهر فألحقه بعالم اليربوع
وهو فأر يكون فى البرية يتخذ جحرا تحت الارض يقال له النافقاء وله فوهتان
يدخل من احداهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم
أحد بأخذه دخل جحره وخرج من الباب الآخر فيحفر الصياد خلفه فلا
يظفر بشئ كذلك حال المنافق لا يصح منه شئ (وعلى) هذا النمط كن فى صحبة
الناس تسترح منهم وتريحهم فلعمر الله ما استقامت لى صحبة الناس
وسكنت نفسى واسترحت من مكابدة اخلاقهم الا من حيث سرت معهم بهذا
السير (وقال) الرباحى يا بنى رباح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه فانى أخذت
من الثعلب روغانه ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه ومن الكلب

صولته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمر مشى الليل ومن الشمس الظهور والحين بعد الحين

(الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيب النفوس)

(اعلم) أيها الملك انك ان كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وخالفت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضمت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك وبلغك منهم ما يسوءك ورأيت منهم مالا يعجبك فاعلم انك لست بالله فلا تطمع ان يصفو لك منهم مالا يصفو منهم للاله (وفصل) الخطاب فى هذا الباب ان تعلم ان الله خالق الخلائق أجمعين وأنعم عليهم بأنواع من النعم فأكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم أفاض عليهم نعمه فكملت لهم اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته بل قالوا فيه مالا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه وأضافوا اليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقالوا ما للخلق صانع كما حكاه الخالق عنهم فقال نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحييهم ويميتهم ويصح أجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينعمهم ويقضي مآربهم وأوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا ويبلغهم آمالهم فى معظم ما يحتاجون اليه فمعاصيهم اليه صاعدة وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذى حال أولى بها (وفى مناجاة) موسى عليه السلام انه قال الهى أسألك ان لا يقال فىّ ما ليس فىّ فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ذلك شئ مافعلته لنفسى فكيف أفعله لك (وفى هذه) السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن تذكر مع انك ان التمست رضاء جميع الناس التمست مالا يدرك وكيف يدرك رضاء جميع المخلوقين فيا أيها

الملك الذى كتب الله عليه الفناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المحصورة كيف اردت ان يصفو لك من الرعية مالم يصف منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات بعيد ماطلبت ومستحيل ماأملت فلك فى الله اسوة حسنة ان ترضى منهم مارضى الله تعالى منهم وتسير فيهم بسيرة ربهم فيهم ألم تر كيف أحسن اليك ورضى منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم والاموال والخول وانظر كيف يستر زلاتك ويغفر هفواتك ولا يفضحك فى خلواتك ففى هذا مايهد النفوس ويهذب ذوى العقول ويهدى الى الصواب ويوضح طريق الرشاد ولله در عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقد كان راغبا لما تلوته عليك فانه روى عنه انه كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك أميرك

*(الباب السابع والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال)

(أيها) الملك اذا اعتلجت الامور فى صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت فى قلبك وجوه الآراء وتنكرت عليك المعارف واكفهرّ لك وجه الزمان ورأيت آثار الغير فلا تغلبنك خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طوارق الحدثان وماياتى به الملوان (فقد) روى ان المأمون قال فى آخر موافقته مع أخيه الامين قد نفدت الاموال وألحت الاجناد فى طلب الارزاق فقال المأمون بقيت لاخى خصلة لوفعلها ملك موضع قدمىّ هاتين قيل له وماهى فقال والله انى لأضن بها على نفسى فكيف على غيرى فلما خاص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لوأن الامين نادى فى جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين ملك الامر علىّ ولكن الله غالب على أمره (ولما) خشى المأمون انتقاض بيعته مع أهل خراسان فى فتنته مع أخيه الامين فاستشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن

قوله مرجت أى اختلطت واكفهرّ أى أظلم والملوان الليل والنهار الواحد ملا كعصا اه

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم والذى عندى ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة وبسط العدل والقعود على اللبود وتواصل النظر فى كشف المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء الملوك تعدهم بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن أختنا وابن عم نبينا عليه الصلاة والسلام وانقادوا اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان (ودخل) تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند (وهو) أن يصطنع وجوه كل قبيلة والمقدمين من كل عشيرة ويحسن الى حملة القرآن وحفظة الشريعة ويدنى مجالسهم ويقرب الصالحين والمتزهدين وكل مستمسك بعروة الدين (وكذلك) يفعل بالاشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل غط فهؤلاء هم أزمة الخلق وبهم يملك من سواهم (فمن) كمال السياسة والرياسة أن يبقى على كل ذى رياسة رياسته وعلى كل ذى عزعزه وعلى كل ذى منزلة منزلته فحينئذ تكون لك الرؤساء أعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فأخلق به أن يدوم سلطانه والعامة والاتباع دون مقدميهم وساداتهم أجساد بلا رؤس وأشباح بلا أرواح وأرواح بلا قلوب (ولما) قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كير يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال سق الكير يا صبي فسارت مثلا

(الباب الثامن والثلاثون فى بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان)

(قال) حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصر به على قدره فأورثه ذلك طعنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فأورثه ذلك بطرا واما رجل منع خصلة من الانصاف (وفى الامثال) احسانك الى الحر يبعثه على المكافأة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة

(وقيل) للاسكندر ان فلانا يبغضك و يسيء الثناء عليك فقال أنا أعلم انه ليس بشرير فينبغي أن نعلم هل أتاه من ناحيتنا أمر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها رثة فأمر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أما ترون أن الامر الينا أن يقال فينا خيرا أو شرا (وينبغي) للسلطان أن لا يتخذ الرعية مالا أو قنية فيكون عليهم بلاء وفتنة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونوا له جندا وأعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

(الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجائر)

(مثل) السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة وأول ما يبصر المبصرون وينقد الناقدون الواسطة وانما يثني المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة غمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كما قال ابن صعدة لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فكشفت عن وجه ابنتها فاذا وجه كأنه فلقة قمر قد أثقلتها بالجواهر واليواقيت وأنواع الدرر فالتفتت الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه (وكما) ان جمال الملك ان يلي الواسطة الافضل فالافضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان سيء النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب فالاقرب اليه أهل العلم والعقل والادب والرأي والأصالة والشرف والحصافة وذوي الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك فهو نقص في التدبير وكما ان جمال العقد بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله (ومثل) السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت ألم وقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في ميسوره من الآلات والمناقيش والابر على اخراجها لانها في غير موضعها الطبيعي ويوشك أن يقلع بالاجرة فأين غرر الياقوت من شوك القتاد (وروى) أبو داود ان خاتم دانيال النبي عليه السلام كان

قوله والحصافة بمهملتين من أحصف الامر اذا أحكمه اه

عليه منقوش صورة أسدين و بينهما صورة دانيال وهما يلحسانه لئلا ينسى نعمة الله عليه

(الباب الاربعون فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان)

(اعلم) أرشدك الله ان الزمان وعاء لاهله و رأس الوعاء أطيب من أسفله كما ان رأس الجرة أروق وأصفى من أسفلها (فلئن قلت) ان الملوك اليوم ليسوا مثل الملوك الذين مضوا (فالرعية) أيضا ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بأن تذم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم بأولى من أن يذمك أميرك اذا نظر آثار من مضى من الرعية فاذا جار عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر (روى) البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت قال بايعنا النبى صلى الله عليه وسلم فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا و يسرنا وأثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان (ومنه) قال ابن عباس من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه من خرج عن السلطان شبرا مات ميتة جاهلية (وعنه) فى رواية أخرى من فارق الجماعة شبرا فمات الامات ميتة جاهلية (قال) ابن مسعود قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم انكم سترون بعدى أثرة وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يارسول الله قال أدوا اليهم حقوقهم واسألوا الله حقكم (وروى) أبو داود فى سننه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم مالا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم وليدعوا لكم (وهذا) حديث عظيم الموقع فى هذا الباب فندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيه ونكف ألسنتنا عن سبهم (يا عبد الله) لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه فى كفة المنجنيق ليقذف به فى النار قال اللهم انك تعلم ايمانى بك وعداوة قومى فيك فانصرنى عليهم واكفنى كيدهم (وقال) مالك بن دينار وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى انى أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن

بواحا بفتح الباء والواو أى ظاهرا اه

اثرة بضمتين أى رونقا اه

أطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة فلا تشغلوا
أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم (وفي) بعض الكتب
ابن آدم تدعو علي من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت أجبت لك
وأجبت عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسعكم العفو
(وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل ملجأك في الاعداء المكافأة
ولكن الثقة بالله (وروى) أبو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعائشة
رضي الله عنها فجعلت تدعو على من أخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ألا تسبخي يعني ألا تخففي عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى
فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية
لانه من قبل توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما ظلمك فان استجيب دعاؤك فيه زاد
ظلمه لك (ومن) الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا
دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضيل لو ظفرت ببيت
المال لاخذت من حلاله وصنعت منه طيب الطعام ثم دعوت الصالحين
وأهل الفضل من الابرار والاخيار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعو ربنا أن
يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه أمرنا (ولما) قدم معاوية
المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان واأبتاه فقال معاوية
يا ابنة أخي ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحت
غضب فأظهر والنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان
انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري تكون علينا أم لنا ولأن تكوني
ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين (وروى) ان
رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له واعتدى عليه فذهب الى المنصور
فقال له أصلحك الله أأذكر لك حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال له بل
اضرب لي قبلها مثلا فقال أصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه
فانه يفر الى أمه لنصرته اذلا يعرف غيرها ظنا منه انه لا ناصر له فوقها فاذا
ترعرع واشتد فأوذي كان فراره وشكواه الى ابيه لعلمه بأن أباه أقوى

من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه أمر شكا الى الوالى لعلمه بأنه أقوى من أبيه فان زاد عقله واشتدت شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بأنه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرها الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه قال بل ننصفك وأمر بأن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه

(الباب الحادى والاربعون فى كما تكونوا يولى عليكم)

(لم أزل) أسمع الناس يقولون أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى أن ظفرت بهذا المعنى فى القرآن قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا (وكان) يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك عملك (وقال) عبد الملك بن مروان ما أنصفتمونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرتهما نسأل الله أن يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت فى السماء ونحن فى الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم (وقال) عبيدة السلمانى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبى بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما أضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما وقد اتسعت فصارت عليكما أضيق من شبر فقال لان رعية أبى بكر وعمر كانوا مثلى ومثل عثمان ورعيتى أنا اليوم مثلك وشبهك وكتب أخ لمحمد بن يوسف يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغنى كتابك وتذكر ما أنتم فيه وليس ينبغى لمن يعمل المعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الا من شؤم الذنوب والسلام

(الباب الثانى والاربعون فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية)

حزبه أمر أى نابه اه

قوله كما تكونوا الخ هو فى الجامع الصغير مروى عن أبى بكرة وعن أبى اسحاق السبيعى مرسلا اه

(اعلم) ان أدعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية وأقواها أثرا فى تمسكهم بادابهم وحفظهم لمروآتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سفساف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب أهل البطالة والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع والماجن الرقيع أبى نؤاس الشاعر وصمة عظيمة عليه أوهن بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره وأطلق ألسنة الخلق بالشتم والثناء القبيح على نفسه فحاربه بذلك اخوه المأمون على الولاية ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وأنفذ براسه الى المأمون وكان يعمل كتبا تقرأ على المنابر من خراسان فيقف الرجل فيذم أهل العراق فيقول أهل فسوق وخمور وماخور ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب أبا نؤاس رجلا شاعرا ماجنا كافرا يستصحبه معه لشرب الخمور وارتكاب المآثم ونيل المحارم وهو القائل

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت له وجوه الورى فلما بلغ ذلك الامين حبسه ثم أطلقه بعد ان أخذ عليه ان لا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا (فمن) أراد السلطان اصلاح رعيته وهو متماد على سيئ أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسد مع فقد رأسه أو أراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكمن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء (ولقد) أصاب الخليل فى قوله أصلح نفسك لنفسك يكون الناس تبعا لك (وقديما) قيل من أصلح نفسه أرغم أنف أعاديه ومن أعمل جده بلغ كنه أمانيه (وسئل) بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه قال باصلاح نفسه (ولابى) الفتح البستى

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس فى الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

الماخور بيت الريبة اه

(وصحبة) الاشرار تورث البوار وصحبة الاخيار تقتل النار وصحبة الاشرار كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيبا فمحال اصلاح رعيتك وأنت فاسد وارشادهم وأنت غاو وهدايتهم وأنت ضال (وقد) سبق المثل من العجائب أعمش كحال (وتقول) العرب ياطبيب طب نفسك وكيف يقدر الاعمى على أن يهدى والفقير على أن يغنى والذليل على أن يعز فبعدك عن تطهير غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب عن ابراء غيره من داء به مثله (وقال) بعض حكماء الهند لن يبلغ ألف رجل فى اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل مايبلغ رجل واحد فى اصلاح ألف رجل بحسن الفعل دون القول (وفيه) قول القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
مازلت تلقح بالرشاد عقولنا * صفة وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فان انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى * بالرأى منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(ولكن) أقوى الاسباب فى صلاحهم عند قوة صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم وذوى الاحلام الراجحة والمروآت القائمة والاذيال الطاهرة فمتى كان رأس العامة سراتهم فهوالطريق الى حفظ أديانهم ومروآتهم وتماسكهم عن الانهماك فى المحظورات وملابسة المحرمات قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولاسراة اذا جهالهم سادوا

(وقال) مردك الفارسى خلتان فى السلطان أقرب الى صلاح الرعية مماسواهما ثقة الرأى وشدة الرحمة وما أحق بالسلطان أن يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه فحينئذ يكون رئيس

الرؤساء

الرؤساء وأميرا على السادة والفضلاء وان أهملهم فى ركوب شهواتهم وتوسط لذاتهم ذهبت أديانهم وسقطت مروآتهم وبقوا كما جاء فى المثل فى الجماعة المذمومة تقول العرب فى القوم لا رؤساء فيهم ولا سراة بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاسنان الحمار أماترى * لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا

ولأن تكون أميرا على الفضلا والرؤساء خير من أن تكون أميرا على الاخساء والدمادية والغوغاء والزناة (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرنى من عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل فى سلطانى فقال له بعض جلسائه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من أكون أميرا (ولما) سار داود الى الحجاز فى الدولة العباسية ليقتل من هناك من بنى أمية قال له عبد الله ابن الحسين يا ابن عم اذا أسرعت فى قتل أكفائك فمن تباهى بسلطانك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية وأذهب شرهم تكن رئيس الاخيار الممدوحين ولا تكن رئيس الاشرار المذمومين فتكون كراعى البقر (ولما) استولى تبع على ملك الهند قال له قد وهبتك لقومك ووهبتهم لك فأنزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فكل أمة لم تبلغ مراتبها وغلت صدورها وغلت قلوبها فاستحقت فتكها وهان عليها أعمارها وملك أمورها شرارها وأنت أعلم بهم فمن أطناب المملكة وقواعدها أن لا يسلب رئيس رياسته ويبقى على كل ذى عز عزه ويولى كل ذى منزلة منزلته فحينئذ يأمن من نوائب الاعداء التى هى نتائج الضغائن والاحقاد

قوله سواسية الخ قال الاخفش اجمع سواء على غير قياس والاصل سواءسى يعنى السى الذى هو المثل ثم خافوا ايهام كونها اسمين باقيين على الاصل فحذفوا مدة سواء اه

(الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية)

(كتب) ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلب ذلك منهم بالاحسان هو أدوم بقاء منهم بالاعتساف واعلم أنك انما تملك الابدان فتخطاها الى القلوب بالمعروف واعلم أنه

اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا التصنع والرياء (وفى سير المتقدمين) قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعوها من شئ فليعلموا انه فيها (واعلم) ان الرعية اذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل (وليس) هذا خلاف ماروى عن معاوية ان رجلا اغلظ له فحلم عليه فقيل له أتحلم على مثل هذا فقال انى لا أحول بين الناس وألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعنى اذا عدلت لم يتكلموا بشئ (وهذه) السيرة أحسن من سيرة ازدشير لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك للاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضى ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن يعجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل وأين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت أمس فى عدة قليلة وتلك حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها فوقع من عم احسانه أمن أعداءه (وما) أحسن ما قال عبد الملك بن مروان يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ينفى عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والغداء (وقالت العجم) اسوس الملوك من قاد رعيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالها من العامة كرها ولكن فى التى يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير (وقال) عمر بن عبد العزيز انى لأجمع ان أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف ان لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا (وقال) معاوية لزياد من اسوس الناس انا وأنت فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه كمن سمع الناس وأطاعوا له باللين (وروى) ان سليم مولى زياد فخر بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فما ادرك صاحبك بسيفه

الا ادركت اكثر منه بلسانى

(الباب الرابع والاربعون فى التحذير من صحبة السلطان)

(اتفقت) حكماء العرب والعجم فى وصاياهم على النهى عن صحبة السلطان (قال) فى كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة (وكان) يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا صحبة السلطان (وقال مردك) أحق الامور بالتثبت فيها أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور (وفى حكم الهند أيضا) صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يكافئ خير السلطان شره لان خير السلطان لا يعدو مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التى لها طلب المزيد ولا خير فى الشئ الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف (ولهذا) لما قيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويردى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون (وأخبرنى) أبو العباس الحجازى وكان ممن درج أرض الهند والصين وانتهى الى صين الصين الى جبل الياقوت بالهند وان فيه ثعابين عظيمة ليس فى معمور الارض أعظم منها وان الواحد منها يبلع الثور صحيحا فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا كثرت الامطار أحدرت السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسيرة أيام من الجبل فيبحث الناس عن ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت (وقال) معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد (وقال) المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان (وقال) الاحنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا ليقتدى بى لا أتكلف لجليسى الا بما أحضره به

ولا أدخل فى أمر لا أدخل فيه ولا آتى السلطان الا ان يرسل الىّ (وقال) ابن المقفع لابنه ان وجدت من السلطان وصحبته غناء فاغن عنه نفسك واعتزله جهدك فانه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذات الدنيا ومن لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة (وقال) ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحب سلطانا وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان اقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا (وفى) منثور الحكم كثرة الاشغال مذهلة عن وجود اللذات بكنهها وكم قد رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل العقل والفضل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قال الاول

عدوى البليد الى الذكىّ سريعة * والجمر يودع فى الرماد فيخمد

(ومثل) من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه (وفى) كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يكرم عليهم الا ان يطمعوا فيما عنده فيقربوه عند ذلك فاذا قضيت حاجتهم تركوه ولا ود ولا إخاء الابجرّ البلاء والذنب لا يغفر (وقال) بزرجمهر لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مواخاة الاخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض حكماء الفرس المال والسلطان مفسدان لكل أحد الا لرجل له عقل كامل (وقالت) الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركبه أخوف (وقالوا) من لزم باب السلطان فصبر صبرا جميلا وكظم الغيظ وطرح الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر لكن بادناه (وكانت) العرب تقول ان لم تكن من قرباء الملك فكن من بعدائه (وفى حكم الهند) انما مثل السلطان فى قلة وفائه فى أصحابه وسخاء نفسه عمن فقده منهم كمثل صبيان المكتب كلما ذهب واحد جاء آخر (والعرب) تقول السلطان ذو غدوات وذو بدوات وذو نزوات

تريد انه سريع الانصراف كثير البدوات هجام على الامور

(الباب الخامس والاربعون فى صحبة السلطان)

(قال) ابن عباس رضى الله عنهما قال لى أبى يابنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى أوصيك بخلال ثلاث لاتفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا (قال) الشعبى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال اى والله خير من عشرة آلاف (وقالوا) اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالجهد والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأى الملك الا بحسن أثره (وقال) بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش ما أطلعك عليه ومن دل على السلطان استقله ومن امتن عليه عادله ومن أظهر انه يستشيره أبعده (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك اخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر من الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا أن تكلمه على رؤس الناس فلا تأل بما عظمته وذكرته (وقال) ابن المقفع اتكن حاجتك فى سلطانك ثلاث خلال رضاء ربك ورضاء سلطانك ورضاء من تلى عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذخر فسيأتيك منهما مايكفى ويطيب (وقال) مسلم بن عمر لمن عدم السلطان لاتغتر بالسلطان اذا حباك ولا تتغير اذا أقصاك (وروى) ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وماهن قال لاتهتك لى سرا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فمالى عليك قال لا أفشى لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت (وقيل) لعبد

الله بن جعفر ما الخرق قال الدلالة على السلطان والوثبة قبل الامكان (وقال) ابن المقفع أولى الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة (وقال) يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتأكدة (وقال) بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم فهو حسبهم منك ولا تعط السلطان مجهودك فى أول صحبتك له فلا تجد بعد للمزيد موضعا ولكن دع للمزيد موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيره اذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك و يثق بك فاياك والدخول بينه و بين بطانته فانك لاتدرى متى يتغير لك فيكونون عونا عليك واياك ان تعادى من اذا شاء يطرح ثيابه و يدخل مع الملك فى ثيابه فعل (وفى الامثال) القديمة احذر زمارة المخدة وقد قيل

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

(وفى الامثال) لاتدل فتمل ولا توجف فتجحف (وقال) الرشيد لاسماعيل ابن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لا تغش السلطان ولا تقعد عنه (وقالت) الحكماء شدة الانقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب الملالة (واعلم) ان من طلب العز بالذل كانت ثمرة سعيه الذل احرز منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتها من الجد والمناصحة واحذر أن يحطك التهاون عما رقاك اليه التحفظ أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال) الاحنف بن قيس لا تقبضوا على السلطان ولا تهالكوا عليه فان من أسرف على السلطان أوداه ومن تضرع له تخطاه (وقال) ابن عباس ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلة

السلطان والولد والغريم (واعلم) انه انما يستطيع صحبة السلطان أحد رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين لا يحسده احد فاما من أراد أن يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف فقلما تستقيم له صحبة لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد فاما الصديق فينافسه فى منزلته فيطعن عليه فى نصيحته له فاما اذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان معرضا للهلاك (وقال) بعض الحكماء من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة (وقيل) لا يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قفاه ويخرج دمه ويقلع ضرسه (وفى) الامثال لا حلم لمن لا سفيه له (وكان) ابن عمر رضى الله عنهما اذا سافر الى مكة استصحب رجلا فيه مافيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغادة والدعارة (وقال) المعتصم ان للسلطان لسكرات فمنها الرضى عمن استوجب السخط والسخط عمن استوجب الرضى (ومنه) قول الحكماء خاطر من لج البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان (وقال) ابن المقفع لابنه لا تعدّن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العزة تبسطه فى غير بأس ولا سخط (وقال) سامبد احد حكماء الفرس أربعة أشياء ينبغى ان تفسر للفهم كما تفسر للبليد ولا يتكل فيها على ذكاء أحد تأويل الدين وأخلاط الأدوية وصفة الطريق المخوف والرأى فى السلطان (واعلم) ان السلطان اذا انقطع منك الآخر نسى الاوّل فأرحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الامن رضوا عنه فى وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالى خلالا لا تنبغى فلا تكابره على ردّها فانها رياضة صعبة لكن أحسن مساعدته على أحسن رأيه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصر الخطايا اللطيفة أكثر من تبصرك والعدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ماقبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ماقبله من

الاستحقاق والاستناء فانك اذا استحققته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أعجل له (وقال) يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الأحمق المبغض (وقال) ابن خالد لبعض اخوانه تنكر لى هارون الرشيد فقال ارض بقليله من كثيره واياك أن تسخطه فيكون السخط منك

(الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند)

(اعلم) ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جفن الثغور وحراس الابواب والعدّة للحوادث وامداد المسلمين والجد الذى يلقى العدو والسهم الذى يرمى به والسلاح المدفوع فى نحره فبهم يذب عن الحريم ويؤمن السبيل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والرادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليمضوا فى الطلب وان كانت عليهم فلينكسوا الأعنة وليجمعوا الأسنة وليذكروا أخبار غد (وينبغى) للملك ان يتفقد جنوده كما يتفقد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذى لا ينفعه فمن العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع وهو بالقلع أجدر ولا يصلح الجند الا بادرار أرزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنائهم وبلائهم وجنود الملك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوسها (وقال) أبرويز لابنه شيرويه لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء (ولما) افضى الامر الى أبى جعفر المنصور أنفذ جيشا وقال لقواده سيروا واعملوا هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابى أجع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسى فقال يا أمير المؤمنين اخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (ويروى) ان كسرى وضع طعاما فى سماط فلما فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل

قوله الاستناء من أستن اذا دخل فى السنة اه

الجام إناء من فضة اه

من أصحابه وقد أخذ جاماله قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال مالكم فقالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم أخذه من لا يرده ورآه من لا يفضحه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلة جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل) عمرو بن معاذ وكان على الطوائف بم قدرت على جيوش الطوائف وكان يغزو فى كل سنة ويجهز الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الطيور والقديد والكعك (وروى) ان بعض الملوك كان ظالما لرعيته شديد الاذى لهم فى أموالهم فعوتب فى ذلك فقال أجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض الحكماء فقال ربما أكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه وفى نقيض هذا المعنى قالوا سمن كلبك يأكلك وذلك ان رجلا كان له كلب يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويرجو أن يصيب به خيرا ويحرسه ويصيد به فأتاه ذات يوم وهو جائع فوثب عليه الكلب فأكله فقيل سمن كلبك يأكلك (وأنشدوا)

وقد سمنوا كلبا ليأكل بعضهم * ولو أخذوا بالحزم ما سمن الكلب

(الباب السابع والاربعون فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج)

(أيها) الملك من طال عدوانه زال سلطانه (واعلم) ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحة الامن ونتاجة العدل وهو حصن السلطان ومادّة الملك والمال أقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وحياة الارض فمن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع فى حقه ويمنع من السرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود نفعها عليها (فيا أيها) الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام (ويا أيها) الملك مر جباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير أذى ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعتها وهول صوتها (ولما) عزل عثمان رضى الله عنه عمر بن العاص رضى الله عنه عن مصر استعمل عليها ابن

أبى السرح فحمل من المال أكثر ما كان يحمل عمرو بن العاص فقال عثمان يا عمرو أشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو وذلك لانكم أعجفتم أولادها (وقال) زياد أحسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا (وفى) منثور الحكم من جاوز فى الحلب حلب الدم (وفى الامثال) اذا استقصى العجل مص أمه رفسته (وقال) جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استعزز بمثل العدل وما استذلل بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد وتعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج الجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته ومن يدمن هذا العمود يوشك أن يضعف وتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارض فيتركونها فتخرب الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمعت الاعداء فى السلطان (أيها) الملك كن بما يبقى فى يد رعيتك افرح منك بما تأخذ منها لا يقل مع الصلاح شئ ولا يبقى مع الفساد شئ وصيانة القليل تربية للجليل ولا مال لاخرق ولا عيلة لمصلح (وروى) ان المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا فحدثه بحديث فقال يا أمير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أنكحك ابنتى الا ان تجعلى فى صداقها مائة ضيعة خرابا فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة (وسمعت) بعض شيوخ بلاد الاندلس من الجند وغيرهم يقولون مازال

أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو فى ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقتطعة فى أيدى الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته فكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوفرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاجون اليه الى ان كان الامر فى آخر أيام ابن ابى عامر فرد عطايا الجند مشاهرة وأخذ الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واحتجبوا أموالهم واستضعفوهم فهربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ولم يزل أمر المسلمين فى نقص وأمر العدو فى ظهور الى ان دخلها المأمون فرد الاقطاعات كما كانت فى الزمان القديم ولا أدرى ما يكون وراء ذلك

(الباب الثامن والاربعون فى سيرة السلطان فى بيت المال)

(وهذا) باب سلكت فيه ملوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين عليهم السلام والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحجبها عن الرعية وتعدها اليوم كريهة على ما بينا فى الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء من بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها وتصطنع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمتم ان جوعه كان أكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهون فى صاع من شعير عند يهودى وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز (وكان) النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه بلاد اليمن كانت تجبى اليه الاموال فيفرقها يومها وقد توضع فى المسجد وتفرش الانطاع عليها أو يفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وبيده خريقة فيها ذهب فقسمه ثم قال ما ظن آل محمد

لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلات فتجعل في بيت أو يكون بالناس عنها غنى في ذلك الوقت فتجعل في بيت فمن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روى ان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت فيه مال فقال يا بيضاء يا حمراء ابيضي واحمري وغري غيري ثم أمر فقسم ما فيه بين المسلمين وأمر قنبرا أن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه (ثم ان كثيرا) من الملوك ساروا في الاموال على هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما أهلك بلاد الاندلس وسلطاعليها الروم ان الروم التي كانت تجاورها لم يكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالطاس ويأخذ مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ منها شيئا وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطيننا تحجب الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فبهذه الخلة قهرونا وظهروا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو الملك بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف احدهما قوى الآخر فاذا ضعف بيت المال ببذله للحماة قوى الناصر واشتد بأس الجند فيقوى الملك واذا قوى بيت المال وامتلأ بالاموال قل الناصر وضعفت الحماة فضعف الملك فوثب عليه الاعداء (وقد) شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذن كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدافع بالاموال بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال (وقد) قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال لتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية للاعداء يعني اذا جمعت المال أضعفت الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو (وانما) مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيه عين معينة فان هو

قام على البستان فاحسن تدبيره وهندس أرضه وغرس اشجاره وحظر على جوانبه ثم أرسل عليه الماء فاخضرّ عوده وقويت اشجاره وايتعت ثماره وزكت بركاته فكانوا جميعا فى امان من الضيعة لايخافون فقرا ولاشتاتا وان هو رغب فى غلته وجبايته ولم ينفق فيه مايكفيه ولاساق اليه من الماء مايرويه رغبة فى الغلة وضنا بالمال ضعفت عمارته ورقت أشجاره وقلت ثماره وذهبت غلته ومحق الدهر ماجنى من غلته فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا (ومثال) الملك فى جمع المال ليتقوى به على الاعداء مثال طائر ينتف ريشه ويمص أصوله ويأكل مانبع منها فاذله مابها وأعجبه خصب جسمه على ذلك فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى الارض فأكلته الهوام والحشرات (ورأيت) فى أخبار بعض الملوك ان وزيره أشار عليه بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فتى احتجتهم عرضت الاموال عليهم فتهافتوا عليك فقال الملك هل لذلك من دليل قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا فأمر باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان بعض أصحابه فى ذلك فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس فى كل وقت أردتهم حضروا قال هل لذلك من دليل قال نعم اذا أمسينا سأخبرك فلما أظلم الليل قال للملك هات الجفنة بالعسل فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة (وقد) روينا عن سيرة بعض السلاطين فى أرض مصر وكان قد ملكها وكان اسمه بلدقوزانه كان يجمع الاموال ولايحفل بالرجال فقيل له ان أمير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكأنه قادم عليك فاستعدّ الرجال وأنفق فيهم الاموال فأومأ الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال فى الصناديق فغزا أمير الجيوش ذلك الملك فى مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رأيه رأيا فاسدا الان رجالا يقيمهم لوقته ويصطنعهم لحاجته انما يكونون أجنادا مجمعين وشرذمة ملفقين ليس فيهم غنى ولاعندهم دفاع ولاممارسة للحروب (ومن) السير المروية فى هذا

الباب انه لما فتحت العراق جيء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال أأدخله بيت المال قال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه فغطى فى المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما أصبح نظر الى الفضة والذهب والياقوت والزبرجد والدرة للألأ فبكى فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين والله ما هذا يوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال انى والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا فى قوم الا وقع بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم انى أعوذ بك ان أكون مستدرجا فانى أسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقة بن مالك بن جعشم فأتى به وكان أشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه سوارى كسرى وقال البسهما ففعل ذلك فقال قل الله أكبر قال الله أكبر ثم قال قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة رجلا اعرابيا من بنى مدلج ثم قلبهما وقال ان الذى أدى هذا لامين فقال له رجل أنا أخبرك أنت أمين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما أديت الى الله فاذا رتعت رتعوا قال صدقت وانما البسهما سراقة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ولم يجعل له الا السوارين (ولما) ولى أبو بكر الصديق جاءه مال من العمالى فصب فى المسجد وأمر فنادى من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فليحضر قال أبو أيوب الانصارى فقلت حينئذ يا خليفة رسول الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى لو جاءنى مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار بكفيه فسكت أبو بكر فانصرفت ثم عاودته فقلت اما ان تعطينى واما ان تبخل عنى فقال ما أبخل عنك اذهب فخذ فذهبت فحفنت حفنة قال عدها فعددتها فوجدتها خمسمائة دينار قال عد مثلها فعددت مثلها فانصرفت بألف وخمسمائة دينار وأبو أيوب من أغنياء الانصار وهو نزيل النبى صلى الله عليه وسلم (دل) الحديث على ان بيت المال للغنى والفقير (ودل) أيضا على انه لا يجب ان يساوى فيه بين جميع

المسلمين

المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام (والدليل) عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له العباس اعطنى من هذا المال الذى عندك قال اذهب فخذ فبسط ثوبه وحثى فيه فلما جاء ليحمله يعجزعنه فقال يارسول الله احمله علىّ قال لا قال مر من يحمله علىّ قال لا فنثر منه ثم جاء ليحمله فعجز عنه فقال يارسول الله احمله علىّ قال لا قال مر من يحمله علىّ قال لا فنثر منه ثم حمله على عاتقه فأتبعه النبى صلى الله عليه وسلم بصره حتى غاب عنه

(فصــــــل) قال الحسن بن على الاسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام من أموال مصر بحق الخراج مما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار (من ذلك) ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح السبل وفى تقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البدار وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطريق الارض ثمانمائة ألف دينار (ولما) ينصرف فى أرزاق الاولياء المرسومين بالسلاح وحماته من الشاكرية والغلمان وأشياعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب مرسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم وعدتهم مائة ألف واحدى عشر ألف رجل من العين ثمانية آلاف ألف دينار (ولما) يصرف للارامل والايتام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم من بر فرعون أربعمائة ألف دينار (ولما) يصرف فى كهنة برابيهم وسائر بيوت صلواتهم مائتا الف دينار (ولما) يصرف فى الصدقات وينادى منادى برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة

قوله اضطهاد أى جور وظلم اهـ

الاحضر فيحضر لذلك من يحضر فلا يرد واحدا والامناء جلوس فاذا رأوا انسانا لم يجر رسمه أفرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل أمناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعواله بطول البقاء ودوام العز والسلامة وأنهوا اليه حال تلك الطائفة فيأمر بتغيير شعثها بالحمام واللباس ثم يمد السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وأكثر وان كان عن سوء رأى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يصرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة الى أن يصلح من العين مائتا ألف دينار (ولما) يصرف فى نفقات فرعون الراتبة لسنته مائتا ألف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار (وقال) أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى من تحت منازلها وأفنيتها فيحبسوه كيف شاؤا ويرسلوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون (وكان) ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض ملك أعظم منه وكانت الجنات بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان الى رشيد (وكانت) أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا فى جسورها وحافاتها والزرع من بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف منبر (وقال) عبد الله بن عمرو استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد والى حيث قصد

فلبس

فليس بمصر خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون وأخبره الخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيدان يعطف على عبيده و يفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما فى أيديهم ردّ على أهل القرى ما أخذت منهم فردعليهم أموالهم (فهذه) سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله و يوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال) ابن عباس فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم قال هى خزائن مصر وكانت أربعين فرسخا فى مثلها ولم يطع يوسف فرعون و يخالفه و ينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فأسلم فحينئذ قال اجعلنى على خزائن الارض (ولما) استوثق أمر مصر ليوسف الصديق عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد ربك أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وجاءت سنوا الغلاء والجوع مات العزيز وذهبت الذخائر وافتقرت زليخا وعمى بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك و يغنيك فطالما حفظتيه وأكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما يتذكر منك ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسيئ اليك و يكافئك على ما كان منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه وجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن أنت قالت أنا التى كنت أخدمك على صدورقدمى وأرجل جمتك بيدى واكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وذقت وبال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وفنى عمرى وعمى بصرى وصرت أسأل وأتكفف فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى بعد ان كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم هذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى فى قلبك من حبى شئ فقالت والذى اتخذ ابراهيم خليلا

لنظرة اليك أحب الى من مل الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها رسولا وقال لها ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك انا اعرف انه يستهزئ بى هو لم يردنى ايام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وانا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت فتزوجها وأدخلت عليه فصف يوسف قدميه وقام يصلى ودعا الله باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما (فيجب) للقوى ان لا ينسى الضعيف وللغنى ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب يصير راغبا ومسئول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا) يوسف الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه فى يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصواع (وهذه) زليخا ملكة مصر وسيدة أهلها عادت تتكفف الناس فى الطرقات (قال) الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (وكان) يوسف بعد هذا يجوع ويأكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان أشبع فأنسى الجائعين (وقد رأيت) ان أتحفك بمنقبة فى مثلها يتنافس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك انى لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك الغالب على ألقابه خوجه بزرك رحمه الله قد وزر لابى الفتح ملك شاه بن الب ارسلان وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتهما أحسن قيام فشد اركانهما وشيد بنيانهما واستمال الاعداء ووالى الاولياء واستعمل الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والمبغض والحبيب والبعيد والقريب حتى ألقى الملك بجرانه وذل الخلق لسلطانه وكان الذى مهد له ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه انه أقبل بكليته على مراعاة حملة الدين فبنى دور العلم للفقهاء وانشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء

الجران ككتاب مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره اه ق

ثم

ثم أجرى لهم الجرايات والكسى والنفقات وأجرى الخبز والورق لمن كان من أهل العلم مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهى بيت المقدس الى سائر الشام الأعلى وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها الى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو زاهد أو متعبد فى زاويته الا وكرامته شاملة له سابغة عليه فكان الذى يخرج من بيوت أمواله فى هذه الابواب ستمائة ألف دينار فى كل سنة فوشى به الوشاة الى أبى الفتح الملك وأوغلوا صدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الاموال يقام به جيش يركز رايته فى سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب أبى الفتح الملك فلما دخل عليه قال يا أبت بلغنى انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغنى عنا فبكى نظام الملك وقال يا بنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فيمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك ومنهمك فى شهواتك وأكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيوف طولها ذراعان وقوس لا ينتهى مدى مرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور وأنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدى ربهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون وبدعائهم تثبتون وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكى أبو الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال يا أبت شاباش يا أبت شاباش اكثر لى من هذا الجيش (ومن) مناقب هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له أبو سعيد الصوفى فقال له يا خوجه أنا ابنى لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون فى معمور الارض مثلها يخلد

بهاذكرك الى ان تقوم الساعة قال فافعل فكتب الى وكلائه ببغداد أن يمكنوه من الاموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها أحسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها أسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات ووقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسودد وذكر جميل طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك فى سنى عشر الخمسين وأربعمائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ مايقارب ستين ألف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب ان جميع ما أنفق نحو تسعة آلاف دينار وان سائر الاموال احتجنها الى نفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى اصبهان للحساب فلما أحس أبو سعيد بذلك أرسل الى الخليفة أبى العباس يقول له هل لك فى ان أطبق الارض بذكرك وأنشر لك فخرا لاتمحوه الايام قال وما هو قال ان تمحو اسم نظام الملك عن هذه المدرسة وتكتب اسمك عليها وتزن له ستين ألف دينار فأرسل اليه الخليفة يقول انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى أصبهان فقال له نظام الملك انك رفعت لنا نحوا من ستين ألف دينار وأحب ان تخرج الحساب فقال له أبو سعيد لا نطل الخطاب ان رضيت فيها والامحوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك فارسل معى من يقبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال ياشيخ قد سوغنا لك جميع ذلك ولاتمح اسمنا ثم ان أبا سعيد بنى بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا فى رباط أبى سعيد الصوفى وأوقافه يتقلبون ببغداد (ففى) مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها اعز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا (وقد) قال الشاعر

ولا

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

(فانتهز) فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا وتذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك كما ادخروا (واعلم) ان المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أى الثلاثة شئت والسلام وفى مثله يقول أبو القاسم الحريرى صاحب المقامات

مالك من مالك الا الذى * قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول أعمالى ولو فتشوا * رأيت اعمالك اعمى لكا

(وكان) ابن ابى داود الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا ويبتدى بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغنى بسط يدك بالعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم رفع راسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر اجرها واصل اليك ومفاتيح شكرها موصول بك وانما لى من ذلك محبتى فى ايصال الثناء اليك فقال الواثق بالله انت جد بالعطاء واكثر الشكر والثناء والله اعلم

(الباب التاسع والاربعون فى سيرة السلطان فى الانفاق من بيت المال وفى سيرة العمال)

(اعلم) ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فأنسى الجائعين (وروى) البيهقى قال لما استخلف ابو بكر الصديق غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب اين تريد قال السوق قال قد جاءك ما شغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلنى عن عيالى قال يفرض لك بالمعروف قال فانفق فى سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم ووصى ان ترد من ماله فى بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصرى قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله فوجدوه قد انفق فى سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوها عنى فقضوها عنه ثم قال

يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ماترون ولا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وائتمرتم وان شئتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خيرا فبكوا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا فقال اني قد اخترت لكم عمر (ويروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما ولي لم ينفق من مال الله تعالى شيئا (قال) وغدا يوما الى بني عمرو بن عوف وكانت له هناك امراة من الانصار في جمال يريد بيعها فلقيه بعض المسلمين فقال له ما تصنع هذا يشغلك عن المسلمين وعن النظر في امورهم قال فكيف اصنع قال تتفرغ للنظر في امورهم وتنفق من هذا المال قال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال وكان ينفق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فلم ينفق منه (فقيل) له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل ولكني أخذت من هذا المال فان يكن لي فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فأين قولهم عن عمر انه رد ثمانين ألفا قال كذبوا انما يقول ذلك أعداء الله هو لم يجز لولده سلف أبي موسى الاشعري اياه حتى اخذ منه نصفه فكيف يأخذ من مال الله ثمانين ألفا (ولما) توفي أبو بكر استرجع علي بن أبي طالب وجاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما واكملهم ايمانا وأشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحفظهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه صديقا فقال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآنسته حين تخلفوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا اكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخليفته في امته بأحسن الخلافة

فقويت

فقويت حين ضعف اصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة اذ وقفوا كنت اطولهم صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك عظيما عند ربك محبوبا الى اهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر بن الخطاب رحم الله ابا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا (وروى) البيهقي عن عمر بن الخطاب انه قال اني انزلت نفسي من مال الله سبحانه بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف (وفي رواية) اخرى ان احتجت اخذت منه فاذا ايسرت رددته (وفي) رواية أخرى اخبركم بما أستحل من مال الله وما قال يحل لي استحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للقيظ وما احج عليه واعتمر وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم (وقال) أنس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر بن الخطاب فأكل عمر خبز الشعير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستنكره بطنه فصوّت فضربه بيده وقال هو والله كما ترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة احداها أديم احمر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صنم يشير بأصبعه الى الارض وقد عقد أربعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وثم شيء فاحتفروا فاستخرجوا اسفطا فيه جوهر فكتب الى عمر أما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتفرت فوجدت سفطا فيه جوهر فلم اجد أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من فيء المسلمين فاقسمه بينهم انما اصبنا شيئا تحت الارض فلما قدم السفط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كأن نارا أججت وهو يراد أن يلقى فيها فكتب الى السائب ان اقدم علي فقال

السفط ما يخبأ فيه الطيب ونحوه وجمعه اسفاط كسبب وأسباب اهـ

فقدمت عليه وهو يطوف فى ابل الصدقة فطفت معه نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعالى بماء فاغتسلت ثم ذهب الى منزله فأتى بلحم غليظ وخبز متحمش ثم قال انظر من على الباب فاذا اسودان من اهل الصفة فأذن لهم فجعل يأكل معهم فاذا اللحم غليظ لا أستطيع أن اسيغه وقد كنت تعودت درمك أصبهان اذا وضعته فى فى نزل بطنى ثم دعا بالسفط فقال أتعرف خاتمك قلت نعم قال كتبت ترفق بى تزعم انى احق به من اين اصبته فأخبرته قال اذهب فاجعله فى بيت مال المسلمين حتى اقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا فى هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا (وقال) عبد الله بن عمر العمرى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قدم الشام قال لابى عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال ماتريد الا ان تعصر عينيك على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبدا وشنا وصحفة وأنت امير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جرابه فأخرج منه كسيرات فبكى عمر فقال ابو عبيدة قد قلت انك تعصر عينيك على يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا ابا عبيدة (وقال) النخعى بعث عمر بن الخطاب مصدقين فأبطؤا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة يختلف فى أولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع فدخل بيته حتى اذا امكن اكله اكل ثم قال من ادخله بطنه النار ابعده الله (وقال) طاوس أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب فما اكل سمنا ولا سمينا حتى اكل الناس (وقال) سعيد بن جبير ان عليا رضى الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره بخرقة ليست بقطرية من ورائه فجاء اعرابى فنظر الى تلك الخرقة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام

درمك بجعفر الدقيق الابيض اه

الشن والشنة القربة الخلق الصغيرة اه

والبس

والبس واركب فانك ميت أومقتول قال ان هذا خيرلى فى صلاتى واصلح لقلبى واشبه بسنة الصالحين قبلى واجدران يقتدى بى من أتى بعدى (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب بينماهو يعس فى المدينة بالليل اذأتى على امرأة من الانصار تحمل قربة فسألها فذكرت ان لها عيالا وان ليس لها خادم وانها تخرج بالليل فتسقيهم الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدى على عمر غدوة يخدمك خادما قالت لا أصل اليه قال انك ستجدينه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا هى به فعرفت انه الذى حمل قربتها فذهبت تولى فأرسل فى أثرها وامر لها بخادم ونفقة (ولما) حج عمر قال كم بلغت نفقتنا يايرفا قال ثمانية عشر دينارا ياامير المؤمنين قال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر ابن الخطاب الشأم طاف بكورها حتى نزل حمصا فقال اكتبوا لى فقراءكم فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فعجب عمر وقال كيف يكون اميركم فقيرا قالوا انه لايمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه ألف دينار يستعين بها فى حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك اصابك امير المؤمنين بشئ قال اعظم من ذلك أتتنى الدنيا دخلت على الدنيا وانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين عاما فوالله مايسرنى انى حبست عن الرعيل الاول وان لى ماطلعت عليه الشمس قالت فاصنع به ماشئت قال هل عندك معونة قالت نعم فأتته بخمارها فصرالدنانير فيه صررا ثم جعلها فى مخلاة وبات يصلى ويبكى حتى أصبح فاعترض جيشا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها فقالت له امرأته رحمك الله لوحبست منها شيئا نستعين به قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لواطلعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ريح المسك وانى والله ماأختارك عليهن فسكتت (وروى) ان عمر بن الخطاب استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه أن يقدم عليه فلم يشعر به عمر ان قدم ماشيا

الرعيل كأمير مقدمة الخيل أو قدر العشرين أو الخمسة والعشرين وجمعه رعال كرجال والمراد الركب السابقون الى الجنة اه

حافيا معه عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه
عمر قال يا عمير احبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما نهاك الله
أن تجهر بالسوء من القول وعن سوء الظن وماترى من سوء الحال وقد
جئتك بالدنيا أجرها بقرابها قال ومامعك من الدنيا قال عكازتي اتوكأ عليها
وادفع بها عدوّا ان لقيت ومزودي احمل فيه طعامي واداوتي هذه احمل فيها
ماء لشربي وصلاتي وقصعتي هذه اتوضأ فيها واغسل فيها رأسي وآكل فيها
طعامي فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبع لمتاعي قال فقام عمر
من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وبكى ثم قال اللهم
الحقني بصاحبي غير مفتضح ولامبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ماصنعت
في عملك يا عمير قال أخذت الرقة من اهل الرقة والابل من اهل الابل
واخذت الجزية من اهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء
والمساكين وابناء السبيل فوالله يا امير المؤمنين لو بقي عندي منها شئ
لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير أنشدك الله يا امير المؤمنين
ان لاتردني الى عملي ولم اسلم منه حتى قلت لذمي أخزاك الله فهذا ما عرضني له
ولقد خشيت ان يخاصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول أنا
حجيج المظلوم ومن حاججته حججته ولكن أتأذن لي آتي اهلي فأذن له فأتى
أهله فبعث اليه عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار فقال له اذا أتيت عميرا
فانزل عليه ثلاثا فان يكن خائنا لم يخف عليك في عيشه وحال اهل بيته وان لم
يكن خائنا لم يخف عليك فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل عليه ثلاثا
فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت الثلاث قال يا حبيب ان رأيت ان
تتحول عنا الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا اوسع عيشا منا فاما نحن فوالله لوكان
عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها
اليك أمير المؤمنين فدعا بفرو وخلق لامرأته فصرها الخمسة والستة والسبعة
فقسمها فقدم حبيب على عمر فقال يا أمير المؤمنين جئتك من عند أزهد
الناس وما عنده من الدنيا الاقليل ولا كثير فبعث اليه عمر وقال ماصنعت

بالمائة يا عمير فقال لا تسألني عنها قال لتخبرني قال قسمتها بيني وبين اخواني من المهاجرين والانصار قال فأمر له بوسقين من طعام وثوبين قال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبل وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه ثم قال يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر فاخبره ووجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى فلان بكذا والى فلان بكذا فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

تلكأ أي امكث اه

(الباب الخمسون في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال)

(اعلموا) أرشدكم الله ان أول من اتخذ الدواوين وأجرى الاعطية على ما روى عمر بن الخطاب فكان يفضل أهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى أجرى على العامة شيئا واحدا ثمانمائة وأربعمائة وفرض للعيال مائة درهم في كل سنة (وكان) أبو بكر يسوي بين الناس في العطاء ولا يفضل أهل السابقة ويقول انما عملوا لله فأجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم (وكان) عمر يقول لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولاته وكتابه

ومؤذنه ومن كان يلى معه فى كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف
وابن مسعود الى العراق (وأجرى) عليه فى كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها
واكارعها ونصف جريب كل يوم (واجرى) على عثمان بن حنيف ربع شاة
وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم (وأجرى)
على عبد الله بن مسعود مائة درهم فى كل شهر وربع شاة فى كل يوم (وأجرى)
على شريح القاضى مائة درهم فى كل شهر وعشرة أجربة (وانما) فضل عمارا
عليهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير ورضيع
واذا فطم فرض له فمر من الليل وصبى يبكى يبغى الرضاع وأمه لاترضعه
فقال لها عمر أرضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض
عمر بعد ذلك للمولود مائة درهم فى كل سنة قال ابن حبيب وفرض عمر للعيال
كل عيل من ذكر وأنثى جريبين من برّ فى كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من
خل ومائة درهم فى كل سنة (قال) والجريب قفيز بالقرطبى والقسط قدر
ثمن ربع الزيت بالقرطبى (قال) الحسن وكان عطاء سلمان خمسة آلاف
وكان على زها ثلاثين ألفا من الناس وكان يخطب الناس فى عباءة يلبس
نصفها ويفرش نصفها واذا خرج عطاؤه امضاه وكان يسف الخوص ويأكل
من عمل يديه (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من أهل البصرة
مع أبى موسى الاشعرى قال فكنا ندخل عليه وله فى كل يوم خبز يلات فربما
وافقناها مأدومة بسمن وأحيانا بزيت وأحيانا باللبن وربما وافقنا القديد
اليابس قد دق ثم اغلى عليه بماء وربما وافقنا اللحم العريض وهو قليل
فقال لهم يوما انى والله أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامى وانى لو شئت لكنت
أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا أما والله ما أجهل كراكر واسنمة وصلاء وصنابا
وصلائق قال والصلاء الشواء والصناب الخردل والصلائق الخبز الرقاق
ولكنى سمعت الله عير قوما بأمر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها (فكلمنا) أبو موسى فقال لو كلمتم أمير المؤمنين لفرض
لكم من بيت المال طعاما تأكلونه فكلمناه فقال يا معشر الامراء أما

ترضون

قوله يسف الخوص أى ينسجه اهـ

العريض بالعين المهملة الذى لم يبالغ فى نضجه والكراكر رحى زور البعير والصناب ككتاب اهـ

وقوله الخردل هكذا فى النسخ التى بأيدينا والذى فى القاموس ان الصناب صباغ يتخذ من الخردل

وقوله والصلائق الخبز الرقاق هكذا فى النسخ أيضا والذى فى القاموس انه اللحم المشوى فليحرر

ترضون لانفسكم مارضاه لنفسى فقلنا يا أمير المؤمنين ان المدينة أرض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا بأرض ذات ريف وان أميرنا يغنينا وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احد الجريبين فكل أنت وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذى عن يمينك ثم اسق الذى عن شمالك ثم قم لحاجتك فاذا كان العشاء فضع الشاة الغابرة على الجريب الآخر فكل أنت وأصحابك ألا وأشبعوا الناس فى بيوتهم وأطعموا عيالهم والله ما أرى رستاقا يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرعان فى خرابه (وكان) عمر قد أطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم فأجراه على كل رجل فى كل شهر ممن كان فى الدواوين مكان ما كانت فارس تجريه على خيولهم وأساورتهم (وقال) سعيد بن المسيب وأبو سلمة كان عمر بن الخطاب أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول ألكن حاجة وأيتكن تريدان تشترى شيئا فيرسلان معه بحوائجهن ومن ليس عندها شئ اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه فى منازلهن بكتب ازواجهن ويقول ازواجكن فى سبيل الله وانتن فى بلاد رسول الله ان كان عندكن من يقرأ والا فاقربن من الابواب حتى أقرألكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة ويقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الابواب حتى أكتب لكن ويمر بالمغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع ابن زياد الحارثى كنت عاملا لابى موسى الاشعرى على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة أتيت برقا فقلت يا برقا مسترشد وابن سبيل أى الهيئات أحب الى أمير المؤمنين ان يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فعمدت الى خفين مطارفين ولبست جبة صوف ولبست عمامتى على رأسى فدخلنا على عمر بن

الخطاب فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال وما ترتزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع بها قلت اتقوت منها بشئ وأعود على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس عليك ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا على فدعانى فقال لى كم سنك قلت خمسة وأربعون سنة قال الآن استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعت اله فأتى بخبز وأعضاء بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك فجعلت آكل وجعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت انى سخت فى الارض ولم أقلها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس محتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام ألين من هذا فزجرنى وقال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين لو تنظر الى قوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذا فيؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غيظه ثم قال ههنا زغت قلت نعم قال ياربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسنابك يعنى الخبز الحوارى ولكنى رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقرارى على عملى وان يستبدل بأصحابى (وقال) قبيصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمير بن سعد وكان على أهل حمص فقال علام يحبك أهل الشام فقال انى أحبهم فأحبونى قال مالك اليوم قلت عبدى وفرسى وبغلى وخادمى قال فما تلبس فى الشتاء قال عصابة أشد بها رأسى وجبة وكساء قال فما تلبس فى الصيف قال قميصا وريطة قال فأعطانى عمر ألف دينار وقال خذها وانفق منها واعط منها قلت لا أرب لى فيها وستجد من هو أحوج اليها منى قال خذها فان النبى صلى الله عليه وسلم دفع الىّ مالا وهو دون ما أعطيتك فقلت له كما قلت لى فقال لى يا عمر ما آتاك الله من هذا المال عطاء من غير ان تعرض له أو تشرف له نفسك فاقبله فأخذه فانطلق به الى

الغريض بالمعجمة معناه الطرى اه

امرأته فقال أترين رجلا له هذا من فقراء المهاجرين هو أم من الاغنياء فقالت بل من الاغنياء فقسمها حتى بقيت منها صرة أظن فيها ثلاثين أو نحو ذلك فقالت له امرأته اليس لى أنا حق فاعطاها اياها (وقال) رجاء بن حيوة رأيت امرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فأرشدناها الى الدار فرأت دارا متهشمة فقالت لخياط هناك استأذن لى على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز فقال ادخلى وصوتى لها فانها تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ما هناك قالت جئت أرم فقرى من بيت الفقراء واذا رجل يعمل فى الطين وهناك امرأة فسألتها عن أمير المؤمنين فقالت هو ذاك يعمل فى الطين فقالت له يا أمير المؤمنين مات زوجى وترك لى ثمانى بنات فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال لها ما تريدين قالت تفرض لهن فقال نفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال وما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها الوانك وليت الحمد أهله لاتمناهن لك مرى السبع فليواسين الثامنة

(الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة)

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشأم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا ان لانحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب ولانجدد ماخرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولانهار وان نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوى فى كنائسنا ولافى منازلنا جاسوسا ولانكتمه عن المسلمين ولانعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولاندعوا اليه أحدا ولانمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى الاسلام

ان أراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شئ من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا وكتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الاضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا بالقراءة فى كنائسنا فى حضرة المسلمين ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم (فلما) أتيت عمر رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا مايحل من أهل المعاندة والشقاق (فكتب) عمر رضى الله عنه ان امض ماسألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ماشرطوه على أنفسهم ان لايشتروا شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده (وروى) نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى أهل الشام فى النصارى ان يقطع ركابهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا فى شق وان يلبسوا خلاف زى لباس المسلمين ليعرفوا (وروى) ان بنى ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوالى حجاما ففعلوا فجز من نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمونها وأمرهم ان لا يركبوا بالسروج ويركبون الاكف من شق واحد (وروى) ان أمير المؤمنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وجعل على أبوابهم

مثالا للشياطين لانهم أقرب لذلك وهم أهله وقرب منه أهل الحق وباعد عنه
أهل الباطل والاهواء فاحيى الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر
بذلك فيترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يقول لا تستعملوا اليهود ولا النصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل
الرشا (ولما) استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى من
البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن
لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر رضى الله عنه قاتلك الله وضرب بيده
على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ألا اتخذت حنيفا قال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال
لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله
(وكتب) بعض العمال الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان العدد قد كثر
وان الجزية قد كثرت أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم أعداء
الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله ولا تؤدوا اليهم شيئا (وقال)
عمر بن أسد أتانا كتاب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى محمد بن المنتشر
أما بعد فانه بلغنى ان فى عملك رجلا يقال له حسان بن برداء على غير دين
الاسلام والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا
الله ان كنتم مؤمنين فاذا أتاك كتابى هذا فادع حسان الى الاسلام فان أسلم
فهو منا ونحن منه وان أبى فلا تستعن به ولا تأخذ من غير أهل الاسلام على
شئ من أعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فأسلم (ولما) خرج النبى صلى
الله عليه وسلم الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال انى
أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع
فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به أصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم وكانت له قوة وجلادة قال جئتك لاتبعك وأصيب معك قال أتؤمن

بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال أتؤمن بالله ورسوله قال نعم قال ففرح به وهذا أصل عظيم فى ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين (وكتب) عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم إن لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون فى غيرهم خير

(فصل) ومتى نقض الذمى العهد بمخالفته اشئ من الشروط المأخوذة عليه لا يرد الى مأمنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق (وقال) أصحاب الشافعى رضى الله عنه ويلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين فى اللباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير فى أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من رصاص او نحاس اوجرس يدخلون به الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم والطيلسان واما المراة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوقه وهو اولى ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون احد خفيها اسود والآخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى اضيق الطرق ويمنعون أن يعلوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى الحجاز وهو مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويستوفى جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنا احدهم بمسلمة اواصابها بنكاح اوآوى عينا للكفار ودل على عورة المسلمين اوفتن مسلما عن دينه اوقتله اوقطع عليه الطريق اوذكر

الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز (قيل) ينتقض العهد وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرورة فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما لا يوجب نقض العهد ردّ الى مأمنه فى احد القولين وقتل فى الحين فى القول الآخر

الغيار ككتاب علامة اهل الذمة كالزنار ونحوه اه

(فصل) وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فقيل انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنى عشر درهما بدينار (وهذا) مذهب ابى حنيفة وابن حنبل رضى الله عنهما وأحد قولى الشافعى رضى الله عنه وجعلوه كأنه حكم امام فلا ينقض (وقيل) انها مردودة الى الامام فى الزيادة والنقصان وهو الاقيس (وقيل) انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدّره عمر رضى الله عنه ولا يجوز أن ينقص عنه (وقال) بعضهم يجوز أن يساوى بينهم فيأخذ من كل واحد دينارا (وقال) مالك رضى الله عنه يؤخذ من الموسر أربعون درهما ومن الفقير دينارأ وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك رضى الله عنه فى وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشرة المأخوذة منهم هل هو تقدير شرعى لا تجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فان اهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور من العمال واستنت سنة سنها عليهم عمال السوء فأحرز عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب ما لا يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج ولا وزن سبعة ليس لها اس ولا أجور الضرابين ولا اداة فضة ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح

ولا خراج على من اسلم من اهل الارض (والواجب) ان يؤخذ ما ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب رطبة او شجر ستة دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

(فصل) وأما الكنائس فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث كنيسة وأمر أن لا يظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه (وكان) عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين (وشدد) فى ذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فأمر أن لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة (وهكذا) قال الحسن البصرى قال من السنة أن تهدم الكنائس التى فى الامصار القديمة والحديثة ويمنع اهل الذمة من بناء ما خرب (وقال) الاصطخرى ان علينوا ظاهر الحائط منعوا وان علينوا باطنه الذى يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

(الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعتبرة فى الولاة)

(اعلم) أرشدك الله ان منزلة العمال من الوالى بمنزلة السلاح من المقاتل فاجهد جهدك فى ابتغاء صلاح العمال فاذا فقد الوالى عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى أصناف العدة فمنها الدرق للاستجنان والسيف للمناجزة والرمح للطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصين ولكل منهم موضع ليس للآخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأى والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة و منهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم للدعاء والوقار

ومنهم

ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات (وقال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته النبي صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا بعده قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما لما كانت فتنة الحرة من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلك والله القوم وليس يشترط النسب الا في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهما وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابن أمة واسحاق صلى الله عليه وسلم ابن حرة ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل ثم اتهمه في أمر فقال زيد أنا احلف لك قال له هشام ومن يصدقك قال له زيد انه ليس احد فوق أن يأمر بتقوى الله ولا احد دون أن يؤمر بتقوى الله تعالى منك (وقال) بعض الخلفاء دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني قالوا وكيف تريده قال اذا كان في القوم وليس اميرهم كان كأنه اميرهم واذا كان اميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها (ويروى) ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استشار في قوم ليستعملهم فقال له بعض أصحابه عليك بأهل العدل قال ومن هم قال الذين اذا عدلوا فهو ما رجوت وان قصروا قال الناس اجتهد عمر (ولما) قدم اليزيد بن بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك بن مروان ذاك الأعسر الأجود الذي كان يأمن عنده البريء ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وقال الحكيم) اعتبروا الرجال بأفعالهم لا بعظم

أجسامهم فان النسر مع عظمه لا يأكل الا نتنا وطير الماء مع ضعفه يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منه (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضرره كالملسوع يقطع أصبعه مخافة ان ينتشر السم في جسده وربما أبغض الرجل وأكره نفسه على توليته وتقريبه لغنى يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا قد لا تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما افضت اليه الخلافة كان معاوية واليا على الشام من قبل عمر ثم عثمان رضي الله عنهما فاستشار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهده فان دخل في بيعتك فاعزله فقال له رحمك الله اتأمرني ان اطلب العدل بالجور ثم عزله فكان سبب عصيانه (وهكذا) اشاروا عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن يتخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال اتأمروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله تعالى في الآخرة وان يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله تعالى شكرهم وصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة لينال منه فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونته ومكافأة ما سلف من مبرته فشر خليل والأم خدين واياك أيها الوالي وحب المدح فان من احب المدح فهو كمن مدح نفسه واذا علم منك ذلك جعلك الناس سلما القضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لا لهم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم أحثوا التراب في وجوه المداحين وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخذ كفا من تراب فألقاه في وجهه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر أخيك لو سمعها ما افلح بعدها (وفي الحديث) خمس

تأويلات (أحدها) حمله على ظاهره كما فعل المقداد مع المداح لعثمان (والثانى) ان يرفع شيئا من التراب فينثره بين يديه كالمتذلل اى من خلق من هذا ويعود اليه لا يستحق هذا الثناء (والثالث) لا تقض حاجة المداحين والعرب تقول لمن رجع خائبا من حاجته رجع بكفه مملوءة ترابا (والرابع) نقيض هذا قاله لى شيخنا أبا العباس الجرجانى قال معناه اقض حاجته واعطه ما سأل فان الذى تعطيه سيصير ترابا كأنك أعطيته ترابا (والخامس) لمن المعنى الدعاء لان العرب تقول اذا دعت بفيه الحجر وبفيه التراب أى يقول للمداحين كذلك (ووصف) اعرابى أميرا فقال كان اذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسىء خائف (وقال) عبد الله بن الزبير لا يبعدن ابن هند يعنى معاوية ان كانت فيه لمخارج لم أجدها فى أحد بعده أبدا والله ان كان لنعرفه وما الليث الجرىء على براثنه باجرأ منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما ابن آوى من الارض بادهى منه والله لوددت انا متعنا به ما دام فى هذا حجر وأشار الى ابى قبيس لا يتخون له عقل ولا تنتقض له قوة (وقال) الصنابحى كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى عبيدة رضى الله عنه كتابا فى مثل اذن الفأرة أما بعد فانه لا يقيم امر الله تعالى فى الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق فى الحق على الجراءة ولا يخاف فى الله لومة لائم (وقال) مالك رضى الله عنه جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله أن يكتب له كتابا فى أمر فقال اذهب الى منزلنا فأتنا بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا أذن مزود فكتب له فى تلك الأذن (ولما) ولى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد أن استحسن علمه وعقله امتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريده فتلقاه وجوه اهل البصرة فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضى أصلحه

براثنه اى احكامه للامور اهـ

الله تعالى قال نحو من عتاب بن أسيد لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولى مكة شرفها الله تعالى (وكان) عمر رضي الله عنه يقول لا يصلح أن يلى أمور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد فى غير عنف لين فى غير ضعف جواد فى غير سرف لا يخاف فى الله لومة لائم (وقال) أيضا ينبغى أن يكون فى الوالى من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده فى الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق (ويروى) ان الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال له انى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خصال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور فى أمره كثر صوابه وأما الفقه فتضم اليك من تفقه به فولى فما وجد فيه مطعن (وقال) اياس بن معاوية استحضرنى عمر بن هبيرة فحضرت فسألنى فسكت فلما أطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال هل تعرف الفرائض قلت نعم قال هل تعرف من أيام العرب شيئا قلت أنا بها أعلم قال هل تعرف من أيام العجم شيئا قلت أنا بها أعلم قال انى أريد أن أستعين بك قال ان فىّ ثلاثا لا أصلح معهنّ للعمل قال ما هنّ قلت أنا دميم كما ترى وأنا حدد وأنا عيى قال أما الدمامة فما أريد أن أحاسد بك وأما العىّ فانى أراك تعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولانى وأعطانى ألف درهم فهو أول مال تمولته (وقال) سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ما ملاقاة ليوث سلبت أشبالها بأصعب من ملاقاة جاهل راض عن نفسه

(الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال)

(اعلم) أرشدك الله تعالى انه يجب ان تولى الاعمال أهل الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغنى لا للهوى وملاك الولايات كلها

واساسهاان لاتولى الاعمال طالبالها ولاراغبافيها (وروى) البخارى فى صحيحه عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبى يا رسول الله استعملنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لانستعمل على عملنا من أراده فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق ماعلمت مافى نفسه (وقد روى) عن بزرجمهر انه قيل له مابال ملك آل ساسان صارأمره الى ماصاراليه قال لانهم قلدوا كبارالاعمال صغارالرجال (ولله) درعمرو بن العاص حيث قال موت ألف من العلية أقل ضررامن ارتفاع واحد من السفلة (وقال) رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لرجل قد أذاه أدركتك دولة امرة الصبيان (وقال) المعلى بن أيوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضباشديدا فقال له لاأماتك الله أو يبلغك دولة السفلة (وقال المستوعر) الاكبر وقد كان عمر فى الجاهلية ثلثمائة سنة

وماسقطت يومامن الدهرأمة * من الذل الاأن يسود دميمها
اذا ساد فيها بعدذل لئيمها * تصدى لهاذل وقدأديمها
وماقادها للخير الامجرب * عليم باقبال الاموركريمها
وما كل ذى لب يعاش بفضله * ولكن اتدبيرالاموركحيمها

(اعلموا) ان معظم مايدخل على الدول من الفساد هو من تقليد الاعمال أهل الحرص عليها لانه لايخطبه الالص فى ثوب ناسك وذئب فى مسلاخ عابد أوحريص على جمع الدنيا نابذلدينه ومروته فيبتغى عرض الحياة الدنيا وقد سبق المثل الحرص على الامانة دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك (وقد) ذكرنا فى أول الكتاب الآثارفى كراهية الولايات (وقال) المأمون مافتق على قط فتق فى مملكتى الا وجدت سببه جور العمال (ولما) قدم رسول ملك غزنة على عضد الدولة بويه الديلمى وقضى

المسلاخ بالكسر جلد الحية اه

غزنة بفتح فسكون من انزه البلاد اه

الرسالة وأراد الانصراف قال لعضد الدولة ما أقول لاخيك قال قل له جئتك من عند سلطان يظلم وحده (فان) قيل فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قلنا) يوسف عليه الصلاة والسلام كان نبيا من أنبياء الله تعالى واثقا بنفسه بالامانة والكفاية بين يدى من لا يحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات ضائعة فى أيدى من ليس لها أهلا ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدى جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل ان يذكر له بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره (وعن) هذا قال بعض أصحاب الشافعى رضى الله عنه اذا كان القضاء فى يد من لا يصلح له وجب ان يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأى ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى الله اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه (ومن) عجيب ما يروى فى هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود نوبيا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بنى الحسحاس وكان جليسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوّة من عند الله تعالى الذى يصطفى لنبوته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أجبرنى ربى فسمعا وطاعة وان خيرنى اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله وأعطاه الحكمة وصرفت الرسالة الى داود عليه السلام وكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتى داود البلية (وروى) انه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حولا ينظر صنعة الدروع ولا يعرف ما تصلح له ولا يسأله عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه خمسا لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقى ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له انى لا استعملك على

انشارهم ولا اعراضهم وانما استعملتك لتصلح بهم وتقضى بينهم بالعدل
(وروى) عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان سعد
ابن أبى وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع الصوت فارسل عمر بن
الخطاب رضى الله عنه محمد بن مسلمة وكان عمر رضى الله عنه اذا أحب ان
يؤتى بالامر كما هو بعثه فقال له ائت سعدا فاحرق عليه بابه فقدم الكوفة
فلما أتى الباب أخرج زنده واستورى نارا ثم أحرق الباب فأتى سعدا الخبر
ووصف له بصفته وعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ أمير
المؤمنين انك قلت انقطع الصوت فحلف سعد بالله تعالى ماقال ذلك فقال له
محمد نفعل الذى امرنا به ونؤدّى عنك ماتقول ثم ركب راحلته فلما كان
ببطن البرية أصابه من الخمص والجوع ماالله به أعلم فأبصر غنما فأرسل
غلامه بعمامته فقال اذهب فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلى
فاراد ذبحها فأشار اليه ان يكف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مسيمتها
مملوكة فاردد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاردد الشاة فذهب فاذا
هى مملوكة فردّ الشاة وأخذ العمامة فأخذ بخطام ناقته وجعل لايمر ببقلة
الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم فأتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شئ
خلاف هذا أتيناك به قال بسم الله كل حلال أذهب السغب خير من مأكل
السوء حتى قدم المدينة ونزل بأهله فابترد من الماء ثم راح فلما أبصره عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال له لولا حسن الظن بك مارأينا انك أدّيت
(وذكروا) انه أسرع السير فقال قد فعلت وهو يعتذر اليك ويحلف بالله
ماقال فقال له عمر رضى الله عنه هل آمر لك بشئ قال قد رأيت مكانا ان
تأمر لى فقال عمر رضى الله عنه ان أرض العراق أرض رقيقة وان أهل
المدينة يموتون حولى من الجوع فخشيت ان آمر لك بشئ يكون لك بارده ولى
الحار (وروى) زيد بن أسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل مولى له
يدعى هنيا على الحمى فقال له ياهنى اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة
المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة واياك

ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى زرع ونخل ورب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين افتتاركهم انا لا أبالك فى الماء يأتيني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين فانا تارك لك الماء والكلا فالماء والكلا أيسر على من الذهب والفضة وأيم الله انهم ليرون انى قد ظلمتهم انها البلاد هم قاتلوا عليها فى الجاهلية واسلموا عليها فى الاسلام والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ماحميت عنهم من بلادهم شبرا (ومر) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا له انه لعامل من عماله على البحرين فقال أبت الدراهم الا ان تخرج اعناقها وقاسمه ماله (وكان) يقول لى على كل خائن أمينان الماء والطين (وكان) أنوشروان يكتب فى عهد العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة (وقال) سليمان بن داود عليه السلام كما يصلح الهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح القضيب لظهر الجهال (وفى الامثال القديمة) من لم يصلح باللين أصلحه التليين ومن لم يعتدل عدل (وقال) هلال بن اساف استعمل النبى صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة أبا معبد قال خرجت يا رسول الله ولا أرى ان لى فضلا على أحد من القوم فما رجعت الا وكانهم عبيد لى قال كذلك الامارة أبا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذى بعثك بالحق نبيا لا أعمل على عمل أبدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يمنعك ان تغشى العمل فى الافاضل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من ان أدنسهم بالعمل (وقال) ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن من يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم وهل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا انعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه عند ذلك ان أقبل (ومثل) السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من

يسترعى

يسترعى غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه هو الذى استرعاه الرعية (وفيه قيل)

ومن يربط الكلب العقور ببابه * فعقر جميع الناس من رابط الكلب

(وكان) العلاء بن أيوب لما ولى فارس من قبل المأمون يكتب عهد العامل فيقرأه على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول أنتم عيونى عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلى انصافه ونفقته جائيا ورائحا ويأمر العامل ان يقرأ عهده على أهل عمله فى كل جمعة وان يقول لهم هل استوفيتم

(الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات)

(روى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسر فيه انك اذا قدرت على قضاء حاجته من عند السلطان الظالم أو السيد القاهر صار ذلك واجبا عليك (وروى) البخارى فى صحيحه ان النبى صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا الى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى لنا أفلا قعد أحدكم فى بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له (قال) مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم (وشاطر) أبا هريرة رضى الله عنه وقال له من أين لك هذا المال فقال له أبو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت فقال اذن الشطر (وانما) شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم (وروى) مالك عن ابن عمر رضى الله عنهما انه اشترى هو وأخوه عبيد الله ابلا فبعثا بها الى الحمى فرعت فقال عمر رعيتمانى الحمى فشاطرهما (وشاطر) سعد بن أبى وقاص حين قدم من الكوفة كانه رأى ان ما أصاب العامل من غير رشوة فان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان لمن له الامرة قوة على ان ينال من الحلال ما لا يناله غيره فجعله

كالمضارب للمسلمين (ولما) رفع أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالبصرة فاشتريا به بضاعة فربحت بالمدينة فاراد عمران يأخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح فأخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر رضى الله عنه النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أما بعد فانما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك بالدين يقوى والدين بالملك يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا قدم عليه العمال يأمرهم ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحجبوا شيئا من الاموال (وقال) عتاب بن أسيد والله ما أصبت فى عملى الذى ولانى النبى صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان (وروى) ان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه استعمل أبا مسعود الانصارى على السواد فارجع الا وقد امتلأت داره فقال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون ان يأكلوا فى أمانتى ويروى فى امارتى ورجع الى على رضى الله عنه وقال لا حاجة لى فى العمل (وقد) ذكرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يارسول الله اختر لى فقال اقعد فى بيتك (وفى الامثال) ان الهدية تعمى وتصم (وقال) بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وأنشد بعضهم

الرشاء ككساء معناه الحبل اه

اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة * كالسحر يجتاب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وترد مضطغن العدا * وه بعد جفوته حبيبا

(ومما قلته فى الرشوة)

وأكرم من يدق الباب شخص * ثقيل الحمل مشغول اليدين

بنوه اذا مشى نفسا ونفخا * وينطع بابه بالركبتين
وأكرم شافع يمشى اليها * أبوالنقوش فوق الصفحتين

(وابعضهم)

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وأنت بانجازها مغرم
فارسل باكمه جلابة * به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

(وكتب) عبدالملك الى قاضيه الحارث بن عامر وقد ارتشى بمكرمة

اذا رشوة فى باب قوم تقحمت * لتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كأنها * حليم تولى عن جواب سفيه

(الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق)

(اعلموا) أرشدكم الله تعالى ان هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى أخلاق العامة وخلائق الغوغاء والدناة وما يجرى بينهم اذا تلاقوا وتعاشروا من الافراط فى مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراآة والمعاريض عن الامور المكنونة التى يفحش اظهارها والانخراط فى سلك المزاح والمهاترة (فهذا) وما أشبهه عندهم من أحسن الخلق (وهذا) عندنا نقيض مانص الله تعالى عليه ورسوله من حسن الخلق (فأول) ذلك ان يعلم انه لم تحتوا الارض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاربها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس بعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق (وهذا) فصل الخطاب فى هذا الباب لمن عقل وانما أتى الناس لانهم استحسنوا الأخلاق العامية واستخشنوا الاخلاق النبوية لجهلهم بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم (وهاأنا) أتلو عليك من أخلاق الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين مانرجوا أن ينفعنا الله واياك به (قال) الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه

قوله وقلبوا الخ فى القاموس وصارت القوس ركوة يضرب فى الادبار وانقلاب الامور والركوة مثلثة زورق صغير والمهاترة السقط من الكلام اه

قوله أتى بضم أوله أى أصابهم ماأصابهم لانهم استحسنوا الخ اه

وسلم وانك لعلى خلق عظيم (فخص) الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله عليه من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم (وعن) هذا قالت الشيوخ ان الله تعالى دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه صلى الله عليه وسلم الى حسن الخلق (قال) عبيد بن عمير قلت لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين صفى لى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق واذا كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها ولذلك لما أنزل الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى (فانظر) أين أخلاق العامة من هذا النمط وان أحدهم ليقطع من وصله ويحرم من أعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على من اتهمه (وانما) اقتصر على هذه الكلمات لانها أصول الفضائل وينبوع المناقب لان فى أخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفى الامر بالمعروف تقوى الله عز وجل وصلة الارحام وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفى تقوى الله عز وجل تدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفى الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه ومجازاة اللجوج فهذه الاصول الثلاثة تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وسمتا واعتبارا (وروى) عن أنس أنه قال يا رسول الله اى المؤمنين أكمل ايمانا قال أحسنهم خلقا (وروى) ابو داود فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم محاسن الاخلاق (اقتضى) الحديث ان كل نبى مبعوث الى أمته انما بعث ليعلم

الخلق الحسن وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم محاسن الاخلاق (اذن) فحسن الخلق امتثال الشرائع بأسرها (روى) البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم الىّ أحسنكم اخلاقا (وقال) عليه السلام ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما (وكان) النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية فجبذه اعرابى جبذة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء فى عنقه وقال يا محمد مر لى بشئ من مال الله الذى آتاك فلست تأمر لى من مالك ولا من مال أبيك فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بكلمة (وقال) أنس نظرت الى عنق النبى صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جبذه فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ثم أمر له بعطاء (وروى) ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد املأ لى هذه تمرا وسويقا فانك لست تعطى من مالك ولا من مال أبيك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعد علىّ ما قلت قال فأعاد كلامه فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدقت املؤا له تمرا وسويقا لست أعطى من مالى انما هو من مال الله عز وجل (وروى) معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل (واعلموا) ان الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه (ألا ترى) ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشئ من خصائله بمثل ما أثنى عليه بخلقه (وقال) بعض المفسرين فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل (وقيل) لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد معرفتك بالله تعالى (قال) المحاسبى حسن الخلق كظم الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا المبتدع أو فاجر الا ان يكون فاجرا اذا انبسطت اليه استحى واقلع والعفو عن الزالين الا فى أدب واقامة حد وكف الاذى

جبذه لجذبه وزنا ومعنى اه

عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر أو أخذ مظلمة لمظلوم فهذا من حسن الخلق (وقيل) حسن الخلق ان لا تتغير ممن يقف فى الصف بجنبك (وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقرى قال بينما هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى (وقيل) جاءت جارية لابى عبد الله جعفر ابن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم بقصعة من ثريد تقدمها اليه وعنده قوم فاسرعت بها فسقطت من يدها فانكسرت فأصابه وأصحابه مما كان فيها فارتاعت الجارية عند ذلك فقال لها أنت حرة لوجه الله تعالى لعله ان يكون كفارة للروع الذى أصابك (وكان) ابن عمر رضى الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من حسن خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له وكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله تعالى انخدعنا له (وقال) الفضيل لو ان رجلا أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (وكان) المحاسبي يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع الوفاء (وقال) الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلا الدرجات وان قل علمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان (وقال) الكتانى الصوفى خلق مازاد عليك فى الخلق يزيد عليك فى التصوف (وقيل) حسن الخلق تحمل اثقال الخلق (وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما عنوان الشرف حسن الخلق (وكان) عبد الله بن محمد الرازى يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام ما اليك (وقال) سهل بن عبد الله حسن الخلق ان لا تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة أحد الا الله عز وجل (وقال) شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن (وقيل) حسن الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا (وقيل) حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر

السفود كتنور حديدة يشوى بها وتسفيد اللحم نظمه فيها للاستواء اه قاموس

ولا قاق (وقيل) حسن الخلق احتمال المكروه بحسن المداراة (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال (وقال) يحيى بن معاذ الرازى سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات (وقالت) امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال يا هذه أصبت اسمى الذى أضله أهل البصرة (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن تسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا من يستحق ان يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب (وقيل) لابراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما كنت جالسا ذات يوم فجاء انسان فصفعنى والثانية كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على (وكان) أويس القرنى اذا رأوه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارمونى بالحجارة الصغار كى لا تدموا ساقى فتمنعونى الصلاة (وسئل) سهل بن عبد الله عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال للاذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه (وروى) ان على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى (وهذا) كما ترى قوة الهيبة يفرغها الله تعالى على المصطفين من عباده وأهل الصفوة من أوليائه الا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك جرده عن حقائق البشرية وألبسه من نعت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبر على تبليغ الرسالة اليهم مع الذى كان يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن

إلف مألوف ولا خير فى من لا يألف ولا يؤلف (وانما) سمى آدم لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لرجلين متباغضين آدم الله بينكما أى ألف بينكما (ومنه) سمى الأدم المأكول لانه يؤلف الطعام ويحسنه (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل أراد ان يتزوج امرأة انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما أى يؤلف بينكما (وروى) ان معروف الكرخى نزل الدجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف وقال يا أختى انا معروف لا بأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب (وروى) ان أباذر رضى الله عنه كان على حوض يسقى ابله فأسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضبنا ان نجلس فان ذهب عنا والا فنضطجع (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه انا لنصافح اكفا نرى قطعها (وقال) أبوذر انا لنبش فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم (وقال) الحارث بن قيس يعجبنى من الورى كل طلق الوجه مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله فى المسلمين مثله (وقال) عروة بن الزبير رضى الله عنه مكتوب فى الحكمة يا بنى لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يصحب صاحب الصالح يغنم (وروى) ان ابراهيم ابن أدهم رحمة الله عليه خرج الى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال أين العمران فأشار الى المقبرة فضرب رأسه فأوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتنى سألت الله لك الجنة فقال لم قال قد علمت انى أوجر على ذلك فلم أرد ان يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر (وحكى) ان أبا عثمان الجيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال يا استاذ ليس لى رغبة فى دخولك وقد ندمت فانصرف يرحمك الله فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه

الرجل وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى معه فلما وافى داره قال مثل ما قال فى الاولى وأخذ كذلك يعتذر ثم كذلك فى الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما أردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال أبو عثمان لاتمدحنى على خلق تجد مثله فى الكلاب والكلاب اذا دعى حضروا واذا زجر انزجر (وروى) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن حنظلة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل أنت لولم تكن يهوديا فقال أبو جعفر ان عقيدتى لاتقدح فيما يحتاج اليه من الخدمة فسل لنفسك الشفاء ولى الهداية (وروى) ان أبا جعفر العمودى المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب الصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلفى فأبى فضرب رأسه بالسوط حتى أوجعه فقال بعض المارين ويحك هذا أبو جعفر العمودى العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه ويعتذر اليه فقال له أنت فى حل (قال) ابراهيم بن الحسين سمعت أبا جعفر العمودى ليالى عدة اذا فرغ من حزبه فى جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه (وقيل) مكتوب فى الانجيل عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق (وقال) بعض المفسرين فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا أى كل من لقيته فقل له حسنا من القول (وقال) لقمان لابنه ثلاثة لايعرفون الا فى ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع فى الحرب والاخ عند الحاجة اليه (وروى) ان عبد الله الخياط كان له مجوسى يخيط عنده الثياب ويدفع له دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فجاء المجوسى يوما بدراهم رديئة فلم يجده فاعطاها التلميذ فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال له تلميذه هذه دراهم المجوسى وذكر قصته فقال له عبد الله بئس ما فعلت انه يعاملنى هذه المعاملة منذ أعوام وأنا أصبر عليها وألقيها فى البئر لئلا يغر بها غيرى (وروى) ان معاوية نظر الى يزيد يضرب ابنه فقال له أتضرب من لا يمتنع منك لقد حالت القدرة بينى وبين أولى الترات

(وقال) بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين ادناه وأهونه ان لا يتسع لمراد الخلق واقصاه وشره ان لا يتسع لمراد الخالق (وقال) المحاسبي أصل سوء الخلق الاعجاب وهل سوء خلق الرجل الامن عجبه وتكبره ولا يرى فوقه أحدا ولا يعرف قدر نفسه فتداخله العزة (وقال) الحسن البصري في قوله تعالى وثيابك فطهر أى وخلقك فحسن (وكان) لبعض النساك شاة وكان بها معجبا فرآها على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلامه انا قال ولم قال لاغمك بها قال لاغمن من أمرك اذهب فأنت حر (وروى) البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى ابن مريم عليه السلام رجلا يسرق فقال له أتسرق فقال لا والذى لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عيني (وقال) على بن أبي طالب رضى الله عنه فساد الاخلاق بمعاشرة السفهاء (وقيل) الخلق السيء يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه (ويقال) من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك (وسئل) النبي صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء الخلق . (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ادع الله تعالى على المشركين فقال انما بعثت رحمة لم أبعث عذابا (ولما) وصى يعقوب عليه الصلاة والسلام أولاده قال لهم احفظوا عني خصلتين ما انتصفت من ظالم قط قولا ولا فعلا وما رأيت حسنة الا أفشيتها ولا رأيت سيئة الا سترتها كذلك فافعلوا (وقال) ابن عمر رضى الله عنهما اذا سمعتموني اقول لمملوك أخزاك الله فاشهدوا انه حر (ويقال) سيئ الخلق هو الذى لا يملك نفسه عند الغضب (وقيل) أصل سوء الخلق مطالبة غيرك أن يوافقك دون ان تطالب نفسك بموافقة غيرك وعلامة حسن الخلق احتمال معاملة سيئ الخلق لتستر به سوء الخلق (وقيل) العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب ان لا يكون بينه وبين خلقه عتاب (وروى) ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان

فى حجره يتيم سيئ الخلق فمات فحزن عليه فقيل له انك تجد غيره قال فمن لى بمثل سوء خلقه (وكان) ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم (وقيل) فى قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق (وقال) الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من ان يصحبنى عابد سيئ الخلق (فان قيل) أليس قد روى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقانى ضاحكا كأنك آمن فقال عيسى وأنت تلقانى عابسا كأنك آيس فأوحى الله تعالى اليهما ان احبكما الى ابشكما لصاحبه (قلنا) كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليست طلاقة الوجه والتبسم فى وجه أخيك منهيا عنه وانما المكروه ماذكرناه فى أوّل الباب من التملق والتصنع (وفصل) الخطاب فى هذا الباب ماروى هند بن أبى هالة فى صفة مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان أصحابه كأنما على رؤسهم الطير (ومعلوم) ان من كان على رأسه الطير لا يبرح ولا يتحرك ولا يتكلم ولا يطارف بعينه حذرا من ان ينفر الطائر (وقال) ابن المقفع كان لى صديق من أعظم الناس فى عينى وكان رأس ماعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينيه وكان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا عن سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رأسا ولا بدنا وكان خارجا عن سلطان الجهالة فلا يقدم أبدا الاعلى ثقة لنفعه وكان أكثر دهره صامتا فاذا قال بذّ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل فى دعوى ولا يشرك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا عادلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا يستشير الا من يرجو عنده النصيحة (وكان) لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشئ من اهتمامه وحيلته وقوته (فاقف) هذه

بذّ بمعنى كف اه

قوله لا يتبرم أى لا يضجر اه

الاخلاق فان لم تطق فأخذ القليل خير من ترك الجميع (وروى) ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان واهله وانه قد فسد الناس ولم يبق أحد يصحب فقال له ياهذا انت تطلب صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك بشئ وتجفو عليه فيحلم فلا ينتصف فى الطلب ولم تجد حاجتك ولكن ان أردت صاحبا يؤذيك فلا تنتصر فلا تنتقم ويأكل رحلك ولا تنال منه شيئا وجدت أصحابا واخوانا وخلانا وأنا أول من يصحبك

(فصل فى الفرق بين المداهنة والمداراة) من دارى سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يحسنون وانهم يدارون (فالمداهنة) منهى عنها والمداراة مأمور بها (قال) الله تعالى فى المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم فى المداراة رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودّد الى الناس وأمرت بمداراة الناس كما أمرت باداء الفرائض (واعلم) انه اذا سمحت المداراة صارت مداهنة (فالمداراة) ان تدارى الناس على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قالت قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فأبى قالوا فشهرا فأبى قالوا فيوما فأبى قالوا فساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودّوا لو تدهن فيدهنون (وقيل) له صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (ومثاله) أن يقول للظالم أبقاك الله تعالى ومن دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى وهذا باب ينبغى لذوى الدين حفظه (وقد) رأى بعض الفقهاء الخروج من هذه العهدة بالتعريض (وكان) الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جار نصرانى يقضى حوائجه وينفعه فكان الفقيه يكثر أن يقول له أبقاك الله وتولاك أقر الله عينك يسرنى والله ما يسرك جعل الله يومى قبل يومك لا يزيده قط على هذه الكلمات فيبتهج النصرانى ويسره فعوتب الفقيه

فى ذلك فقال انما أدعو بمعاريض وقد علم الله ذلك من نيتى أما قولى أبقاك الله وتولاك فأريد أن يبقيه الله تعالى لغرم الجزية ويتولاه بالعذاب وأما قولى أقر الله عينك فأريد أن يقر حركتها بستر يعرض لها فلا تتحرك جفونها وأما قولى يسرنى والله ما يسرك فان العافية تسرنى كما تسره وأما قولى جعل الله يومى قبل يومك فأريد أن يجعل الله اليوم الذى أدخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذى يدخل فيه النار على كفره

(الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)

(قال) الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وردت هذه الآيات الثلاث فى بنى اسرائيل فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كانت فيه هذه الاوصاف الثلاثة الكفر والظلم والفسق والكفر موقوف على خلاف العقيدة (وقال) الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحمد بن حضرويه لو أذن لى فى الشفاعة ما بدأت الا بالظالمين لانى نلت منه تعزية الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أغتنم سفرا لا يكون فيه من لا يؤذينى ولا يظلمنى شوقا منى لتعزية الله تعالى للمظلومين (وقال) ميمون بن مهران كفى بهذه الآية وعيدا للظالم وتعزية للمظلوم (وقال) كعب الاحبار لابى هريرة رضى الله عنه فى التوراة من يظلم يخرب بيته قال أبو هريرة وذلك فى كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا (فالظلم) ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه سبحانه انه قال ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال الامن هديته فاستهدونى أهدكم ياعبادى كلكم جائع الامن أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الامن كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا

فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه يرويه أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر مسندا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ادريس اذا حدث به جثا على ركبتيه (وروى) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة (وروى) ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (وروى) سعيد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوّقه من سبع أرضين (قال) أبو جعفر الطحاوي معناه يقلب شجاعا أقرع فيطوّقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يجيء ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه يقول أنا مالك أنا كنزك وكان هذا داخلا في قوله تعالى سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم (وروى) أبو موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته وقرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد (وروى)

قوله قيد بكسر القاف أي قدر وكذا قاد اه مصباح

انس

انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يارسول الله هذا أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تأخذون فوق يده (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ناس معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن كأسنمة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها (وقال) الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (وفى الآية) تأويلان أحدهما انا أمرناهم بالطاعة ففسقوا أى خرجوا عن الطاعة والثانى على قراءة المدنى كثرنا عددهم وأسبغنا النعم عليهم فعصوا وبغوا (ومنه) قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة أومهرة مامورة أى كثيرة النتاج (واعلموا) ان حشرات الارض وهوامها تلعن العصاة (وقال) مجاهد اذا أشعثت الارض تقول البهائم هذا من أجل عصاة بنى آدم لعن الله عصاة بنى آدم وذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (وفى الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل ليموت هزلا بذنب ابن آدم يعنى ان بذنوب الخلق يمتنع القطر فلا تنبت الارض فتهلك الدواب والحشرات (وسمع) أبو هريرة رضى الله عنه رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا بنفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت هزلا فى وكرها بظلم الظالم (وقال) ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم فى صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل يارسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ماظهر الغلول فى قوم قط الا فشا فى قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا فى قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو (وقال) بعض الحكماء

الحسل بكسر فسكون ولد الضب حين يخرج من بيضته وجمعه أحسال وحسول وحسلان بالكسر اه

اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند المقدرة قدرة الله عليك ولا يعجبك امرؤ رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت (وروى) ان بعض الملوك رقم على بساطه هذه الابيات

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم
لاشك دعوة مظلوم يحل بها * دار الهوان ودار الذل والنقم

(وأنشدنا) أبو عبد الله الدامغانى قاضى القضاة ببغداد

اذا ماهممت بظلم العباد * فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان المظالم يوم القصاص * لمن قد تزودها شر زاد

(وقال) سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ماهبت شيئا قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بينى وبينك (وقال) بلال بن مسعود اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله (وقال) أبو سليمان الدارانى لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عليه عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فجلى بكبيرهم وكان ابن خالته وقال له بم أوصاك أبوك قال بأربع قال وماهن قال يابنى لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقك فى مالا يعنيك فتسقط من عين الله ولا تسئ بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال ابكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة ولمحمود الوراق

انى وهبت لظالمى ظلمى * وتركت له ذاك على علمى
فرأيته أسدى الى يدا * لما أبان بجهله حلمى
رجعت اساءته عليه أسى * حقا فآب مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجر ومحمدة * وغدا بكسب الذنب والاثم
مازال يظلمنى وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم
فكانما الاحسان كان له * وأنا المسئ اليه فى الحكم

(وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري (وقال) ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادّوا المظالم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه ويردّه الى صاحبه (وقال) أبو ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه (وقال) غيره لو ان الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك ان تخرب (وقال الحكيم) العدل مرمة والظلم ظلمة بالعدل تجر اليك الجوانح وبالجور تهجم عليك الجوائح فاحذر من لا جنة له الا الثقة بمنزل الغير ولا سلاح له الا الابتهال الى مقلب الدول (وقال) مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يامعشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي (وقال) أبو أمامة رضى الله عنه يجئ الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ماظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ماظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار (وفي) صحيح مسلم ان هشام ابن حكيم مر بالشام على اناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ماهذا قالوا يعذبون في الخراج قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا (واخبرني) رجل ممن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ عينا للمكاسين يدور حولهم فرأيته في النوم بعد وفاته فقلت من أين تجئ فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فسألته فقال لا تسأل فسألته فقال لا تسأل من الجحيم فقلت له قل لي الى اين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت كيف لقيت قال وماذا لقيت كان لحمي جعل في هاون ودق حتى صار مثل المخ (وأخبرني) رجل من أهل الدين والعلم قال رأيت فلانا البياع في النوم بعد وفاته فقلت مافعل الله بك قال انا محبوس عن الجنة قلت بماذا قال كنت أبيع في الدكان فيزدحم الناس على فآخذ دراهمهم

فاجعلها فى وكلما تفرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت فى فى الغضتان فدفعت لاحدهما فضة الآخر وكانت أنقص من فضته بحبة ثم حوسبت فبقى على حبة فقلت له فادفع له الحبة فتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من أين ادفع له يكررها مرات (وروى) ان يونس عليه الصلاة والسلام لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوى الى ظلها فيبست فبكى فأوحى الله تعالى اليه أتبكى على شجرة فقدتها ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون اردت ان أهلكهم (وقيل) لابن السماك الاسدى أيام معاوية رضى الله عنه كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهى (وقال) بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم مالا بد له من رده (وقال) رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه فقال عمر رضى الله عنه ان الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم الفضل عليه (وقال) عمرو بن دينار نادى رجل فى بنى اسرائيل من رآنى فلا يظلمن أحدا فاذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكى ويقول من رآنى فلا يظلمن أحدا فسئل عن حاله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر فى بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد سبعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت رأسه فعض النون ابهامى عضة شديدة ثم أكلناه فوقعت الاكلة فى ابهامى فاتفقت الاطباء على قطعها فقطعتها فوقعت فى كفى ثم ساعدى ثم عضدى فمن رآنى فلا يظلمن أحدا فخرجت أسيح فى البلاد وأنا أريد قطع عضدى اذ رفعت لى شجرة فأويت الى ظلها فنعست فقيل لى فى المنام لاى شئ تقطع عضدك رد الحق الى أهله فجئت الى الصياد فقلت له يا عبد الله أنا مملوكك فاعتقنى فقال ما أعرفك فاخبرته فبكى وتضرع وقال أنت فى حل فلما قالها تناثر الدود من عضدى وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة نظرت الى السماء وبكيت وقلت يارب أشهد انك عدل تحب العدل

وهذا مناك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقتنى وخلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا فاسألك بالذى خلقتنى وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك (وقال) معاوية ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه (وقال) بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله عز وجل وظلم لا يتركه الله تعالى وظلم لا يعبأ الله سبحانه وتعالى به شيئا (فأما) الظلم الذى لا يغفره الله تعالى فهو الشرك به (وأما) الظلم الذى لا يتركه الله تعالى فظالم العباد بعضهم بعضا (وأما) الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد بينه وبين الله تعالى (وقال) ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة له رجوت أن يخرج من مظلمته (وقال) يوسف بن اسباط توفى رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا اشديدا وشكوا ذلك الى المسيح عليه الصلاة والسلام فوقف على قبره ودعا فأحياه الله تعالى وفى رجليه نعلان من نار فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا أنى مررت بمظلوم فلم أنصره فتنعلت هاتين النعلين (وأنا) أوصيك اذا فعلت بأحد مكروها فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما اذى هارون عليه السلام وأخذ برأسه ولحيته ثم تبين له براءته وان بنى اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين (وروى) ان قوم لوط عليه السلام كانت فيهم عشر خصال فأهلكهم الله عز وجل بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى المياه الجارية وفى شواطئ الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصى فيعورونهم واذا اجتمعوا فى المجالس أظهروا المنكر باخراج الريح منهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواط قال الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق

الجلاهق بالضم البندق الذى يرمى به وأصله بالفارسية جله بالضم اهـ ق

ولبس الحمرة وتزيد عليهم هذه الامة باتيان النساء بعضهن لبعض (وانما) حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة فى منازلهم وحوائطهم فأصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا بأى شئ نمنع ثمارنا حتى لا يطرقها أحد من الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه فيها نكحوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها أحد من العالمين (قال) ابن عباس رضى الله عنهما كان بدو الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس اللعين فى هيئة صبى أجمل ما يكون وأكمل شئ فراوده الناس ونكحوه واجترؤا على ذلك وقال أبو العتاهية فى الظلم

أما والله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
تنام ولم تنم عنك المنايا * تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا * وكم قد رام غيرك ماتروم
الى ديان يوم الدين تمضى * وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن أمم تقضت * فتخبرك المعالم والرسوم

(وروى) ان أنوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال له ما حملك على ما صنعت من ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال له لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم اذا وليت فقال له أنوشروان زه زه (وقال) عبد الرحمن جمع زياد بن أمية الناس بالكوفة فى امارته عليهم ليحرضهم على لعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه والبراءة منه فلئ منهم المسجد والرحبة والقصر وكان على الناس يوما عظيما قال وكنت فى القوم فأغفيت اغفاءة ومعى أناس من أصحابى من الانصار فرأيت فى منامى شيأ قد أقبل طويل العنق أهدب فأفزعنى منظره فقلت له من أنت قال أنا النقار ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعا فأخبرت أصحابى بالذى رأيته فوالله ما كان ريث حلب ناقة وانا فى الحديث اذ خرج علينا صاحب زياد فقال

ايها

أيها الناس انصرفوا فان الامير عنكم مشغول فاذا هو وقد ضربه الله سبحانه بالفالج فى تلك الساعة (وروى) ان عبد الله بن مصعب الزبيرى سعى الى الرشيد بيحيى بن عبد الله بن حبيب الحسن بن الحسن السبط الطالبى عليه السلام فجمع الرشيد بينهما فقال يحيى والله يا أمير المؤمنين لقد قال فى يا مالا وأنا أستحلفه قال عبد الله أنا أحلف فقال له قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولى وقوتى ان لم أكن صادقا فيما ادعيته عليك فتلجلج وامتنع عن اليمين فغضب الرشيد وقال له ان كنت صادقا فاحلف فحلف بهذه اليمين فقال يحيى الله أكبر لا يحلف بها أحد كاذبا الا عوجل فأخذ فى يومه وضربه الله بالجذام وسوّد وجهه وبدنه قال سليمان بن جعفر لقد دخلت عليه فى اليوم الثالث من بليته قبل وفاته بيوم فوالله ماعرفته وجدته كالزنجى وقد تقطع جذاما (وروى) ان مالك بن دينار دخل على بلال بن أبى بردة فقال له بلال ادع الله لى يا أبا يحيى قال وما ينفعك دعائى وبالباب مائتان يدعون عليك (ومثل) ذلك قول سليمان بن عبد الملك لابى حازم ادع الله لى فقال أنا أدعو الله لك ههنا ومظلوم بالباب يدعو الله عليك فأى الدعوتين أحق بالاجابة (وكان) سديف مولى بنى هاشم يقول فى دعائه اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وامارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للامة واشتريت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والارملة وحكم فى أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بامورهم فاسق كل محلة اللهم قد استحصد زرع الباطل وبلغ نهيته واستجمع طريده فأتح له من الحق يدا حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره ليظهر الحق فى أحسن صورة وأتم نور (وقال) شوذب قال عمر بن عبد العزيز يذكر الظلمة الوليد بالشأم والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت والله الارض جورا (فأما) ظلم الوليد فقال عبد الرحمن بن محمد الانصارى رأيت أبيات النبى صلى الله عليه وسلم وعليها المسوح السود فلما قدم الوليد المدينة نظر الى أبيات النبى صلى الله

فأتح أى قدّر اه

عليه وسلم فقال مابالها يدخلها الجنب والحائض اهدموها فهدموها (وقال) حبيب بن عبد الله بن الزبير محمد الى آية من كتاب الله كانتظر اليها فجمعاها فبلغت كلمته الوليد فكتب الى خليفته اقم حبيبا على باب المسجد فاضربه مائة سوط ثم أقمه على البئر ينزع بالبكرة وكان فى يوم شديد البرد فمات (وقال) الشعبى دخلت على يزيد بن هبيرة فوالله لقد أردت كلمة أرضى بها أمير المؤمنين ولا أسخط بها خالقى فما قدرت عليها (ونظر) رجل الى أبى يوسف القاضى وعليه خلعة الرشيد فقال جئتك لآخذ عنك دينى فاذا أنت فى زى قارون (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اذا رأيت ظالما فلا تصحب الظالمين فتهون فى عينى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما يكون فى آخر الزمان قوم ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون يباعدون الفقراء ويقربون الاغنياء وينقبضون عند الحقراء وينبسطون عند الكبراء أولئك الجبارون أعداء الرحمن (وقال) على ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم (وروى) ان عيسى عليه السلام بينما هو فى سياحته اذا بفارس قد نزل على شاطئ نهر فأكل وشرب ثم ركب وانصرف ونسى كيسا كان معه فأقبل صبى فأخذ الكيس ومضى ثم أقبل شيخ فتوضأ وصلى ونام فذكر الفارس الكيس فرجع فأيقظ الشيخ من نومه وسأله عن الكيس فأنكر أن يكون وجد شيئا فانتزع سيفه فقتله فقال عيسى عليه السلام يا أكرم الاكرمين الصبى أخذ الكيس وقتل الشيخ فأوحى الله اليه ان أبا الفارس ظلم أبا الصبى على الكيس والشيخ قتل أبا الفارس (وأنشدوا)

يا ذا الذى ليس له زاجر * عن ظلم أمثاله ولا ناهى
انى لمن قوم اذا أوعدوا * توعدوا للوعد بالله

(الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة)

(قال) الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد

اثيم

أثيم عتل بعد ذلك زنيم (فذكر) الله عز وجل فى القرآن العزيز أصناف أهل الكفر والالحاد وأهل اللمز والفسق والظلم واشباههم ولم يسب سبحانه أحدا منهم الا النمام فى هذه الآية وحسبك بها خسة ورذيلة وسقوطا وضعة (وهذه) الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة فى أصح الاقوال (والهماز) المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم (وقال) الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة (والعتل) فى اللغة الغليظ الجافى وأصله من العتل وهو الدفع بقوة وعنف (وقال) أمير المؤمنين على ابن أبى طالب والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السيء الخلق (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما العتل الغليظ الشديد المنافق (وقال) عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة (وقال) بنان هو الجافى القاسى اللئيم العسر (وقال) مقاتل العتل الضخم (وقال) الكلبى هو الشديد فى كفره وكل شديد عند العرب عتل (وقيل) العتل الشديد الخصومة بالباطل (والزنيم) هو الدعى الذى لا يعرف من أبوه (قال) حسان بن ثابت رضى الله عنه

وذاك زنيم نيط من آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(وقال غيره)

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى الام ذو حسب لئيم

(وقال) أكثر النقلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة (وعن) هذا قول القدماء لا يكون نماما الا وفى نسبه شئ (وسعى) رجل الى بلال بن أبى بردة برجل وكان أميرا على البصرة فقال انصرف حتى أكشف عن أمرك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعنى ولد زنا (وقال) أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا يبغى على الناس الا ولد بغى (وقيل) الزنيم الذى له زنمة فى عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما لما وصفه الله عز وجل بتلك الخلال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له زنمة فى عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها

ومن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبى صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال منعونى صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف عن أمرهم فوجد ماقاله كذبا فنزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن) ذلك قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت فشرك الله تعالى بين السامع والقائل فى القبح وساوى بينهما فى الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع نمام فى الحكم (وأما) ماروى فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فروى مسلم فى الصحيح عن هشام قال كنا مع حذيفة فقيل له ان ههنا رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايدخل الجنة قتات وفى لفظ آخر نمام (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به (وروى) ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان ومايعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لايستبرى من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين وغرز فى كل قبر واحدة فقالوا يارسول الله لم فعلت هذا فقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما) السعاية الى السلطان أو الى كل ذى قدرة ومكنة فهى المهلكة والحالقة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس

والاموال

والاموال والقدح فى المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم من دم اراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا ومن محبين تباغضا ومن إلفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصغى لساع أو يسمع لنمام (روى) ابن قتيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع (فالديوث) الذى يجمع بين الرجال والنساء سمى بذلك لانه يدث بينهم (والقلاع) الساعى الذى يقع فى الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المكين عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه (وقال) كعب: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه الصلاة والسلام فخرج موسى ليستسقى ببنى اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج الثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فأوحى الله تعالى اليه ياموسى انى لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله تعالى اليه ياموسى انهاكم عن النميمة وآتيها فاكون نماما فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث (ولما) لقى أسقف نجران عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ياأمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتى الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر رضى الله عنه ماأراك أبعدت (ووجدنا) فى حكم القدماء أبغض الناس الى الله عز وجل المثلث قال الاصمعى هو الرجل يسعى بالنميمة فى أخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه (وذكر) رجل السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم أصدق مايكون أبغض مايكون عند الله عز وجل (وقال) حكيم الفرس الصدق زين على كل أحد الا السعاية فان الساعى أذم وآثم مايكون اذا صدق (ولله) در الاسكندر حين وشى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان شئت اقلناك قال أقلنى قال قد أقلناك كف عن الشر

يكف عنك الشر (وروى) ان رجلا سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد أما أنت فتخبرنا انك جار سوء فان شئت ارسلنا معك فان كنت صادقا أبغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تركناك قال فاتركنى يا أمير المؤمنين فقال قد تركناك (ومن أعجب) العجب ان الرجل يشهد عندك فى تافه بقل فلا تقبله حتى تسأل عنه هل هو من أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة أم لا ثم ينم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله (وقال يحيى) بن زيد قلت للحسن بن على رضى الله عنهما لما سقى السم اخبرنى من سقاك فدمعت عيناه وقال أنا فى آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة أتأمرنى ان أغمز (وقال) رجل للمهدى عندى نصيحة يا أمير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال المهدى ليس الساعى بأعظم عورة ولا بأقبح حالا ممن قبل سعايته ولا يخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا يشفى لك غيظك أو عدوا فلا يعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس وقال يا أيها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بما لله فيه رضى وللمسلمين فيه صلاح (وروى) ان رجلا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية أسوء من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبل وأجاز لان من فعل أشر ممن قال (وروى) ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها هذه النصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى (وروى) ان رجلا قال للمأمون يا أمير المؤمنين الله الله فى أصحاب الاخبار فانهم قوم اذا اعطوا مدحوا وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله درها من كلمة ما أصدقها وأبين فضلها وأمر أن يثبت فى ديوان أصحاب الاخبار (وقال) مروان ابن زنباع العبسى يا بنى عبس احفظوا عنى ثلاثا من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج فى البيوت السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن (وقال) بعض الحكماء

احذروا

احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات (وقال) حكيم العرب اياك والسعاة فانهم أعداء عقلك ولصوص عدلك فيفرقون بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر) من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة بالفوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه وأحق الناس برعاية مارسمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من آتاه الله عز وجل سلطانا ومكن له في الارض فذو القدرة اذا أطاع الواشي أهلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من أراد أن يسلم من الاثم وتبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالحق ولا يقبل أحدا في أحد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فانا قد أحببنا بقول أقوام وأبغضنا بقول آخرين فأصبحنا على ما فعلنا نادمين (ومن) لطيف حكمة الله تعالى في النميمة لما علم عز وجل شؤمها واستطارة شرها وعموم مضرتها في الورى حكم بفسق النمام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق عن شره (وقال) ابن عمر رضي الله عنهما وفد الحاج وفد الله ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى الناس ويسألهم عن حالهم فيخبرونه انهم راضون وليسوا براضين (واعلموا) ان الله تعالى خلق الانسان على أنحاء شتى لسنا نذكرها الآن لكثرتها وطول تتبعها فخلق الله تعالى له الحواس الشريفة والاعضاء النافعة الرئيسة فمن أفضل ما ركب فيه اللسان الذي هو آلة النطق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن به عليه في أول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه أيضا أعضاء تذل وتستهان وجعلها مجرى لفضول الطعام والشراب فمن تتبع سقطات الكلام وتروى عثرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفنها كان قد استعمل اشرف الآلات في أخس المستعملات فصار كمن يلحس بلسانه سوءة أخيه اذ جعل أكرم

جوارحه لا حسا لا ناس المستعرضين ورضى أن يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتتبع نغل الجسد و يتحامى صحيحه وقد كان له فى نشر المحاسن شغل ولكن أهل كل ذى حال أولى بها (وفى هذا) سبق المثل ان لم تكن عليها أصلح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر على جمع الفضائل فلتكن همته ترك الرذائل واذا تتبع الامام عورات الناس أفسدهم (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فشعر باناس من أصحابه يتحدثون فامتنع من الخروج اليهم حذرا ان لا يفسد قلبه عليهم ولو علم الذى يستمع أخبار الناس ماذا جنى على نفسه لعلم ان الصمم كان أهنأ لعيشه وأنعم لباله من سماع الاخبار فاذا علم نقلة الاخبار نفاقها عنده حملوا اليه الصدق والكذب فيكون فى سماع الكذب ممن قال الله تعالى فيهم سماعون للكذب أكالون للسحت ويكون فى سماع الصدق حمالا لاهم حرج الصدر على الخلق معاديا لهم متتبعا لعثرات الخلق وخزانا لسقطاتهم وقد وعى منهم مايجب ستره وحفظ مايجب نسيانه ثم لا يستطيع الانتصاف من كل قائل لانه ان كان ذا قدرة أهلك الرعية ولا يستطيع أن يهلك جميع الرعية وان كان سوقة لم يشف غيظه ثم أفسد أحواله وأبغض من يجب أن يحب وأحب من يجب أن يبغض فلا يزال يتحمل الحسائف وتزيد الاحقاد والضغائن ويرصد لكل قائل يوما يشفى صدره فيه فما أغنى العاقل عن سماع هذه البلية (ولله) در عمرو بن العاص رضى الله عنه اذ لاحاه رجل يوما وقال له أما والله ان عشت لاتفرغن لك فقال له عمر والآن وقعت فى الشغل يا ابن أخى والسلام

نغل الخ بكسر المعجمة أى فاسده اهـ

(الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمه)

(قال) الله تعالى ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب يعنى اذا علم القاتل والقاطع والفاتك انه يقتص منه أحجم ولم يقدم على الفعل فيكون فى ذلك سبب حياته وحياة الذى هم به (وروى) ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء

(وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاخيه مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه وهذا حديث صحيح رواه البخارى (فان قيل) يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبه المظلوم (قلنا) معنى الآية انه لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء وأما فى مسئلتنا فمظلمة بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذى اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (وروى) أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه لمنزله فى الدنيا (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندى مظلمة فليأت حتى أقصه من نفسى فقام سواد بن غزية فقال يارسول الله انك ضربتنى على بطنى ليلة العقبة فأوجعتنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال يارسول الله انك ضربتنى وأنا مكشوف البطن فكشف النبى صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هى كالقباطى يعنى ثياب مصر فأكب عليه يقبله فقال يا سواد ما حملك على هذا فقال يارسول الله دنا القاء هؤلاء المشركين فأردت أن يكون آخر العهد بك ان أقبل بطنك (فهذا) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان الله تعالى لا يدع القصاص فى المظالم بين العباد لان الله تعالى أعدل من أن يدع مظلمة لاحد عند نبى ولا غيره (وفى الحديث) يقول الله تعالى يوم القيامة أنا ظالم ان فاتنى ظلم ظالم (ويروى) ان داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله تعالى يوم القيامة فيقضى له عليه فيدفعه الى أوريا ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا ثم يعوض أوريا

القباطى بضم القاف وفتحها ثياب رقيقة من كتان اه

على ذلك الجنة (وقال حبيب) دخل عثمان بن عفان رضى الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له واذا فى علفها شئ فأخذ بأذنه فعركها ثم ندم فقال للغلام قم فاقتص منى فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بأذنه ثم قال له اعرك اعرك وهو يقول شدّ شدّ حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة (وروى) عوف بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا خادما فلم يجبه أو كان نائما فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لأوجعتك ضربا (وروى) ابن وهب فى موطاه عن ابن شهاب قال وقد أقاد النبى صلى الله عليه وسلم والخليفتان بعده رضى الله عنهما من أنفسهم ليستنّ بهم ولم يتعمدوا حيفا وكانوا سلاطين (وفى) صحيح مسلم روى أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة فيأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم ألقى فى النار (قال) مالك رحمه الله وبلغنى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما ولى الخلافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالى ولهذا ألا رددتها عليهم فسمعته عائشة رضى الله عنها فارسلت الى عمر رضى الله عنه فجاءه عمر فقال له انى قد ضربت رجلا وقد كنت معافى من هذا ان أضرب أحدا فقال له عمر رضى الله عنه كذلك الامام قال فما المخرج قال أن تأتى الرجل فتسأله ان يجعلك فى حل فاتياه فاستحلاه (دلت) الآثار على ان الامير والمأمور فى القصاص سواء اذا جنى أحدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال أمره عليه فى ذلك المعنى وكان الامير فى ذلك المعنى كبعض المأمورين حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم (وكان) عمر رضى الله عنه يقول انما بعثت أمرائى ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيئهم ويعدلوا فيهم ولم أبعثهم ليضربوا أبشارهم ويحلقوا أشعارهم فمن ظلمه أميره

واها بالتنوين وعدمه معناه هنا كلمة تلهف اه

اقاد أى أعطى القصاص اه

فلا امرة له عليه ذروني حتى آخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص الله الله يا أمير
المؤمنين ان أدب رجل رجلا من رعيته يقتص له منه فقال عمر انا اقتص منه
وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه (فأما) القصاص بين
البهائم (فاختلف) الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينها (فكان)
ابن عباس رضي الله عنهما يقول حشرها موتها (قال) وحشر كل شئ الموت
الا الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (وقال) معظم المفسرين انها
تحشر ويقتص منها (وقال) أبي بن كعب تحشر البهائم (وقال) قتادة يحشر
كل شئ حتى الذباب (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من دابة في الارض
الا تحشر يوم القيامة ثم يقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا
واقرؤا ان شئتم وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم
الى قوله ثم الى ربهم يحشرون (وقال) أبو الحسن الاشعري لا يقطع باعادة
البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويدخلون
الجنة ويجوز ان لا يعادوا (والدليل) على ثبوت الاعادة في الجملة قوله
تعالى واذا الوحوش حشرت وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم الى قوله ثم الى ربهم يحشرون (وروى)
مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى ان الشاة الجلحاء لتقاد من
الشاة القرناء (وقال) أبوذر رضي الله عنه انتطحت شاتان عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أتدري فيم انتطحتا قلت لا أدري قال لكن
الله يدري وسيقضي بينهما فقال أبوذر رضي الله عنه لقد تركنا النبي صلى
الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما (وقال)
أبوذر ان الحجر ليسئل عن نكبة أصبع الرجل (وفي الحديث) الصحيح في مسلم
والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يأتي أحدكم على
رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تيعر ثم بسط
لها بقاع قرقر فتطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه أولاها

تيعر أي تصوت بشدة من باب ضرب ومنع وقوله قرقر بجعفر مستو اهـ

عادت اخراها (والحديث) وارد فى مانع الزكاة (قال) أبو الحسن لاتجرى المقاصصة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجرى عليها القلم (قال) وماورد فى ذلك من الاخبار نحو قول النبى صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء ويسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصى فى الحساب وانه لابد أن يقتص للمظلوم من الظالم (وأبى) ذلك الاستاذ أبو اسحاق الاسفرائينى (قال) فى الجامع الجلى يجرى القصاص بينهما قال ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر فى دار الدنيا فلهذا جرى فيه القصاص (قلت) وكلام الاستاذ له وجه فى الصحة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل العلف وينزجر الكلب اذا زجر ويستأسد اذا شلى والطير والوحش يفر من الجوارح استدفاعا لشرها (ثم) انهم لم يجر عليهم القلم فى الدنيا وانما رفع القلم عنها فى الاحكام (فان قيل) القصاص انتقام وهو جزاء على جناية وقعت مخالفة للامر والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول عندكم لا يجب بها شئ على العقلاء فضلا عن البهائم وفى هذا انفصال عن قول الاستاذ أبى اسحاق انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شئ ويشهد له قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (فالجواب) انها ليست مكلفة لانه من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان فاذا لم يكونوا مكلفين كانوا فى المشيئة يفعل الله بهم ما أراد كما سلط الله عليهم فى الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه ولله تعالى ان يفعل فى ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يؤلم البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد جناياتها والآية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ويجوز أن الله تعالى خلق لها العلم الضرورى بالعلم من ذلك ثم ان لم يجر عليها القلم فى الدنيا فانما رفع عنها فى الاحكام ولكن فيما بينهم يؤاخذون به (وقد) روى البخارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع

شلى أى أغضب اه

جنسها

جنسها (وفيه) دليل على ان الله تعالى يعذب بملكه لا بالمعصية (وقد) ضرب موسى عليه السلام الحجر الذى فر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فضربه بعصاه والحجر يفر وموسى يقول ثوبى حجر ثوبى حجر قال أبو هريرة فوالذى نفسى بيده انه ندب الحجر ستة أو سبعة (وروى) فى تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التى نكبت الناس فى الدنيا (وروى) ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع أنينه فسأله عن ذلك فقال سمعت الله تعالى يقول وقودها الناس والحجارة فلا أدرى أكون من تلك الحجارة أم لا (وقد) تأول بعضهم قول ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها الحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ترابا (قات) وتأويل ابن عباس رضى الله عنهما بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل فيه تفرقتها وتفرقة أجزائها ثم قال الى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى ربها جل وعلا

(الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة)

(قال) الله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (وقال) سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (وقال) تعالى ان مع العسر يسرا (وقال) الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين (وقال) ابن مسعود رضى الله عنه والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين (ومعنى) الآية انه لما عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته فهو هو واذا نكرته ثم كررته فهو اثنان وقال بعضهم

ان يكن نالك الزمان ببلوى * عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع ناكيات * سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وحلت * كشفت عنك جملة فتجلت

(وقال) ابن عباس رضي الله عنهما أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل عليه السلام اتخذت منطقا لتخفي أثرها عن سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلا المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم صلى الله عليه وسلم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان عند الثنية بحيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم رفع يديه ودعا بهذه الدعوات فقال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسماعيل عليه السلام ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما في السقاء فعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها فسمعت أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غياث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله عز وجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله عز وجل لا يضيع أهله (ومنه) قصة الثلاثة الذين خلفوا وذلك ان كعب

ابن

المنطق كمنبر شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلا على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض اه

ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبى
صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال فاجتنبنا الناس وتغير والناحتى
تنكرت لنا الارض بما رحبت فما نعرفها وكنت أطوف فى الاسواق وأشهد
الصلاة مع المسلمين ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم
عليه وأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا حتى اذا طال على ذلك
من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى
وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فلما تمت خمسون
ليلة من يوم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا صليت صلاة الفجر
وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكرها
الله عز وجل قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت وما كان
شئ أهم على من أن أموت على تلك الحال فلا يصلى على النبى صلى الله عليه
وسلم أو يموت النبى صلى الله عليه وسلم فأكون بين الناس بتلك المنزلة
لا يكلمنى أحد ولا يصلى على فأنزل الله تعالى توبتنا فسمعت صوت
صارخ من أعلا الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا لله تعالى
وعرفت ان قد جاء الفرج فخلعت ثوبى على الصارخ ببشراه و والله
ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما ثم أتيت النبى صلى الله
عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من توبتى ان انخلع من
مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أمسك عليك
بعض مالك فهو خير لك (وروى) ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما شب
ودرج فى موضع ربى فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا فقال انه رأى
الزهرة قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال
هذا ربى فلما أفل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم
الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما
أفلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات

والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني يعني الى الاسلام ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون قالوا يا ابراهيم أما تخاف من آلهتنا ان تصيبك بسوء لاتقوم به ان أنت سببتها وعبتها قال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون (وكان) آزر يصنع اصناما يعبدها قومه ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر لهم فيلقيها فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استهزاء بها واظهارا لقومه فساد ماهم عليه ففشا ذلك عندهم من غير أن يبلغ ذلك الى نمرود فأوّل ما نادى في قومه ان نظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها وقد وضعوا لها طعاما وشرابا فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع أيديها وأرجلها حتى جعلها جذاذا وأراق طعامها وشرابها وعمد الى الفأس فعلقها في يد الههم الكبير ثم خرج عنها وتركها جذاذا فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت أصنامهم فلما رأوا ما صنع بها راعهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال بعضهم لبعض سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم أى سمعناه يسبها ويستهزئ بها فقال نمرود فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما أتى بابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون انا قد ظلمناه بما نسبناه اليه ثم قالوا وقد علموا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له نمرود لما سمع ذلك منه صف لى الهك الذى تعبد وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذى يحيي ويميت قال نمرود

أنا أحيي وأميت قال كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فأكون قد أمته واعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان كنت صادقا فأحي الذي قتلت بزعمك وأخرج روحا من جسده من غير أن تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد الى ابراهيم شيئا وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر أمره وفشا وتبعه قوم كثير على دينه فلما أرادوا أن يحرقوا ابراهيم واجمع أمرهم على ذلك بنوا له جسرا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه الى سفح جبل منيف لا يرام ولا يرقى و بلطوا الجدار فلا يمشي فيه شئ الا زلق عنه وأذن مؤذن نمرود أيها الناس احتطبوا لنار ابراهيم ولا يتخلفن عنها ذكر ولا أنثى ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقي في تلك النار فعملوا في ذلك أربعين ليلة حتى ان المرأة منهم تنذر على نفسها نذرا ان رجع غائبها أو أفاق عليلها لتحتطبن لنار ابراهيم حتى اذا كمل ذلك قذفوا به الى النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المنجنيق (قال) وهب بن منبه رضي الله عنه بلغني ان السماء والارض والبحار وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة وقالوا يا ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فأوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بكم فانصروه واعينوه وان دعاني فأنا وليه وناصره فلما وضع في كفة المنجنيق وقذفوه في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فأوحى الله تعالى الى النار أن كوني بردا وسلاما على ابراهيم فأطاعت النار ربها عز وجل ولو لم يقل وسلاما لمات من شدة البرد (ولبث) ابراهيم عليه السلام في النار سبعة أيام فظن قومه انه قد أحرق ثم قال نمرود انظروا ماذا فعل ابراهيم فاني رأيت الليلة في نومي ان جدار هذا الجسر قد انهدم وخرج ابراهيم يمشي وذاب النحاس

الذى سد به باب الجسر واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم صلى الله عليه وسلم فوجدوه صحيحا سليما وخرج الناس ينظرون اليه على تلك الحالة فلما رآهم خرج يمشى حتى قعد الى أمه وهى فى الجمع وأقبلت سارة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه وقالت يا ابراهيم انى آمنت بالذى جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت لها أم ابراهيم احذرى القتل على نفسك فقالت اليك عنى فانى لا أخاف شيئا وقد آمنت برب ابراهيم وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم يأتمرون به ليجددوا له عذابا فأرسل الله ريحا عاصفا فنسفت رماد تلك النار فى وجوههم وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به (وقال) مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبى الله سليمان عليه السلام انطلق الى الحمام ومعه جنى يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلاء بخاتمه فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان عليه السلام منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على كرسيه وتسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه فجعل يقضى بين الناس والناس ينكرون قضاياه حتى قالوا لقد فتن نبى الله سليمان ومكث سليمان على ذلك أربعين يوما ثم أقبل سليمان على حالته تلك وهو جائع تائع حتى انتهى الى شاطئ البحر فوجد صيادين فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشج وجهه قال فجعل يغسل وجهه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم ونتن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم الى شاطئ البحر فشق بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه فلبسه فرد الله تعالى عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير فحامت عليه فعرف القوم أى الصيادون انه سليمان عليه الصلاة والسلام فجاؤا يعتذرون اليه (وروى) وهب بن منبه رضى الله عنه ان الله تعالى وهب لابراهيم اسحاق فلما كان ابن سبع سنين أوحى الله الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يذبحه

قوله تائع أى مسرع اه

وان

وان يجعله قربانا فكتم ابراهيم ذلك عن ابنه وأمه وجميع الناس وأسرّه
الى خليل له يقال له العازر وكان أوّل من آمن به من قومه يوم رمى فى النار
فقال له ان الله تعالى قد رفع اسمك فى الملاء الأعلى على جميع اهل البلاء
حتى كنت أرفعهم بلية ليرفعك الله بقدر ذلك فى أعلى المنازل والفضائل وقد
علمت ان الله تعالى لم يبتلك بذلك ليفتنك ولا ليضلك فلا يسوءنّ ظنك بالله
وأعوذ بالله أن يكون ذلك حتما منى على الله تعالى أو تسخطا الحكمه الذى حكم
على عباده ولكن هذا أحسن الظن بالله تعالى فان عزم ربك على ذلك فكن
عند أحسن علمه بك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فتعزى ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بقوله واشتد له رأيه وبصيرته وانطلق باسحاق فلما
صعد الجبل ومعه السكين والحبل وأداة القربان فقال له اسحاق
يا أبت أرى معك أداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم القربان يا بنى
بعين ربك ينظر اليه فان شاء رحم أباك فلم يفطن اسحاق فلما وافى رأس
الجبل قال ابراهيم يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك وأجعلك قربانا
يرفعك اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل وجه اسحاق واستبشر فقال له
والده والله لقد فجعتك يا بنى بأمر ما فجع به والد ولده وانى لأرى من سرورك
بذلك وشكرك لربك أمرا أرجو به العافية والفرج فقال له يا أبت لم يكن
شئ من الدنيا أحب الى من البر بك وبامى وقد حرمنيه ربى فاذا أردت ذبحى
فاشدد وثاقى فانى أخاف حين يفارقنى عقلى وأجد ألم الحديد ان يتحرك منى
عضو فيؤذيك وأنا أكره ان أختم بذلك عملى فاذا فرغت من شأنى فاقرئ أمى
السلام وقل لها لا تجزعى فقد أكرم الله لك ابنك فى حياتك فلما فرغ
من وصيته عمد ابراهيم عليه الصلاة والسلام اليه فعصبه بعمامته ما بين
منكبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كى لا تدركه
له رحمة اذا هو تشحط فى دمه ثم أدخل يده تحت حلقه فلما أراد ان يمرها على
حلقه انقلبت السكين فأوجس ابراهيم فى نفسه ثم اعاد الثانية فلما أراد
ان يجر السكين انقلبت السكين ونودى أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا

كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فداء ابنك قد فداه الله تعالى لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فأخذه ووجهه ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى مكة وكانت قبلته يومئذ فذبحه ابراهيم وقصه اسحاق فلما فرغا منه قرباه قربانا فرفعه الله تعالى اليه وتقبله (وقال) أبوهريرة رضي الله عنه لما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعا شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فأحيي ليلة من الليالي يدعو ربه تعالى وكان من دعائه ان قال رب أخرجتني من أحب البلاد الى وفرقت بيني وبين اخوتي وأبوي ووطني فاجعل لي في ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب وحبب الى البلاد التي أنا فيها وحببها الى كل من يدخلها وحببني الى أهلها وحببهم الى ولا تمتني حتى تجمع بيني وبين أبوي واخوتي في سرمنك ونعمة وسرور وتجمع لنا به بين خيري الدنيا والآخرة انك سميع الدعاء فأتى يوسف عليه السلام في نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعاءك وأعطاك مناك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك أبويك واخوتك وأهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لا يخلف وعده (وبدعاء) يوسف عليه السلام صارت مصر محبوبة لكل من دخلها فلا يكاد يخرج منها (قال) قتادة ماسكنها نبي قبله (ولما) جمع الله تعالى شمله وتكاملت النعم عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين (ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد ابن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي

مسلم

مسلم عنقود عنب فقال له يزيد خذ بين دنا منه يا محمد بن يزيد قال نعم قال أما
والله لطالما سألت الله ان يمكنني منك بغير عهد ولا عقد فقال محمد وأنا والله
طالما سألت الله تعالى أن يجيرني منك وان يعيذني قال يزيد فوالله ما أجارك
ولا أعاذك وان سابقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه
الحبة حتى أقتلك فأقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم يصلي وكان
أهل افريقية قد اجمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله
وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت (فسبحان) من قتل الامير وأحيى الاسير
سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور
الموت من معدن الحياة (وروى) ان سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم
فأرسل الى قائد البحر وقال انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتوني بأخبارها
فعمر القائد المركب وأرسله لحينه فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه لم يبرح
فقال له الملك أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم امتثلت أمرك وانفذت
المركب ورجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فجاء مقدم المركب ومعه
رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث أمرت قال ذهبت في المركب فبينما انا
في جوف الليل والبحارون يجذفون فاذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث
المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا نادينا مرارا لبيك لبيك
وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه لبيك لبيك وتوجهنا
نحو الصوت فألفيناه هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فاخرجناه
من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ
أيام ومازلت أسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان
من أسهر سلطانا وأرق جبارا في قصره لغريق في البحر وظلمة الوحشة حتى
استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله
الا أنت سبحانك يا أرحم الراحمين (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع
بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتنة العدو فزحفت الينا في البحر سفن
تقارب ثلثمائة سفينة وارست في الساحل فرأينا أمرا مهولا وفينا الشيخ الصالح

الزاهد العابد ابن السميطار فلجأ الناس اليه واستجمعوا حوله يتبركون به ويتنظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حينا ثم سجد وعفر خديه بالارض يقلبهما يمينا وشمالا قال فوالله مابرحنا حتى هبت ريح مزقتها كل ممزق فلم يجتمع منها اثنان (وأخبرني) أبو القاسم بن هانئ رحمه الله تعالى قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مفازة تبوك ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيعه بالدنانير بأرفع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصلاح عليه قطعة نطع يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتشفع بي الى الجمال ان يبيعه الماء بذلك الدقيق فكلمته فأبى علي ثم عاودته فأبى قال فبسط الرجل النطع ونثر عليه الدقيق ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي أنا عبدك وهذا دقيقك ولا أملك غيره وقد أبى ان يقبله ثم ضرب بيده النطع وقال وعزتك وجلالك لا برحت حتى أشرب فوالله ما تفرقنا حتى نشأ السحاب وامطر في الحين فشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له مطروح بالابواب لو أقسم على الله لأبره (وأخبرني) شيخ ممن كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له جبر قال اخبرني عبد الكافي الديباجي قال رأيت بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له قد أسكت منذ أيام لا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا قد أسكت منذ أيام ولم يتكلم فادع الله ان يفرج مانزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح على وجه الصبي فاستفاق الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم التفت الى الرجل وقال اكتم هذا علي الى الموت ثم التفت الى جاريته وقال اكتمي هذه علي الى الموت وأنت حرة لوجه الله تعالى فلما كان يوم توفي الشيخ أبو بكر واجتمع الناس لجنازته وتكاثرت الامم قام الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا أهل القيروان اسمعوا قصتي مع هذا الشيخ وساق الحديث كما ذكر (وحدثني) هذا الشيخ قال نزلت عندنا بالقيروان قصة لم يسمع بمثلها

فى السالفين وذلك ان بعض الجزارين أضجع كبشا ليذبحه فتخبط بين يديه
وأفلت منه وذهب فقام الجزار بطلبه وجعل يمشى الى ان دخل الى خربة
فاذا فيها رجل مذبوح يتشحط فى دمه ففزع وخرج هاربا واذا صاحب
الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول
فأصابوا الجزار وبيده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول فى الخربة
فقبضوه وحملوه الى السلطان فقال له السلطان أنت قتلت الرجل قال نعم
فمازالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافا لااشكال فيه فأمر به السلطان
ليقتل فاخرج للقتل واجتمعت الامم ليبصروا قتله فلما هموا بقتله اندفع
رجل من الحلقة المجتمعين وقال يا قوم لاتقتلوه فأنا قاتل القتيل فقبض وحمل
الى السلطان فاعترف وقال أنا قتلته فقال السلطان قد كنت معافى من هذا
فما حملك على الاعتراف فقال رأيت هذا الرجل يقتل ظلما فكرهت أن ألقى
الله بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قال للرجل الاول يا أيها الرجل
مادعاك الى الاعتراف بالقتل وأنت برئ فقال الرجل فما حيلتى رجل
مقتول فى الخربة وأخذونى وأنا خارج من الخربة وبيدى سكين ملطخة
بالدم فان أنكرت فمن يقبلنى وان اعتذرت فمن يعذرنى فخلى سبيله وانصرف
مكرما (ولما) وزر فخر الملك بن نظام الملك لسنجار الملك وكان لفخر الملك
ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال فخر الملك لسنجار
لاحياة لى معك الا أن تقتل ابن عمى شهاب الملك فأبى سنجار فمازال يراجعه
الى أن أمر به فحبس فى بلد يقال لها بيهوا وكان والى ذلك البلد يكرمه لجلالته
وجلالة أهل بيته وأخلى له دارا فى القلعة مشرفة ثم جعل فخر الملك يفسد
قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجار الى واليه بقتل
شهاب الملك فاستعظم الوالى قتله وأخره أياما ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على
قتله فى يوم جمعة فبينما شهاب الملك يتطلع من طاقة الدار اذا بفارس يركض
فأوجس فى نفسه خيفة منه وقال هذا يريد يقتلنى فوصل الفارس وقال مات
فخر الملك فخلى سبيل شهاب الملك ثم وزر لسنجار مكان فخر الملك فسبحان

الفعال لما يريد (وأخبرني) أبو الفضل المعتز بمصر قال كان بمصر ملوك آل حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيى الاطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فأرصد له رجلا معه خنجر فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل من خاصرته فأصاب طرف الخنجر المعاء الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط ثم عافاه الله تعالى وصح وبرئ كأحسن ما كان (ولقد) كنت بالاسكندرية ونزلت سفن العدو بساحل مدينة برقة فأخذوا مركبا للمسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشد كتافه من خلفه فلما انتهوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه فألقاه في البحر وطعنه برمح كان معه فلم يخطئ نصل الرمح حبل الكتاف فقطعه وانحلت يداه فجعل يسبح حتى لحق بالساحل سالما ووصل للاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنور بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار فما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروه فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون اليه الاطباء فيلتمسون دلائله ومواضع الحياة منه فقضوا بأنه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فلما اخرجوا به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته فقال لهم حطوه حتى أبصره قال فحطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فمه وسقاه شيئا وقال حقنة حقنه فاندفع ما هنالك بسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى دكانه (وكان) رجل يمشي ببغداد فبينما هو يمشي في الطريق واذا بدارة قد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فما أخطأت رأسه وصارت الدار كوما وخرج الرجل من الطاقة سالما (وحدثني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض آل الصليحي فوشي بي واش الى السلطان فأمر بقتلي فأخرجت وقدمت للقتل وبركني

السياف

السياف ثم قال مدّ لي رقبتك فمددت عنقي لقضاء الله عز وجل فقال لي
السياف اشتد قلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك اذا بصائح من داخل
القصر لا تقتلوه خلوا سبيلي (وجرت) بقرطبة قصة غريبة في أيام المنصور
ابن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد الشبليشي شهد عليه بالزندقة
فحبسه المنصور مدة مع جماعة من الادباء وكلهم معروفون بالانهماك
والزندقة وكانوا من وجوه قرطبة وكان ينادي عليهم في كل جمعة يوقفون
في أثر الصلاة بباب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم فليؤدّها
فثبت على قاسم عند القاضي سجل بشهادات الشهود بأنواع منكرة تتضمن
الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر وعقد مجلس عظيم واستفتي الفقهاء فيه
فأوجبوا قتله فاشخص قاسم فحضر وحضر أبوه واستحضر ابنان صغيران
لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وجعل أبوه معه نعشا وحمالين وجعل أبوه
والصبيان يبكون على باب القصر وأحضر لضرب رقبته سياف يعرف بابن
الحبشي ودفعت له أسياف من القصر فجعل يروزها ويمس شفارها وأبوه
وابناه ينظرون اليه فاتفق حضور أبي الفقيه عمر والاشبيلي على كره منه
وكان يأبى الحضور فاستفتوه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك الا بالحق
الواضح دون الشبه احسبوا ابن الشبليشي فرجا ماذا تذبحونه فقال القاضي
ابن السري بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه فقال الفقيه أوقفني عليه
فأوقفه عليه فقال اخبرني بمن تقتله من هؤلاء الشهود فقال بهذا وهذا حتى
عدّ خمسة فقال الفقيه فبجميعهم تقتله قال نعم قال فلو شهد منهم اثنان
خاصة أكنت تقتله قال لا انما قوى بعضهم بعضا وزكى أكثرهم عندي
فالتفت الفقيه الى الفقهاء المشاورين فقال يا هؤلاء بالدعائم تقتل المسلمون
عندكم وتسفك دماؤهم فلست أرى قتله ولا أشير به فرجع الفقهاء الى
قوله ولم يردّوا عليه شيئا بعدما أفتوا بقتله منذ ستة أشهر فانفض الجمع وشيم
السيف فذهب البشير الى ابن أبي عامر فأخبره بالمجلس فقال ابن أبي عامر
مضيتم تقتلون ابن الشبليشي فدفنتم القاضي قد استشهدنا للدين ولا قاتل

يروزها أي يعبرها اه

قوله وشيم بكسر المعجمة معناه هنا أغمد اه

لمؤجل فحبس أبا حاتم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضى فى مثل هذا قال القائل اذا سئلت بماذا عرفت الله تعالى قال بنقضه عزائمى (ومعنى) الدعائم على لسان الفقيه هم الشهود الذين لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم بهما ولا يقبلا فيه فاذا كثر واقوى بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم (وفى نقيض) هذا ما حدثنا القاضى أبو مروان الدانى بطرطوشة وقد ولى قضاءها فتذا كرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هنالك ليستكنوا فيها من الرياح والامطار فاستوقدوا نارهم وسووا عيشهم وقرب تلك الدار حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فأبوا الا دخولها وباتوا النار اهى متبرئا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم أصبحوا فى عافية وحملوا دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل المحذر الدار ليصطلى ببقية النار فخر الحائط عليه فمات مكانه (وبلغنى) عن بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان بجزيرة صقلية ناهضا من مكان الى مكان فقعد واساعة لبعض شأنهم فاذا عقرب تدب فضرب بها بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالعقرب قد تشبثت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته فى عنقه فقضى مكانه (وأخبرنى) القاضى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل يبيع العطر فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أشياء سماها من العطر فأخذها فى طبقه ومضى فسقط الطبق من يده فتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تجبر له بعض هذه الاشياء فقال نعم ونزل فجمع ما اجتمع منها وجبر له بعض ذلك فأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف لا تظن أيها الشيخ ان جزعى لما ضاع لقد علم الله تعالى منى

انى

انى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعمائة دينارا وأربعة آلاف درهم الشك من أبى ذر ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن طلع لى الليلة مولود فاحتجت فى البيت الى ما تحتاج اليه النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة الدراهم فاشفقت ان أشترى بها حوائج النفساء فابقى بغير رأس مال ولا أقدر على التكسب فقلت اشترى بها شيئا وأطوف به صدر نهارى فعسى أستفضل شيئا أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتصرف فيه فلما قدر الله عز وجل بضياعه جزعت فقلت لا عندى ما أرجع به اليهم ولا ما أكتسب به وعلمت انه لم يبق لى الا الفرار منهم وان تركتهم على هذه الحالة يهلكون بعدى فهذا الذى أوجب جزعى (قال) الشيخ أبوذر وكان رجل من شيوخ الجند جالسا على باب دار يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص انا أرغب اذا أتممتم أمره ان تدخل معه عندى وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئا قال فدخلنا عليه فأذن لنا فقال الجندى للطواف لقد عجبت من جزعك فأعد على قصتك فأعاد عليه فقال الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان بها من أعيان الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فاخرج الجندى هميانا ووضعه بين يديه فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولى ان فيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذ أنت الدنانير فنفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على امانتى شيئا فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء ثم بكى الجندى بكاء شديدا وانتحب فقال له أبو حفص على علام تبكى وقد أدى الله تعالى امانتك وقد بذل لك مالا كثيرا وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك فقال ما أبكى لذلك وانما أبكى لانى أعلم انه قد حان أجلى وانه ما بقى لى أمل أؤمله ولا أمنية أتمناها

الآن يأتيني الله بصاحب هذا الهميان فيأخذ ماله فلما قضى الله عز وجل ذلك بفضله ولم يبق لى أمل علمت انه قد حان أجلي قال الشيخ أبو ذر فما انقضى شهر حتى توفى الرجل وصلينا عليه (قال) القاضي وحدثني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت هاهنا في هذه الدار وهذا الحانوت وأشار اليهما قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فبينما هو يحمل الخز في خرجه على حماره وفيه جميع ماله اذ نزلت القافلة فأراد انزاله عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس ليأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فأجابه وأكل معه ثم سأله عن حاله فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر أزعجه دون زاد فقال له الرجل كن رفيقي وتعينني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص على خدمتك محتاج الى طعامك فسار معه في طريقه يخدمه على أحسن حال حتى وصلا تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخلت الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلنا حتى أدخل فاقضي حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معهم فلم يزل يسعى حتى وصل الرفقة بعد الجهد فسألهم عن حماره وصاحبه فقالوا ماجاء معنا ولا رأيناه ولكنه وضع الاسباب على الحمار ودخل المدينة على أثرك وظنناك أمرته بذلك فكر الرجل راجعا الى تكريت فلم يجد له أثرا ولا وقع له على خبر فيئس منه وسار الى الموصل مسلوب المال فوافاها نهارا جائعا عريانا فقيرا مجهودا فاستحى ان يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقي حتى أمسى ثم دخل فدق باب داره فقيل له من هذا فقال فلان يعني نفسه فاظهر وا سرورا عظيما لحاجتهم اليه وقالوا الحمد لله الذي جاءبك في هذا الوقت على مانحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة حملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج أهلك وهى نفساء قد ولدت لك في هذا اليوم ولدا والله ماوجدنا مانشتري به شيئا للنفساء

ولقد كانت هذه الليلة طاوية على حالها فقيل لنا على دقيق ودهن تسرج به علينا فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم بحاله فيحزنهم وأخذ وعاء للدهن وجرابا للدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه وقد أغلق دكانه وأطفأ مصباحه ونام فناداه فأجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زنادا أزن لك الدراهم فى دقيق وزيت وعسل احتجت اليها الساعة وكره ان يخبره بتأخير الثمن فيمتنع منه فقدح البياع الزناد واستصبح فقال له التاجر زن لى من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا ومن الحطب كذا ما يرمق به الحال تلك الليلة فبينما هو كذلك اذحانت منه التفاتة الى قعر الحانوت فرأى فيه خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب اليه والتزمه والقى يده فى أطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال له يا عدو الله أين مالى فقال له صاحب الحانوت مالك يا فلان فوالله ما علمتك متعديا ولا أعلم انى جنيت عليك ولا على سواك فما هذا قال خرجى فرّ لى به خادم خدمنى بجميع مالى وبحمارى فقال له مالى علم غير أن رجلا ورد علىّ بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة وهذا الحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم فقال له احمل معى الخرج وامض معى الى الرجل فرفع الخرج معه وألقاه على عاتقه ومشى معه الى المسجد واذا الرجل نائم فى المسجد فرفسه برجله فقام الرجل اليه مذعورا فقال له مالك فقال أين مالى يا خائن فقال هو ذا على عاتقك والله ما تغادر منه ذرة قال فأين الحمار قال هو عند هذا الجانى معك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار من الموضع الذى كان فيه ووسع على أهله وأخبرهم بقصته فازدادوا فرحا وسرورا وتبركا بذلك المولود (ولما) وفى موسى عليه الصلاة والسلام لصهره شعيب عليه الصلاة والسلام الاجل الذى أجله لرعى موسى غنم شعيب عليه

الصلاة والسلام عوضا عن مهر ابنته أخذ موسى عليه الصلاة والسلام
زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى موسى الوادى المقدس عند جانب
الطور أجنهم الليل بظلمته فامسوا نائمين فبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته
الطلق وكانت حاملا وليس عندهم ما تحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء
وما يصلح به شأنهم فبقوا فى ضيق من الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى
عليه الصلاة والسلام يلتفت وينظر يمينا وشمالا يلتمس فرجا لما أمسوا فيه
من الضرر اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها
بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها أضيق ما يكون ذرعا وأحرجه
قلبا وأيئسه من رفق نودى من شاطئ الوادى الايمن أن ياموسى انى أنا الله
(وهكذا) لطائف الحق سبحانه وتعالى مع من سلم لامره ورجى فضله
وتكلم بالهدى والبشرى يفسح الله تعالى له أمله ويعطيه فوق ماسأله (هذا)
موسى خرج يقتبس نارا فنودى بالنبوة (وعن) هذا قال علماؤنا ليس
فى نصال الخيروان جلت ولا فى أنواع الاعمال وان عظمت أعلى من حسن
الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

أيها العبد كن لما لست ترجو * من نجاح أرجى لما أنت راجى
ان موسى مضى ليقبس نارا * من شعاع قد لاح والليل داجى
فأتى أهله وقد كلم الله * وناجاه وهو خير مناجى
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد * دنت منه راحة الانفراج

(وروى) ان العدو نزل بساحل افريقية فى عدد كثير من المراكب ففنى
ماؤهم وعطشوا وأيقنوا بالهلاك فنفر المسلمون اليهم فى عدد كثير من تلك
الحصون والسواحل فمنعوهم النزول لاستقاء الماء فارسلوا الى المسلمين
ان يخلوهم لاستقاء الماء فأبوا فتضاعف عطشهم حتى كادوا يهلكون ففتحوا
أناجيلهم ونشروا صلبانهم وأخذوا فى الدعاء والاستسقاء والتضرع الى الله
تعالى فلم يلبثوا ان أرعدت والتفت السماء بارزاقها ثم انجلت وأرخت ماء
كثيرا فبسط القوم أنطاعهم وجفانهم وآلتهم فشربوا وملؤا أوانيهم فضج

المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار أعداء الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم وأنابوا اليه وسألوه ما يحيون به رمقهم فأغاثهم فنحن أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وتعالى وأولى بالاجابة منهم فأخذ المسلمون فى الدعاء والابتهال والصلاة الى الله عز وجل فى ان يريهم آية تقوى بها قلوب الضعفاء ويزيد شكر أهل المعرفة والاولياء فبينما هم كذلك اذ أرسل الله تعالى عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم كل ممزق وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان (ومن) عجائب صنع الله تعالى فى هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل عليه السلام وأكل من ضيافته فطارت حبة عدسة من الطعام فى خيشومه ورام خروجها بكل حيلة فأعجزته حتى تركته ومضى ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فطارت العدسة فى الارض فاذا طائر قد التقطها والقمها وبرئ الرجل فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حرز القوت هذا الطائر على بعد الشقة وطول المدة وكان ذلك سببا لبرئه (وأما) أنا فلما هممت بالرحيل من بلدى الى المشرق فى طلب العلم وكنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة أرجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول انى ان ذهبت نفقتى ماذا أفعل وكان أقوى الآمال فى نفسى ان أحفظ البساتين بالاجرة وادرس العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معى نفقة وافرة فى هميانى على وسطى وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل فى الفيافى ومعه نفقة على وسطه فليحلها فان اللصوص اذا كانت الخلائق يتحدرون أوساطهم فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهى اذ ذاك حرم للروم فسرينا ليلتنا وأصبحنا على باب انطاكية فأخذتنى عينى فحللت الهميان وغمت ولم استيقظ الى ضحوة نهار فاستيقظت ومددت يدى الى الهميان ولم أجده فجعلت التفت الى القافلة وانظر الى وجوه الناس وقد أسقط فى يدى ولم تبق لى حيلة فاسترجعت ورفعت أمرى الى الله سبحانه وتعالى واذا رجل من أهل القافلة التفت الى فوقع وجهى فى وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بى

فقال لى مالك أيها الفقيه فقلت خيرا فراجعنى فقلت خيرا فقام الى وقال خذ هميانك عافاك الله تعالى فسألته كيف ظفرت به فقال رأيتك قد تدحرجت ذراعين أو ثلاثة فالتفت فرأيت سوادا فى الموضع الذى كنت فيه نائما فنظرت اليه وأخذته فاذا هو الهميان فرحمة الله عليه ورضوانه

(الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أساس الخصال وعماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس)

(قالت) الحكماء أصل الخيرات كلها فى ثبات القلب ومنها تستمد جميع الفضائل وهى الثبات والقوة على ما يوجبه العدل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة حالة متوسطة بين الجبن والتهور (وسئل) الاحنف بن قيس عن الشجاعة فقال صبر ساعة (وسئل) أبو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حد السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين (واعلم) ان الفار من القتل طريدة من طرائد الموت واستقبال الموت خير من استدباره (وقد) قال الاول رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة ومن حرص على الموت فى الجهاد وهبت له الحياة (وقالوا) الهزيمة شفرة من شفار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه (وقالوا) ثمرة الشجاعة الأمن من العدو (واعلم) ان من قتل فى الحرب مدبرا أكثر ممن قتل مقبلا (وقالوا) تأخير الاجل حصن المحارب (وقيل) لبعضهم فى أى جنة تحب ان تلقى عدوك قال فى أجل متأخر (وقيل) لآخر فى أى سلاح تشتهى ان تقاتل عدوك قال بادبار دولته وانقضاء صولته (واعلموا) ان الشجاعة لمن كانت له مدة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدة (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا انقضت المدة كانت الهلكة فى الحيلة وذلك ان كل كريهة تدفع أو مكرمة تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى انك اذا هممت بان تمنع شيئا من مالك خار طبعك وهو قلبك وعجزت

نفسك وشجعت به (واذا) حققت عزمك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه يكون طيب النفس باخراجه وكراهية النفس لاخراجه (وعلى) هذا النمط تكون جميع الفضائل فهما لم تقارنها قوة النفس لم تتحقق وكانت مخدوجة (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده فالجبان يفر من أبيه وأمه والشجاع يقاتل عمن لا يؤب به الى رحله فبقوة القلب يصابر امتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر وبقوة القلب يصابر اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ بالرذائل وقال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه * ما أحسن المحراب فى المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على أذى الجليس وجفاء الصاحب وبقوة القلب تتاقى الكلمة العوراء والفعلة الرديئة ممن جاءت وبقوة القلب تكتم الاسرار ويدفع العار وبقوة القلب تقتحم الامور الصعاب وبقوة القلب تحمل اثقال المكاره وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية أوجبها الحزم والعدل والعقل وبقوة القلب يضحك الرجال فى وجوه الرجال وقلوبها مشحونة بالضغائن والاحقاد كما قال أبوذر انا لنبش فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال على رضى الله عنه انا لنصافح اكفا نرى قطعها (وليس) الصبر والشجاعة وقوة النفس ان تكون مصرا على المحال لجوجا فى الباطل ولا ان تكون جلدا عند الضرب صبورا على التعب مصمما على التغرير والتهور فانما هذه من صفات الحمير والخنازير ولكن تكون صبورا على أداء الحقوق صبورا على سماعها والقائها اليك غالبا لهواك مالكا لشهواتك ملتزما للفضائل بجهدك عاملا فى ذلك على الحقيقة التى لا تحيدك عنها حياة ولا موت حتى تكون عند موتك على الخبر الذى أشار به العلم وأوجبه العدل خير من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال على للحسن رضى الله

مخدوجة أى ناقصة اه

عنهما يابنى وما يبالى أبوك لوان الخلق خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الا بعد الموت (وعن) هذا قالت حكماء الهند اذا لم يكن للملك من نفسه معين كان فى جميع أموره ضعيفا مخذولا (واعلم) ان الجبن مغلبة والحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يفر من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه والشجاع يحمى من لا يناسبه ويقى مال الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف من لا يحس به والجبان حتفه من فرقه (واعلم) ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه (رجل) اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز (والثانى) اذا تناشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش ولا خالطته الحيرة فيتقلب تقلب المالك لامره القائم على نفسه (والثالث) اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم فيقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كردس عن فرسه كشف عنه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة (وعن) هذا قالوا المقاتل من قاتل وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحريم (وقالوا) لكل احد يومان لابد منهما (أحدهما) لا يعجل عليه (والثانى) لا يغفل عنه فما للجبان والفرار (وكان) شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة من بيضة الحديد قد رئثت بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضربة أقوى منها (وكان) شيوخ الجند فى بلدنا طرطوشة يحكون لنا انهم خرجوا فى أيام سيف الملة فى سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسيرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون منا ما نريد منهم قالوا وعرف بعضنا بعضا وكان فى القوم صناديد الروم وكان فينا صناديد المسلمين فتوافينا ساعة ثم شددنا وشدوا

قوله فرقه بفتح الراء أى خوفه اه

فالتقينا

فالتقينا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله عز وجل اكتافهم فجعلناهم حصيدا كانهم جزر فى الاوضام وكان هناك بقربهم قرية فيها شئ من الخمر فشربناه وسكرنا ثم اشتهينا شرائح اللحم فقمنا نقطع لنا من لحومهم ونجعل على النار واكلنا منها ففزع من كان أسرناه منهم وبلغ الحديث الى الروم فانقلبت النصرانية تجبناها وقذف الرعب فى قلوبهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقى عمرو بن معدى كرب فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب فقال فعن أيها تسال قال ماتقول فى السهام قال منها مايخطئ ويصيب قال فماتقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فماتقول فى الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر قال فماتقول فى السيف قال ذاك لا عدائك (وكان) عمرو هذا من شجعان العرب وأبطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عقرنى القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم حمل على القوم فانغمس فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله مانظن ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضربه ومايقدر الفرس أن يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونى قالوا أين فرسك قال رمى بنشابة فغار وشب فصرعنى (ويروى) ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فجذب عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم (ويروى) ان قاتل رستم زنيم بن عمرو وأما الضربة التى حكيناها التى جاوزت ثلث البيضة بماحوته من الرأس فلم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم

الاوضام جمع وضم بفتحتين ما يوضع عليه اللحم من خشب وحصير اه

زنيم بضم الزاى اه

يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فترحل أبطال الروم اليها اليروها وانما كانت العرب تفتخر في هذا الباب بقول النمر بن تولب يصف ضربة بسيف

أبقى الحوادث والايام من نمر * اسناد سيف قديم اثره بادى
يظل يحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادى

الهادى العنق اه

(وينشد قول النابغة في السيف أيضا)

بعد السلوقى المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

(وأين) هذا ممن قد بيض الحديد بما حواه من الرأس وأين الثريا من الثرى وأين الحسام من المنجل ولولا كراهية التطويل لذكرنا من أمثال هذا الباب ما فيه العجب (وقد) قالوا السيف ظل الموت والسيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تستأمر من أرسلها والرمح أخوك وربما خانك والدرع مشغلة للرجل متعبة للفارس وانها الحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

(الباب الحادى والستون في ذكر الحروب وحيلها وتدبيرها واحكامها)

(ومن) حزم الملك أن لا يحتقر عدوه وان كان صغيرا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

ولا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

(وفي الامثال) لا تحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان تداركت أولها سهل اطفاؤها وان تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها (ومثاله) أيضا مثال الجرح الردىء ان تداركته سهل برؤه وان أغفلته حتى نغل عظمت بليته وأعجز الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولا يسع ما أثره الى الاقاليم ان لكل أمة نوعا من التدبير وصنفا من الحيلة وضربا من المكيدة وجنسا من اللقاء

والكر

والكر والفر وتعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف منها أشياء تجري مجرى المعاقد ولا يكاد يختلف في انها أزمة الحروب (ونبدأ) أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمي (وكان) بعض الصحابة اذا أراد الغزو لا يقص أظفاره ويتركها عدة ويراها قوة (فأول) ذلك ان يتقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك (فقد) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بذلك ويقول انما تقاتلون بأعمالكم (ويروى) ان بريدا ورد عليه بفتح المسلمين فقال عمر أي وقت لقيتم العدو قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر رضي الله عنه انا لله وانا اليه راجعون قام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد أحدثتم بعدي حدثا أو أحدثت بعدكم حدثا (والشان) كل الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الألوية (فقد) قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثبت الجنان صارم القلب جريئه رابط الجاش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب سده بالحماة والابطال من ذلك بصيرا بصفوف العدو ومواقع الغرة منه ومواضع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنهم مثله فان رأى لقراع الكتائب وجهه الارادة الغنم الى الزبية (واعلم) ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآخر ما يجب ان يكون به قرع الكتائب

وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبدأ بصرف الحيلة فى نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية قال كان عظماء الترك يقولون ينبغى للقائد العظيم القياد أن تكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن نغير وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء (وكان) يقال أشدّ خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشدّ خلق ربك الهمّ (فأول) ذلك ان يبث جواسيسه فى عسكر عدوّه ليستعلم أخباره مع الساعات ويستميل قلوب رؤسائهم وقوادهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويوجه اليهم بضروب الخدعة ويقوى أطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا والتحف وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء وينشئ على ألسنتهم كتبا مدلسة اليهم ويبثها فى عسكره ويكتب على السهام أخبارا مزوّرة ويرمى بها فى جيوشهم ويضرب بينهم بما فى المقدور من ذلك (فان) جميع ما ذكرناه تنفق فيه الاموال والخيل واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع فيه لا تحصى والحاضر فيه أبصر من الغائب (ولله) در المهلب لما كتب اليه الحجاج يستعجله فى حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاء أن يكون الرأى عند من يملكه لا عند من يبصره (وقال) المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وأمره بقتال عبيد الله بن زياد امض الى عدوك برأى غير مستبد وحزم غير متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت وانتشر من لا يطمع فى عملك ولا يسر بقتلك واستخر الله تعالى قبل اقدامك توفق

(وأوصت) أم الديال العبسية ابنها القتال وهو من أشد العرب يا بنى لا تنشب فى حرب اذا وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس أقوى شئ اذا وجدت سبيل الحيلة وأضعف شئ اذا يئست منها وأحمد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى قائدا لها واخلس من تجارب خلسة الذئب وطر منها طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة (وقال) أبو السرايا وكان أحد الفتاك لابنه يا بنى كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المتهور وغنيمة الحذر (واعلم) ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة (وقالت) الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة الغفلة من سنة الحذر ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بقاعدته (وقالوا) سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه (وقالوا) بناء كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته (وقال) بعض الحكماء اذا ولت دولة ولت أمة واذا أتت دولة نجت أمة (وقالوا) رب حيلة أهلكت المحتال (ومن) الحزم المألوف عند سواس الحروب ان تكون حماة الرجال وكماة الابطال فى القلب فانه مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان (مثال) ذلك ان الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا تحصى كثرة انكسار جناح العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون الى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا وتعمدا ولا يغادر به كبير أمر حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان (ومن) أعظم المكائد فى الحروب الكمين ولا يحصى

حرب المتهور بفتحتين أى الذى يسلبه اهـ

كثرة كم من عسكر استبيحت بيضته وقتل عربه بالكمناء وذلك ان الفارس لا يزال على حمية فى الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه ولتكن همتك وراء ذلك وعليه مدار الحروب وعليك بانتخاب الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوى البسالة والاقدام والجراءة ولا عليك أن لا يكثروا وبعيد عليك أن يكثروا فهم فى الجيش وان قلوا كالانفحة فى اللبن ولا تنس بيت الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنا

(بل) قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف (وسأحكى) لك من ذلك ما ترى فيه العجب (فمن) ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بين خيل ورجل (فحدثنى) رجل ممن حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال فقال له انظر الآن من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم نشبت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر أحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان ان ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة (فليعتبر) ذو الحزم

والبصيرة

الذمار كحكتاب
ما يلزمك حفظه
وحمايته اه

والبصرة من جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا وليعتبر بضمان العلج الظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد (وسمعت) أستاذنا القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى يحكى قال بينما المنصور بن ابى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير فقال ابن المصحفى أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يجوزنا ان يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصحفى فقال المنصور وما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم خمسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا فسبه المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على أقبح وجه فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى فى سلاحه يكر ويفر وهو ينادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنان لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور اما ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بلغنى جميع ما جرى قال فما الحيلة فيه قال وما الذى تريد قال ان تكفى المسلمين شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد نشرت أورا كها هزالا وهو

يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المضحى ألا ترى مايصنع هذا العلج منذ اليوم فقال قد رأيته فماذا ترى فيه قال له أريد رأسه الآن قال نعم فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا والمسلم خارج اليهم يركض ولا يدرون ما هناك فاذا الرجل يحمل رأس العلج فألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المضحى عن هؤلاء أخبرتك انه ليس فى عسكرك ألف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المضحى الى منزلته وأكرمه (واعلم) ان أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب تعثاء عابسة شوهاء كالحة حزوز فى حياض الموت شموس فى الوطيس تتغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحمام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر (وقال) الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وقالوا) الحرب غشوم سميت بذلك لانها تتخطى الى غير الجانى كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله * وانى لحربها اليوم صالى

(وقال آخر)

رأيت الحرب يجنيها أناس * ويصلى حرها قوم براء

(وقال آخر)

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء تنكر لونها وتغيرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقال) بعض الحكماء قد جمع الله أداب الحرب فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا

الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين (واستوصى) قوم أكثم بن صيفى فى حرب أرادوها فقال أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا ان كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين (وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترون أصحاب محمد جثيا على الركب خرسا يتلمظون تلمظ الحباب (ورأيت) غير واحد ممن ألف فى الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقول يذكر الله تعالى فى نفسه (واعلم) أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد وضع لنا فى كتابه العزيز علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يعنى ان تنصروا رسوله ودينه وأما الفرار فعلته المعاصى قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أى بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذى رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذلك) انه صلى الله عليه وسلم رتب الرماة يوم أحد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا ان يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون بالكفار فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين من هناك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحد (وليخف) قائد الجيش العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد استعلم حليته وألوان خيله ورايته فلا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه حتى لا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمش فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد أدليت عليه (ومن) هذا الوجه كسر المسلمون جرجير ملك افريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت فى وسط النهار فخرج [illegible] خارج العسكر ويتنزه فبصر به عسكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وانهزم جميع أصحابه وكان الفتح (ولما) عبر طارق مولى موسى بن نصير الى

الركين كأمير الفهم والحباب كغراب هو الحية اه

الثلمة بالضم كغرفة [illegible]

بلاد الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا فى الجزيرة الخضراء
وتحصنوا فى الجبل الذى يسمى اليوم جبل طارق وهم فى ألف وتسعمائة رجل
فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم أميرا استخلفه لدريق
ملك الروم وكان قد كتب الى لدريق يعلمه ان قوما لا ندرى أمن الارض
هم أم من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الى بنفسك فأتاه
لدريق فى تسعين ألف عنان فلقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومى
مولى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال فرأى طارق
ما الناس فيه من الشدة فقام فحثهم على الصبر ورغبهم فى الشهادة وبسط
فى آمالهم ثم قال أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر
منكم والنصر من ربكم تعالى وأنا فاعل شيئا فافعلوا كفعلى فوالله
لأقصدن طاغيتهم فاما ان أقتله واما ان أقتل دونه فاستوثق طارق من
خيله وعرف حلية لدريق وعلامته وخيمته ثم حمل مع أصحابه عليه حملة
رجل واحد فقتل الله تعالى لدريق بعد قتل ذريع وحمى الله المسلمين فلم
يقتل منهم كبير شئ وانهزم الروم فأقام المسلمون ثلاثة أيام يقتلون فيهم
واحتز طارق رأس لدريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد
ابن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم تكن لهم
همة غير المائدة التى يذكر أهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود
عليهما الصلاة والسلام فدفع اليه ابن أخت لدريق المائدة والتاج
فقومت المائدة بمائتى ألف دينار لما فيها من الجواهر التى لم ير مثلها
(وبهذه) الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقبضه وقتل رجاله
وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا قل ان يجتمع لمن بعدهم مثلها
وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل من كتائب متواصلة وعساكر مترادفة
وكراديس يتلو بعضها بعضا كالجبال الشامخة يدرك بعضهم بعضا
لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح
والمجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون فى الحرب وكانوا قد اقتسموا بلاد

الذريع هو الفاشى بوزن أمير اه

المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دانت لهم وان نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها الممالك من الاسلام فاحتشد للقائهم البارسلان التركى وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والقوم فى عدد لا يحصيهم الا الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون واجمين لما دهاهم فلما أصبحوا وصباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدد وقوتهم وآلاتهم فأمر البارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألف تركى فاذا هم كالرقعة فى ذراع الحمار فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب فاستشارهم فى استخلاص صواب الرأى فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالوا وناصحوا الاسلام وأهله ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمى الله تعالى ونحمل على القوم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر و يدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا وصلينا نحن عملنا أمرنا فصبروا الى ان زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينهم ويربط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وان يلقى فى قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم حتى يفعل كفعلى و يضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها وخلصوا اليه وقتلوا من حوله وأسروا ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق

واجمين أى مطرقين اه

وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدى الب ارسلان بحبل فى عنقه فقال له الب ارسلان ما كنت تصنع بى لو أخذتنى قال فهل تشك انى كنت أقتلك فقال له الب ارسلان أنت أقل فى عينى ان أقتلك اذهبوا به وبيعوه لمن يريده فكان يقاد بالحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادى عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع أحد فيه شيئا حتى باعوه من انسان بكلب فأخذ الذى كان يتولى ذلك من أمره الكلب والملك فحملهما الى الب ارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيئا الا رجل واحد دفع لى فيه كلبا قال قد أنصف لان الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه أمر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار (فانظر) ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحرب من الحيلة والقصد والمكيدة (واعلم) ان القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر (وقد قال) الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (فالكثرة) أبدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثنى عشر ألفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم (واما) صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه فى بلادنا وهو أرجى تدبير نفعله فى لقاء عدونا ان تقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم فى الارض وصدورها شارعة الى عدوهم جثيا فى الارض وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التى تمرق سهامهم الدروع والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم تتزحزح الرجالة عن هيئاتها ولا يقوم رجل منهم عن قدميه فاذا قرب العدو رشقتهم الرماة

بالنشاب

بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تتلقاهم فاخذوا يمنة ويسرة
فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ماشاء الله تعالى (ولقد)
حدثنى من حضر مثل هذه الوقعة ببلادى طرطوشه قال صافنا الروم على
هذا الترتيب فحملوا علينا فبينا رجل منا كان فى آخر الصف فقام على
قدميه فحمل عليه علج من العدو فأصاب غرته فقتله (ولما) برز المقتدر
بالله ابن هود ملك الاندلس من سرقسطة فى ثغور بلاد الاندلس للقاء
الطاغية رودميل عظيم الروم وكان كل واحد منهما قد احتشد بما فى مسوره
فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال وتصافوا ودام القتال بينهم
صدرا كثيرا من النهار وكان المسلمون فى خسران فأفزع المقتدر ذلك
وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن
فى الثغور أعرف منه فى الحرب يسمى سعدادة فقال له المقتدر كيف ترى
هذا اليوم فقال سعدادة هذا يوم أسود ولكن بقيت لى حيلة فذهب
سعدادة وكان زيه زى الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم
فانغمس فى عسكر الكفار ثم قصد الى الطاغية رودميل فألفاه شاكا فى السلاح
مكفتا فى الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتحيله ويترصد غرته الى ان
أمكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه فى عينه فخر صريعا لليدين والفم ثم جعل
ينادى بلسان الروم قتل السلطان يامعشر الروم فشاع قتله فى العسكر فتخاذلوا
وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله تعالى (ولما) استضعف الروم صقلية
ووضعوا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال
الى العرب بافريقية ويستنجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما
مثلى ومثلكم يا أهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز وصبية فكان
اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته لتصبيه فيزهد فى العجوز واذا بات
عند العجوز تلقط الشعر الاسود من لحيته لتشيبه فتزهد الصبية فيه فيوشك
ان دام هذا به ان يصبح أطلس كذلك حالكم معى ومع العرب اذا أديتم
المال لى ولهم يوشك ان تفقد أموالكم فتبقوا فقراء ضعفاء أسلمكم وأسلم

البلاد (ويروى) انه لما هم بحصار صقلية أمر أن يبسطوا بساطا فى الارض ثم جعل فى وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمنا انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل أحد اليه فلما أعياهم ذلك طوى ناحية من البساط من عنده وأمر أن يطوى كل واحد مما يليه حتى طوى البساط فمدوا أيديهم فلحقوا الدينار فحينئذ قال لهم ان أردتم مدينة صقلية فخذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى حتى اذا ضعفت أخذتموها (وكان) بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان يناسب بنى من جهة أمى فيقع ابن خال والدتى وكان أشجع العرب والعجم وكان المستعين أبو المقتدر يرى له ذلك ويعظمه وكان يجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه (فيحكى) ان الرومى اذا سقى فرسه فلم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان وأغروا به صدر المستعين فمنعه اياه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ينادى هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين ثم جعل الرومى يكر على فرسه ويقول اثنان لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومى يكر ويفر بين الصفين وينادى ثلاثة لواحد فلم يستجرأ أحد من المسلمين ان يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ما لها الا الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له اما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعينى قال فما الحيلة فيه وقال أبو الوليد فماذا تريد فقال ان تكف المسلمين شره قال الساعة يكون ذلك ان شاء الله تعالى فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويل الطرف وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز الى النصرانى فعجب منه ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة

النصرانى

النصراني سرج ابن فتحون فاذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشئ منه فى السرج ثم ظهر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط فى عنقه فالتوى على عنقه فأخذه بيده من السرج واقتلعه وجاء به بجره فألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين انه قد أخطأ فى صنعه معه فأكرمه ورده الى أحسن أحواله (أيها) الاجناد أقلوا الخلاف على الامراء فلا ظفر مع الخلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه (قال) الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (فأول) الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة وانما أتى على رضى الله عنه يوم صفين وكان قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعضعت صفوف معاوية فأحس بالشر وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص انشب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعنى عليا رضى الله عنه فأدار عمرو الحيلة وأمرهم ان يرفعوا المصاحف فى أطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك أصحاب على رضى الله عنه كفوا عن الحرب فقال لهم على رضى الله عنه يا قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق فى القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب التحكيم (واعلموا) أن من أحزم مكائد الحرب إذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور وابانة الحذر والاحتراس من العدو وان لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستأمن (وقال) بعض المتقفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غضوا الاصوات وتحابسوا السكينة وأقلوا النوم واحتملوا الجبين وادرعوا الليل فانه أخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد اذا ولى الجهل قوة الجراءة من اغتر بقوته فقد وهن ليس من القوة التورط فى القوة لكن أشد ما كنت أحذر ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا من استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به عدوه أشعر واقلوبكم

إذكاء العيون دعهم اه

الجبين كذا فى نسخة فى الجبان اه

فى الحرب الجراءة فانها سبب الظفر واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها حصن المحارب اذا وقع اللقاء برز القضاء اذا التقى السيف السيف ذهب الخيار رب مكيدة أبلغ من نجدة رب كلمة هزمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغى لا تغتر بالاقوياء افضل قدرتك على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء ولا تقتلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا

(الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب)

(اعلم) وفقك الله تعالى ان مذاهب أهل الحق فى القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات متيسرة لله لا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا فى القضاء والقدر وافقنا فى العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون (ولم) نضع هذه الترجمة لاستيفاء ماقالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعى مجلدات وأسفارا وانما نذكر فى هذا الكتاب أحكاما ظاهرة قريبة من العقول لتقريب الفائدة على الناظر فيه (فاعلم) أولا ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء الله وقدره كذلك لا يطير طائر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به (ثم) اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علمه الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا فى القضاء والقدر وافقنا فى العلم فرب أمر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب امر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب أيضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين القدر فى انهما مقدوران (فمن ههنا) قلنا

انهما

انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان فى محلين بعد ما يتحقق العبد ان المقدور من الله تعالى فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق فبتيسيره (قال) أنس رضى الله عنه جاء رجل على ناقة له فقال يارسول الله أدعها وأتوكل قال اعقلها وتوكل (والتوكل) والاعتصام بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب يستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما حكم به فمن رام أمرا من الامور ليس من الطريق فى تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض أمره الى ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه الله تعالى فيه (وقد) ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة ليستظهر به ويحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويعبى الجيوش ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال أنزل الداء الذى أنزل الدواء (فان قيل) قد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل (قلنا) أليس انه قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وسائر ما ذكرناه آنفا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من اكتوى أو استرقى متكلا على الرقية والكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما فعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فأما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله فى أرضه وعادته فى خلقه غير معتمد على شئ من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمدا فى ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يمشى فى ذلك كله مع الامر ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستدرك ما عند الله بمعاصيه (قال) على رضى الله عنه من ابتغى أمرا بمعصية الله تعالى كان أبعد لما رجى وأقرب لمجئ ما اتقى (ومن)

ظن ان الطلب والاكتساب يناقض التوكل فقعد في بيته وأغلق بابه متوكلا على الله عز وجل في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهل والجا ويقال له فيجب من هذا اذا جعت وحضر الطعام لا تمد يدك اليه ولا تفتح فاك له فان تمادى على ذلك كان الى العقل أحوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله أن يداووه (الاترى) ان الله تعالى قال لمريم عليها الصلاة والسلام وهزي اليك بجذع النخلة تساقط فهلا أمرها بالسكوت ثم حمل الرطب اليها (وهكذا) القول فيمن له دابة أو بستان يؤمر بسقي البستان وحفره واصلاح شأنه ويؤمر بأن يعلف الدابة ويسقيها وأنشدوا

ألم تر ان الله قال لمــــــريم * اليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولوشاء أحنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

(وهكذا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه في الغدو والرواح (وقد) كان جهبل بن رئيس القندهارس برئ من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون أهل زمانه من الملوك ماعجزه عن الطلب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقهروه على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى اخلاق دواب الجحرة من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تنشأ في جحرتها وفيه يكون موتها (ثم) جمعوا بين الطلب والقدر وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما رجح على الآخر وسقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته (وضربوا) له مثالا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما في كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان هلك المحتسب فاقاما بعده أياما فاشتد جوعهما وبلغ الضرر منهما جهده فأجمع رأيهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله

جهبل كجعفر اه

جحرة كعنبة اه

المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل المقعد ويدوران فى القرية يستطعمان أهلها فيعلم لا فلحج أمرهما ولولم يفعلا هلكا (وكذلك) القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه (فأخذ) جهبل فى الطلب فظفر باعدائه ورجع الى ملكه (فكان) جهبل يقول لاتدع الطلب اتكالا على القدر ولاتجهدن نفسك فى الطلب متكلا عليه مستهينا بالقدر فانك اذا جهدت نفسك فى الطلب بوجوه التدبير المحمودة مصدقا بالقدر نلت ماتحاول ولم تلتو عليك الامور فان عملت بذلك والتوى عليك أمر من مطلوبك فذلك من اعاقة القدر وانك قد أتيت ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب أتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى (واعلم) ان على هذا الاصل الذى قررناه يخرج كل ماورد فى القرآن العزيز وفى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالتوكل على الله عز وجل والتسليم اليه والتفويض له (ومن) ذلك ان سليمان الخواص رحمة الله عليه تلى يوما قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لايموت فقال ماينبغى لعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى أحد غير الله تعالى (قلنا) معناه لايلجأ الى الاسباب اعتمادا عليها ولكن يلجأ اليها واثقا بأن الله تعالى يفعل مايشاء كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس درعين (ألاترى) ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولا بذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله تعالى واثقا به ان تلد امرأته من غير وقاع وتنبت أرضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا (وللائمة) والحكماء فى القدر ألفاظ بارعة سالمة على السبر والامتحان (منها) ماروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل عن القدر فأعرض عن السائل فأبى الا الجواب فقال على رضى الله عنه اخبرنى أخلقك الله تعالى كما يشاء أو كما تشاء فامسك الرجل فقال على رضى الله عنه للحاضرين

أتروونه يقول كما أشاء اذا والله أضرب عنقه فقال الرجل كما يشاء فقال
على يحييك على ما يشاء أو كما تشاء قال كما يشاء قال أيميتك كما يشاء أو كما تشاء
قال كما يشاء قال أفيحشرك كما يشاء أو كما تشاء قال كما يشاء قال أفيدخلك
حيث يشاء أو حيث تشاء قال حيث يشاء فقال قم فليس لك من الامر شئ
(وروى) ان رجلين قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدرى للمجوسى مالك
لا تسلم فقال المجوسى لو أراد الله تعالى لاسلمت فقال القدرى قد أراد الله
تعالى ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك فقال المجوسى فأنا مع أقواهما
(وروى) فى الاسرائيليات ان نبيا من أنبياء الله تعالى مر بفخ منصوب
واذا بطائر قريب منه فقال الطائر يا نبى الله تعالى هل رأيت أقل عقلا من
هذا نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ثم رجع
فاذا الطائر فى الفخ فقال له عجبا لك أولست القائل آنفا كذا وكذا
فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم تنفع أذن ولا عين (وقال) رجل من الخوارج
لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أرأيت من جنبنى سبيل الهدى وسلك بى
سبيل الردى أحسن الى أم أساء فقال له على رضى الله عنه ان كنت
استوجبت عليه حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه حقا فهو يفعل
ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سل فأقوى ما تكونون اذا
سألتم فقال غيلان أشاء الله ان يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فانقطع
غيلان (وروى) ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر فقال
وما أصنع بالمناظرة فى القدر رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن ورأيت
أحمق مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس للعباد (وقال)
بعضهم

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه * ويعطى المنى من حيث يحرم طالبه

(ولما) قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك
فقال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك
فى يد سليمان فقال موسى ان الهدهد ينظر الماء فى الارض الفيفاء

ويبصر القريب منه من البعيد على بعده فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة والحبة فلا يبصره حتى يقع فيه (وفى الاسرائيليات) ان الهدهد كان رائد سليمان بن داود عليهما السلام الى الماء فيتقدم عسكره ثم ينظر الى الارض فيقول الماء ههنا على ألف قامة أو أقل أو أكثر فتبادره الجن تحفره فلا يلحق سليمان عليه السلام الا وقد استعد الماء (واعلموا) ان الهارب مما هو مقضى مقدر كالمتقلب فى كف الطالب وأنشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال بشار)

طبعت على ما فىّ غير مخير * هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى فلم أرد * وقصار على أن ينال المغيبا
واصرف عن قصدى وعلمى مقصرا * وأمسى وما أعقبت الا التعجبا

(ولما) وقع الطاعون فى الكوفة فرّ ابن أبى ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
ويأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام السارى

فكرّ راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله أمام السارى فلات حين مهرب وأنشد بعضهم

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرّد حاد ياها
وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وأن ألقى رداها
ومن كتبت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

(ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق (وقال) ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى رحمهم الله تعالى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله

الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بيوم الحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وقال) يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد ان يتناول رزقه بتدبيره وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغله هم غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط (ومن أعجب) ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما وقبضه الشرط وحملوه الى دار السلطان فانساب منهم فى بعض الطريق وترامى فى بئر والمدينة مسرّبة تحت الارض بأسراب يمشى الماشى فيها قائما يخترقها ويدورها الآن فى دورها آبارا على تلك السروب فما زال الرجل يمشى الى أن لاح له بئر مضيئة فطلع منها واذا البئر فى دار السلطان فطلع الرجل فى دار السلطان فأدبه السلطان فكان فيه المثل السائر الفارّ من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب (وقال) ابن مسعود رضى الله عنه ان الرجل ليشرف على الامر من الامارة والتجارة أوغيرهما ذكره الله فوق سمواته فيقول للملك اصرف عن عبدى هذا الامر فانى ان أيسره له أدخله به جهنم فيظل متغيظا على جيرانه فيقول سبقنى فلان وحسدنى فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى وأنشد بعضهم

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
فأجبتهم والشيخ ما * لم ينتفع بالعلم غمر
لا نلت خيرا ما بقيت ولا عدانى الدهر شر
ان كنت اعلم ان غـ * ـير الله ينفع أو يضر

(استأذن) العقل على الجد فقال اذهب فلا حاجة لى بك فقال العقل ولم فقال لانك تحتاج الىّ وأنا لا أحتاج اليك (وأوصى) حكيم ابنه فقال يا بنى رزقك الله جدّا يخدمك به ذووا العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود (وكان) يقال افراط العقل مضر بالجد (وروى) ان رجلا

خير فى أمر فأبى ان يختار وقال أنا بجدى أوثق منى لعقلى فافرغوا (وفى) الامثال اسع بجد لا بكد واسع بجد ودع جدك لان ذلك الجد لا الجد الجد أغنى من الكد (واعلم) ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض أجل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (وقد) كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتابى فى الاسرار هل التوفيق مكتسب أو موهوب بلا مزيد عليه (ومن) لطيف ما وقفت عليه فى مجارى القضاء والقدر وان الهارب من القدر كالمتقلب فى يد الطالب مانزل بنا فى الاسكندرية فى قضية الرجل الذى تقدم ذكره

(الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وغيرهم وحكاياتهم)

(وهو) مشتمل على خمس فصول (الاول) يشتمل على اخبار وقعت لنا بعد فراغنا من الكتاب فألحقناها (والثانى) يشتمل على حكم لحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم لحكيم الهند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم لحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم محمودة مجموعة منتخبة رسمناذلك لننظر فى عقول القوم وأغراضهم ومنتهى مرامهم (من كتاب) جاويدان خرد الفارسى ثلاث لا يصلح فسادهن بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة فى العقول (وثلاث) لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر والحيل العبادة فى العلماء والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوى الاخطار (وثلاث) لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال (وقال) ابن لقمان لابيه يا أبت ما الداء العياء قال رعونة مولودة قال فما الجرح الدوى قال المرأة السوء قال فما الحمل الثقيل قال الغضب (ولما) قرأ هذه الحكاية أبو عباد الكاتب وكان ظريفا فى اخباره قال لكن والله الغضب أخف على من ريشة وكان أسرع الناس غضبا فقيل له انما عنى لقمان ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا يقوى أحد على احتمال الغضب الا الجمل (وغضب) يوما على بعض أصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله

عزوجل حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فبلغ ذلك المأمون فاستدعاه وقال له ويلك الا تحسن أن تقرأ آية من كتاب الله عزوجل فقال بلى يا أمير المؤمنين انى لأقرأ من كل سورة ألف آية فضحك المأمون وأمر باخراجه (وقيل) لأنوشروان ما العقل قال القصد فى كل الامور قيل فما المروءة قال ترك الريبة قيل فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحمق قال الاغراق فى الذم والحمد (وقيل) لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن فقال بعضهم فى قوله الحزم سوء الظن قال انما أراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذى يجمع القلوب على المودّة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد فى الحب والبغض (وقال) معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك فانها تؤدّى الى المهالك (وهو) مثل قول على بن أبى طالب رضى الله عنه أحبب حبيبك هونا مّا عسى أن يكون بغيضك يوما مّا وابغض بغيضك هونا مّا عسى أن يكون حبيبك يوما مّا ومن ذلك قول الاوّل

وأحبب حبيبك حبا رويدا * فليس يفوتك أن يصرما

(وقال آخر)

ولا تيأسنّ الدهر من حب كاشح * ولا تأمننّ الدهر صرم حبيب

(وسئل) بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى فسئل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدّة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرق وبغض مفرط (وقيل) لبعض الملوك وقد بلغ فى المنزلة والقدرة ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذى بلغ بك هذه المنزلة قال عفوى عند قدرتى ولينى عند شدّتى وبذلى الانصاف ولومى نفسى وابقائى فى الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال (وقال) الاسكندر لبعض الحكماء وقد أراد سفرا ارشدنى

لأحزم أمرى قال لا تملكن قلبك محبة الشئ ولا يستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية تنزع وترجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك ملك استعباد قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

(وقيل) لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال حسن المنطق قيل فما العياء المعى قال تطبيعك من لا طبع له (وقال) الفضل بن مروان سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا يهضم جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان فى يده (قلت) فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط (قلت) فكيف هيبتهم له قال يتصور فى القلوب فتغضى له العيون (قال) فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائى اليه واقبالى عليه وكانت الرسل تنزل عندى فقال لترجمانه ما الذى يقول الرومى قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشئ فقال لى الترجمان انه يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته وقصرهم بعنيف عقوبته فهم يتراءونه ترائى الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعتهم سطوته وبأسه فلا تمتهنه مرحه ولا تؤنقه عقله اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل (قلت) فكيف رهبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كأن رعيته قطا فرقت عليها صقور صوائد (فحدثت) المأمون

بهذين الحديثين فقال لى كم قيمتهما عندك قلت الف الف درهم قال يا فضل ان قيمتهما أكثر من الخلافة أما علمت حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال قيمة كل امرئ ما يحسن أفتعرف أحدا من الخطباء البلغاء أن يصف أحدا من الخلفاء الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار معجلة واجعل العدة مادة بينى وبينهما على العود فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما ما فى بيوت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه (وقال) الفضل بن سهل كان عندى رسول ملك الروم وكان يحدثنى عن أخت للملك يقال لها خاتون قال أصابتنا سنة احتدم شواظها علينا بحرارة المصائب وصنوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون يا أيها الملك ان الحزم علاق لا يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجر له عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما أحد أولى بحفظ الوصية من الموصى ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعى ولم تزل فى نعمة لم تغيرها نقمة وفى رضى لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما عمى عنه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذبه من فظيع النقم حتى تنسه بنسك ولا تجعلن الحياء من التذلل للمعز المذل شركا بينك وبين رعيتك فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار بالله بكنه القدرة وبتذلل الألسن فى الدعاء بمحض الشكر له تعالى فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيئ فعل الى صالح عمل ويبعثه على دؤوب شكر يحوز به فضل أجر (فأمرها) الملك أن تقوم فيهم وتنذرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم قبول الوعظ فى الامر والنهى فحال الحول عليهم وما بينهم مفتقد نعمة كان قد سلبها وتواترت عليهم

احتدم كالتهب وزنا ومعنى اه العلاق بوزن هندى النفيس من كل شئ اه

الزيادات بجميل الصنيع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة لها فى المحبوب والمكروه (فهذا) فعل الله تعالى بأعدائه وضرائر نعمه لما شكروه واعادلهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدوه ويؤمنوا به لوصدقت نياتنا وضمائرنا (وقال) الواقدى توفى رسول بعض الملوك بدمشق فى خلافة هشام بن عبد الملك فوجد فى جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امحقت البركات (وقال) الوضاحى وجه أنوشروان رسولا الى ملك قد أجمع على محاربته وأمره ان يتعرف سيرته فى نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل أقوى من الجد والكذب أكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال أنوشروان رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته (وقال) بزرجمهر المزح آفة الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه (وكان) نقش خاتم دبسم وهو أحد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة (وقيل) لبعض أصحاب اسفنديار رجل من الترك فأصيب فى عنقه لوح من ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهيب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شئ الكذب (وقيل) لبعض الحكماء ما قيمة الصدق قال الخلد فى الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال ذل الحياة (قال) وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال له الجد فى كل الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضاء بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك لا تناله (وقال)

بزرجمهر ثلاث من سرور الدنيا وثلاث من غمها فاما السرور فالرضاء بالقسم والعمل بالطاعة فى النعم ونفى الاهتمام بالرزق لغد واما الغم فحرص مسرف وسؤال مجحف وتمنى ما يلهف (ومر) بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف به احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله ويطول أكله قال فأعجب الملك بكلامه وقال له قد أمرت لك بألف درهم فقال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك فى جيشى فقال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا رأى صائب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق (قال) وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذت يده فى المشرق والمغرب وبلغ منهما مالم يبلغه أحد قبله اكتب الى ألفاظا موجزة تنفع وتردع فكتب اليه اذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمأن بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذكر الموت واذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الاساءة اليها نصيبا (قال) ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال له أيها الملك ان الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فأذق نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن فى حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام المهلكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد وان فكرت فى نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية أجل قريب فى يد غيرك

وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدّة حيل بينك وبين العدّة فاحتل قبل المنع واكرم أجلك بحسن صحبة السابقين واذا آنستك السلامة فاستوحش العطب فانه الغاية واذا فرحت بالعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابى حدّثنى من راى بين أصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف (ولما) ضرب أنوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين المجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد فى منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان المقدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق (ولما) تاب الله تعالى على سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وردّ عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الأمن عاق الخوف (وحفر) حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أوّلها أيها المعافى ابشر بالبلاء والثانى أيها السالم توقع العطب والثالث أيها الآمن خذ أهبة الخوف والرابع أيها الموسر ان يعدمنك العسر (ولما) نزل أبومسلم مدينة سمرقند أتاه اسبهندها فقال أيها الملك ان بالقندهارس حجرا مدفونا فيه ثلاثة أسطر وجدت فى الكتب وان سليمان بن داود عليه السلام بعث به ودفن فى هذا الموضع ووجدانك أنت الذى تستخرجه وتعمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا أوّل سطر فيه الحزم انتهازا لفرصة وترك الونى فيما يخاف عليه الفوت والسطر الثانى الرياسة لاتتم الابحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الآباء من ترك الابناء ولم يصب من لم يحب (فكان) أبومسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فأعماه القدر

نجم كظهر وزنا ومعنى اه

عن الاستعانة بالحذر فقتله أبو جعفر المنصور (ولما) حج أبو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت له مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فأتى به فلما نظر الشيخ الى أبى مسلم قال قدمت بالكفاية ولم تأل فى العناية وقد بلغت النهاية أسلمت نفسك لمن سيسكت حسك وكأن قد عاينت رمسك فبكى أبو مسلم فقال لا تبك لانك لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأى دقيق ولا من تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما استجمع لاحد فى أمله الا أسرع فى تقريب أجله قال فتى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفتان على أمر كان والتقدير فى يد من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيهات فأراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجه اليه من بحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ بالحذر والاحتيال فى الهرب على ان لكل نفس غاية ولكل أمر نهاية (وقيل) لجالينوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة ألا تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبئس الداء الامل (وقال) بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة أسد من حجر مكتوب عليه الحيلة خير من الشدة والتأنى أفضل من العجلة والجهل فى الحرب أحزم من العقل والتفكر فى العاقبة مادة الجزع (وقال) أحمد بن سهل وجه ملك الروم الى هارون الرشيد ثلاثة أسياف مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر فى العاقبة فتهزم وعلى الثانى مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالقاء خوفك وعلى الثالث مكتوب التأنى فيما لا تخاف عليه الفوت أفضل من العجلة الى ادراك الامل (وقال) الحسن ابن سهل قرأت فى كتاب جاويدان خرد ثلاثة تبطل مع ثلاثة الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأنى والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن على رأيت بعدن حجرا مكتوبا عليه بالحميرية أيها الشديد احذر الحيلة أيها العجول

احذر التأني أيها المحارب لا تأنس بالتفكر في العاقبة أيها الطالب موجودا لا تقطع املك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى اخبرني بأربعة أشياء لم أجد من يعرفها وأخالها عندك اخبرني ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر (فكتب) اليه كسرى الحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفرا أوقفني على أشياء من حكمتك اعمل بها في سفري فقال له اجعل تأنيك زمام عجلتك وحلمك رسول شدتك وعفوك ملاك قدرتك وأنا ضامن لك قلوب رعيتك ان لم تحرجهم بالشدة عليهم أو تبطرهم بالاحسان اليهم (وقال) الخضر بن على قرأت في كتاب جاويدان جردوهو أجل كتاب الفرس الحيلة أنفع من أقوى الشدة وأقل التأني أحد من أكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه عميت عليه المراشد وكان الجنكان أبو بزرجمهر خامل القدر وضيع الحال مفهه المنطق فلما أتت على بزرجمهر خمس عشرة سنة حضر مجلس الملك وقد جلست الوزراء على كراسيها والمرازبة في مجالسها وقف لحي الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرهوب نقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعود الفلك حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وأنار به البلاد فعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته بفضل نعمته وحماها الموبلات وأوردها المعشبات وزادها عن الاكلين وألفها بالرفق واللين انعاما من الله تعالى عليه وتثبيتا لما في يديه وأسأله ان يبارك له فيما آتاه ويختار له فيما استرعاه ويرفع قدره في السماء وينشر ذكره تحت الماء حتى لا يبقى له بينهما مناوى ولا يجد له فيهما مدانى واستوهب له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لا يشاد عنها وملكا لا بؤس فيه وعافية تديم له البقاء وتكثر له النعماء وعزا يؤمنه من انقلاب رعية وهجوم بلية فانه مولى الخير ودافع الشر (فأمر) الملك فحشى فمه بثمين الجواهر ورفيعه ولم تدفع حداثة سنه مع نبل كلامه

تحرجهم بالحاء المهملة أي تضيق عليهم اه

مفهه أي عي اه

أن استوزره وقلده خيره وشره فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ماالله تعالى على العاقل نعمة بعد الاسلام أفضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا ماعرف الله تعالى الابالجهل (ألاترى) ان الله تعالى خاطب أولى النهى والالباب وذوى البصائر فيجب على العلية أن يحمدوا الله تعالى على مباينة هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان ابن محمد وهو آخر ملوك بنى أمية ماالذى صار بك إلى هذا قال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت فى نفسى هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجند بما يظهر لى من فساد الدولة قبله وهيهات أن ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان (وقال) الواقدى قال الفضل بن سهل لما دعى المأمون فى كورة خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة ووجه ملك كالبستان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكر أنه قد توجه بهدية ليس فى الارض أسنى ولا أرفع ولا أفخر ولا أنبل منها فتعجب المأمون وقال سل الشيخ مامعه فسألته فقال الشيخ ماهى شئ أكثر من علمي قلت وأى شئ علمك قال رأى ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون بذلك وأمر بانزاله واكرامه وكتمان أمره فلما أجمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه قال لذوبان ماترى فى التوجه الى العراق قال رأى وثيق وحزم مصيب وملك قريب والسير ماض فاقض ما أنت قاض قال له فمن نوجه قال الفتى الاعور الطاهر الاطهر يسير ولا يعثر قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال وكم نوجه معه من الجند قال أربعة آلاف صوارم الاسياف لاينقصون نفر العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون ووجه بطاهر بن الحسين قال وفى أى وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع لك الامر ويصير الى النصر نصر سريع وقتل ذريع وتفريق تلك الجموع والنصر له لاعليه ثم يرجع الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان له النصر وقتل على بن عيسى

وزير الامين واستولى على عسكره وحاز أمواله فأمر الملك لذوبان بمائة ألف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك لأنقصك مالك فلا تجعلن ردّي نعمتك تسخطا وسوف أقبل ما يفي بهذا المال ويزيد عليه قال المأمون وما هو قال كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء النفس من صنوف الآداب ما ليس في كتاب عند عاقل لبيب وفطن أريب يوجد تحت ايوان كسرى بالمدائن يقاس بالذراعين في وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فاحفر المدر واقلع الحجر فاذا وصلت الى الساحة فاقلعها تجد الحاجة ولا تلزم لغيرها فيلزمك غب ضرها فأرسل المأمون الى ايوان كسرى فحفروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج أسود عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذه بغيتك قال نعم أيها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فأخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق فعدّها مائة ورقة لم يكن في الصندوق شيء غيرها فأخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسألته فقال هذا كتاب جاويدان جرد تأليف بخور وزير الملك ابرازشهر فطلبت منه شيئا فدفع اليّ منه ورقات وترجمها الى الخضر بن على ثم أخبرت المأمون فقال احمل اليّ الورقات فحملتها اليه فقرأها فقال هذا والله الكلام لا ما نحن فيه من لي ألسنتنا في فجوات أشداقنا ولولا ان العهد حبل طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيدينا لاخذته منه

(فصل) من نوادر بزرجمهر حكيم الفرس (قال) نصحني النصحاء ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتأديبا فلم يعظني أحد مثل شيبي ولا نصحني مثل فكري ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضئ بضياء أضوء من نور قلبي وملكت الاحرار والعبيد فلم يملكني أحد ولا قهرني غيره واني وعاداني الاعداء فلم أر أعدى اليّ من نفسي اذا جهلت واحترزت لنفسي بنفسي من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها أشر

الانفس لنفسها ورأيت انه لا يأتيها الفساد الا من قبلها وزاحمتني المضائق فلم يزحمني مثل الخلق السوء ووقعت من أبعد البعد وأطول الطول فلم أقع في شئ أضر علي من لساني ومشيت على الجمر ووطئت على الرمضاء فلم أر نارا أحر علي من غضبي اذا تمكن مني وطالبتني الطلاب فلم يدركني مدرك مثل اساءتي ونظرت ما الداء القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعنيها وركبت البحار ورأيت الاهوال فلم أر هولا مثل الوقوف على باب سلطان جائر وتوحشت في البرية والجبال فلم أر أوحش من قرين السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئا ألذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجبال فلم اجزع الا من الانسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئا أمر من الفقر وشهدت الحروب ولقيت الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الاقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من ذي فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعبرت السجن وشددت في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني شئ مثل ما هدمني الغم والهم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للعدة والشدة والنائبة فلم أر شيئا أخير من الكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذي ضلالة الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة الجار السوء وشيدت البنيان لأعز به واذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف ولبست الكسى الفاخرة فلم ألبس شيئا مثل الصلاح وطلبت أحسن الاشياء عند

الناس فلم أر شيئا أحسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحباهم فلم أسر بشئ أكثر من الخلاص منهم

(فصل) من حكم شاناق الهندى من كتابه الذى سماه منتحل الجواهر للملك ابن قابص الهندى يا أيها الوالى اتق عثرات الزمان واخش تسلط الايام ولؤم غلبة الدهر واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وللايام غدرات فكن على حذر وللاقدار بغتات فاستعد لها والزمان منقلب متولى فاحذر تقلبه لئيم الكرة فخف سطوته سريع الغيرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يداو نفسه من سقام الاثام فى أيام حياته فما أبعده من الشفاء فى دار لا دواء له فيها ومن أذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهى واحدة لم يضبط حواسه وهى خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية فى نواحى البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو أحق من أن يبدأه بالقهر من نفسه ثم يشرع فى قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن دون صويحباتها قد تأتى على النفس القوية الحذرة فكيف اذا اجتمعت خمسة أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن شرا ليس للاخرى فاقهرها تسلم من شرها وانما يهلك الحيوان بالشهوات ألا ترى أن الفراش يكره الشمس فيستكن من حرها ويعجبه ضياء النار فيدنو منها فتحرقه والظبى على نفار رقابه وشدة حرصه ينصت لسماع الملاهى فيمكن القانص من نفسه وذباب الورد المتتبع لطيب الروائح يطلب ما يقطر من أذن الفيل لطيب رائحته فانه فى طيب رائحة المسك فيلهيه طيب الرائحة عن الاحتراس من تحريك الفيل اذنه فيتولج فى أصل اذنه فتقع عليه ضربة الاذن فتقتله والسمك فى البحر تحمله لذة الطعم أن يبتلعه فتحصل السنارة فى جوفه فيكون فيه حتفه (وذكر) هذا الحكيم ان خصالا معروفة قتلت بالافراط فيها ملوكا معروفين

فالصدمات منه قيدة الملك والافراط فى القمار مات منه قيشوب الملك والافراط فى السكر مات منه مخارق الملك وشدة الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أجر سيجى الملك والطمع وائل والفرح واطاب والانفة بوليس والتوانى زميرنهر وأخلق بخصال أهلكت ملوكا ان يجتنبها الملوك (واعلم) ان الرعية تستمطر الملك العادل استمطار أهل الجدب للغيث وينتعشون بطاعته عليهم كانتعاش النبات بما ينا له من القطر بل الرعية بالملك العادل أتم نفعا منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك لا يتعين له وقت (ويحسن) بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية أشياء الغيث والشمس والقمر والريح والنار والارض والماء والموت (فأما) شبه الغيث فتواتره فى أربعة أشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغى للملك ان يعطى جنده وأعوانه أربعة أشهر تقدير التتمة السنة فيجعل رفيعهم ووضيعهم فى الحق الذى يستوجبونه بمنزلة واحدة كما يسرى المطر بين كل أكمة وشرف وغائط مستفل ويغمر كلا من مائه بقدر حاجته ثم يستجبى الملك فى الثمانية أشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تجبى الشمس بحرها وحدة فعلها انداوة الغيث فى أربعة أشهر الامطار (وأما) شبه الريح فان الريح لطيفة المداخل تسرح فى جميع المنافذ حتى لا يفوتها مكان كذلك الملك ينبغى ان يتوج فى قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يخفون عنه شيئا حتى يعرف ما يأتمرون به فى بيوتهم وأسواقهم (وكالقمر) اذا استهل تمامه فأضاء واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغى ان يكون الملك ببهجته وزينته واشراقه فى مجلسه وايناسه رعيته ببشره فلا يخص شريفا دون وضيع بعدله (وكالنار) على أهل الدعارة والفساد (وكالارض) على كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة (وكعاقبة) الموت فى الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن اقامة حد ولا يتجاوزه (وكالماء) فى لينه لمن لاينه وهدمه واقتلاعه عظيم الشجر لمن جاذبه (واعلم) انه قد يكتنف السلطان

الشرف بفتحتين المحل العالى اه

من

من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستبشع ويستكره كالحيات تكتنف بالصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته وبرده وينتفع الصندل بها اذلا يقرب منه من يريد قطعه (وليكن) فيك مع تلطفك تشديد لئلا يجترأ عليك فان القمر يستضاء بضوئه ويظهرله والشمس يستظل من حرها ويستكن لها (وقد) قالت العرب فى مثل هذا لاتكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلتفظ اجعل لكل طبقة من أعدائك اشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء فى الاذن لاحيلة فى اخراجه بأرفق من الماء الذى هو من جنسه اذا عاديت رجلا فلا تعاد كل جنسه واستبق من جنسه أحدا عسى تنتفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقى ولا تطمعن فى الكذوب والمطبوع على الشران تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلما سمن بالطعام والحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا (قد) يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد حر شعاع الشمس اذا كان واقيا غاية أرمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل زكين يقتل الجيش بأسره والملك الشريف العاقل لاينفذ فيه قدح أهل البغى فمن انقطع اليه ولزمه كالجوهر المضئ بنوره لا يطفئه عصوف الرياح (من) كان قابلا لما يرد عليه فى بقائه وكل قول يسمعه كان كالسراج تميل به كل ريح لينة ثم لا يلبث ان عصفت الريح ان يطفأ (تدبير) الملك الحازم فى سلطانه كتعاهد صاحب البستان بستانه يخرج قاحل عيدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره وزرعه ليقيه عن الشر والفساد كما ينتخب الملك أهل الشكيمة والشوكة فيجعلهم فى أقاصيه وحدوده ردأ للمملكة (وليكن) الملك أحذر ما يكون آمن ما يكون قلت وقد صدق الشاعر

امنتم ريب الزمان فنمتم * رب خوف مكمن فى امان

(قال) الاترى ان بهرسان الملك أنامت المرأة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتلته امرأته بخلخال مسموم ودروق الملك قتلته امرأته بمدية خبأتها فى عقاصها (واعلم) ان العدو وقد علم منك مواضع

فتسترط أى تبتلع اه

القاحل اليابس وزنا ومعنى اه

الحذر وحالات الامن وانما ترصده لك في حالات الامن والمواضع التي تظن ان العدو لا يكمن فيها فكن احذر ما تكون فيها (وسائر) حكم هذا الباب قد قدمتها في تراجم كتابنا

(فصل) قال غيره لا ينبغي للملك ان تكون له أيام معلومة يظهر فيها فان في ذلك خصالا مذمومة (منها) انه قد يعوق في ذلك اليوم ممسك مهم أو بعض الكسل أو لذة مغتنمة فيلزمه الخروج على كره (ومنها) انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لامر ما تطاولت الاعناق من الرعية وكثر كلامها وقالوا امرض أومات أو اصابته آفة فيكسب العدو جراءة وسرورا ويكسب الولي حزنا وجبنا (ومنها) انه قد واعد عدوه ليوم يلتقيان فيه ولا ينبغي ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية (وعن) هذا قالت الحكماء اذا كان الجمل كثير النفر كان نصيب الذئب

(فصل من نوادر كلام العرب) من حكم أكثم بن صيفي وهذا رجل كان له عقل وحلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة وألفوا فيها تصانيف (فمن) حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفاء لمن ليس له حياء قد يشهر السلاح في بعض المزاح من وفى بالعهد فاز بالحمد الموت يدنو والمرء يلهو طول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من اصطنع قوما ما احتاج اليهم يوما ما الكذب بهت والخلف مقت من لم يكف اذاه لقي ما ساءه الحر يتقاضى لك من نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وحبسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت مزر بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجاملة لمن لا تدوم له مواصلة في الاسفار يبدو الاختبار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل الفعال صيانة العرض بالمال ليس من خادن الجهول بذي معقول ليس للمحف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد

لقيل

لقيل وقال (وقال) ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفى عنك البهتان مثل البرهان لم ينج من الموت غنى بماله ولا فقير لاقلاله اذا أردت طرد الحر فسمه الهوان كثرة العلل آية البخل كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق اللئيم امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة رب سباب قد أهاجه العتاب الصدود آفة المقت سبب الحرمان التوانى من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ان من الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار غناك خير من سمين غيرك من جد المسير ادرك المقيل استر عورة أخيك لما تعلم فيك لا تكثر من المزاح فتذهب هيبتك ولا من الضحك فيستخف بك من أكثر من شئ عرف به كفى بالحلم ناصرا المنة تهدم الصنيعة نعم الشئ الهدية بين يدى الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما غش المنتصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يغرنك من جاهل قرابة ولا جوار ولا إلف فان أقرب ما يكون من النار ترباً أقرب ما يكون منها لهبا أرفض أهل الدناءة تلزمك المهابة دع مجالسة أهل الريب على كل حال فانك ان يسلم دينك لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة أكرم الصنائع سلامة الصدور لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة العقل ومقطعة الحيلة كثرة النوم اماتة القلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحمقى والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحمق إعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقهه كمن قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس بصاحب أدب ومن

عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسده فقوى عدوه وقصر بنفسه اغفر زلة صديقك من غضب من غير شئ رضى من لا شئ من غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ماعرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير هلاكه شح الغنى فضيحته من لم يتورع فى كلامه ظهر فجوره كل شئ لا يوافق الاحمق فاعلم انه الصواب اذا غلبتك امرأتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهائم من طلب ماعند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاور البحر لا يخاف العطش وجار البخيل فى المفازة هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فأت أهل القبور من عادى من فوقه أبغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المائدة غش بطنه وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستعظم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرتح للثناء فليس له نصيب فى المودة اذا كان لك جار أو صديق لا تنتفع به فصور مثاله فى الحائط فانه أزين للحائط وأخف للمؤنة العاقل يرغب فى الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق من تكذبه العاقل يتهم رأيه فى نفسه والجاهل يتيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه من أظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشار عدوه فى صديقه أمره بقطيعته مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك من طلب مراضاة الاخوان من غير شئ فليصادق أهل القبور العاقل ليس فى مصادقته مخادعة رأس مال الاحمق المخادعة وفائدته الغضب والحليم رأس ماله الصمت وفائدته الحلم اذا جهل عليك الاحمق فالبس له سلاح الرفق واللطف صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حمقه من أنزل نفسه عاقلا أنزله الناس جاهلا

من

الرقيع كالشتيم الاحمق اهـ

من قنع بكذب الثناء عليه ظهر للناس رقاعته السكوت عن الاحمق جوابه السكوت يزين الاحمق والكلام يشينه من استطال عليك بملبسه وتحلى بفضله فلا أكثر الله فى الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا حاجات للبخيل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع ما عنده ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل للبخيل صلته ورفع عنه مؤنته دامت له مودته ضيف البخيل آمن من التخمة من طلب من اللئيم حاجة كان كمن طلب السمك فى المفازة عدة الكريم نقد وعدة اللئيم تسويف الكريم يواسى اخوانه فى دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك شيئا انما الصديق الذى يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند المغيب وينفعك عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك فى المصادقة فعاده من غشك فى العداوة فلا تمله من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصدقاء من صادق الاخوان بالمكر كافؤه بالغدر من لم يواس الاخوان فى دولته خذل عند مأمنه اياك ان تبغى مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب صوابك اذا رأيت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فعم عليه أمورك من صبر على مودة الكاذب فهو مثله كل شئ شئ ومودة الكاذب لا شئ من بدأك بجهله فكافئه بحلمك نعمه أول المروءة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالى بما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى حجته بعينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بلسانه بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان لا تحتقر الفقير السرى ولا ترغب فى الغنى الدنى من تشبه بالسراة وغلبت عليه الدناءة فلا تكرمه من أغضبته أنكرته من أغنيته أعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع بماله لم يحتشم من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه

ومن عاداهم أنكروه من شمخ عليك بأنفه وطمح ببصره ولم يدخل عليك فضله فلتهن عليك سلامته السفيه يقطع مودة لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروءة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجار لؤم رجال البلاء قليل احفظ اخوانك تذل أعداؤك ما أجمل الصبر على ما لابد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره نشبه لا قوى أقوى ممن قوى على نفسه ولا عاجز أعجز ممن عجز عنها الخير في غيرأهله غريب ما أضعف قوة من يغالب من لا يغلب

(الباب الرابع والستون يشتمل على حكم وأحاديث منثورة)

(اعلم) أيها المريد ان الله تعالى يمتحن أنبياءه وأصفياءه بأعدائه ويضطر أولياءه وأحباءه الى أعدائه رفعة وتقريبا الانبيائه وتمحيصا لهفوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزلفى لديه تعظيما لأقدارهم وتشريفا لمنازلهم وترفيعا لدرجاتهم (قال) الله تعالى تعزية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعظيم ما كان يلقى من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (وقال) تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّا من المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سيرتنا فهذه سيرتنا فيمن نحبه ويحبنا (فالبلاء) على وجهين أحدهما كفارة لذنب والآخر رفع درجات وتوفير أجر ولذلك كان أشدّ الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاآن بلاء رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية لن تخلو المكاره ان تكون لحادث رحمة أو بلاء رغبة عما أنعم الله به منها أو لسيئة عند اضاعة فلا غنى عن زاجر عنها فلاجل ذلك كان حلولها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة (وكان) جعفر بن محمد رضى الله عنه اذا وقع في شئ يكرهه يقول اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقيض الله له من يؤذيه (يامن) ضاق صدره وحرج

قلبه وساء خلقه من عدو أقلقه وحاسد حسده طاب نفسا وقر عينا وأنعم عيشا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لك بالايمان ولعدوك بالنفاق بخ بخ ان عقلتها أمالك في الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أسوة أمالك في الصالحين قدوة فلولم نلق الله عز وجل من الحسنات الاما اقترفناه اختيارا للقينا الله تعالى فقراء من الحسنات ثقالا من السيئات قال الشاعر

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

(وقال) بعض الحكماء الذي رأيناه مما نحب فيما نكره أكثر مما رأينا مما نكره فيما نحب (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين السجون قبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء وأسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان لمساعدته أهلا غلب على الكريم من بدر اليه الشماتة لؤم عوام الناس عدة لخواصهم مجيء القدر يسبق الحذر من سخر من شيء حاق به من عير بشيء بلي به الخلق نهب المصائب مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها أقل مافي طالب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه أعظم جرما اليها من المعاقب له عليها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة النعمة منعة كفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية ثوب الجهل الانفة قوام السفيه قل آنف لم يعقب ذلا العادة كمين لايأمن ازدحام الكلام مضلة الصواب عجلوا القرى قبل سوء الظن وإلحاق السيئة أعجب مافي هذا الانسان قلبه وله موادّ من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الاياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد بالغيظ وان استعد بالرضاء نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامر أسلمته الغرة وان حدثت له نعمة أخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة أشغله البلاء وان أجهده الجوع

قعدبه الضعف وان أفرط فى الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد أفضل القول بديهة آمنة وردت فى مقام خوف أشد الناس غما الذى يرى غيره فى الموضع الذى هو به أولى ما أخذ الله طاقة أحد الارفع عنه طاعته من العجب ان لاترضى عمن ابتغى رضاك وأعجب من ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العلم بالاعراض عند المناوهة لاتغاروا حتى تروا لاتفخروا حتى تفعلوا لاتأنفوا حتى تظلموا أوجب الشفعاء براءة الساحة من لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة قصص الاولين مواعظ الآخرين البحث يوضح الحق كما يورى النار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غنى (قال) جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه عجبت لمن بلى بخمس كيف يغفل عن خمس عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه ان يقول مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن بلى بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه ان يقول وأفوّض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه ان يقول ماشاء الله لاقوّة الا بالله والله تعالى يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوّة الا بالله (كذا) سنة الله تبارك وتعالى فيمن صدق فى التجائه اليه ولم يتوكل فى مهماته الا عليه اليمين مأثمة أو مندمة ألذ الموارد منجاة من متلفة أو قدوم غائب بعد ان جاءت باليأس منه الركائب وشر المصادر ظفر على قنوط وشر الطبيعة مخالفة المروءة فاصبر لحق وجب عليك وان خالف هواك بهاء المجالس الشريف

كظته أى أكربته اه

بالرجل الفاضل اليقين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كأنها الياقوت واللؤلؤ فى تيجان الملوك ماأنور الهدى ماأظلم العمى ماأكرم التقوى ماأخدع الهوى ماأتعب المنا ماأسرع البلاء ماأجهل الصبا الجود أن تهضم الروح حظ الجسد والاسراف ان يهضم الجسد حظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهما حظه والشح ان تكف حظوظهما عنهما عدوّ يخاف الله تعالى فيما يكره خير من صديق لايخافه فيما يحب من العجب ان نطلب فى صحة كل علم مايقنعنا ونكل العلم الى الله تعالى من غير بحث عن صحته لايرعك الباطل مماترمى به ولكن احذران يصدع عليك بالحق فتشهد عليك عيناك ووجهك من بطل رشاؤه بطل منحه الراغب فقير بقدر رغبته الحق يعطى ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس تحتج عليهم واجتنب الذنوب تقل حجتهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمية أحد العلتين الفرق ينسى الحجة جاف العلية فى كلامك وسوّ بينهم وبين السفلة فى أحكامك موت فى عز خير من حياة فى ذل الأكفاء من كل نمط يتباغون ماضاع امرؤ عرف قدر نفسه الدعة الهينة تكون بعد انقضاء العمل لن يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة الحاسد يظهر ودّه فى كلامه وبغضه فى أفعاله باسم الصديق ومعنى العدو الرياء يفسد العلانية والعجب يفسد عمل السريرة اذا كثرت القدرة قلت الشهوة من عرف قدره كفاك نفسه كفى بالظفر شفيعا بالمذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حتفه لاظفر مع بغى ولاصحة مع نهم ولاثناء مع كبر ولاصداقة مع خب من لم يعرف قدره فاكفه نفسك أحق ماردما خالف شهادة العقل قطع الظهر وأفسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس الى جهله بنسكه وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه من قوى هواه ضعف حزمه من ظهر غيظه قل كيده كفى بالظلم طاردا للنعمة وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروءته الهدية تفقأ عين الحكيم صفو

الرأى خير من استبداد الفكر ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا حصنت النعمة بمثل المواساة من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن حمد الله تعالى فقد شكر ما اكتسبت البغضاء بمثل الكبر من استغنى بالله عز وجل افتقر الناس اليه التقصير يخذلك عن الصواب والافراط يقحمك فى الخطاء ثلاث خصال ما اجتمعن الا فى كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملالة كفى مخبرا عما بقى ما مضى وكفى عبرا لذوى الالباب ما جربوا التهاون بالمطلوب أول أسباب حرمانه الشبهة ظلمة لن يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل خير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته لا شرف مع سوء ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الفكر يستخرج الرأى المصيب وبحسن التأنى تدرك المطالب وبالنصفة يكثر المتواصلون الفاحشة عار الابد وعقوبة غد الشماتة تعقب الندامة من سخر ابتلى قال الله تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا فقد المتفضلون هلك المتجملون رب صبابة غرست من لحظة ورب حرب جنيت من لفظة ما شاهد على غائب باعدل من طرف على قلب شر المال ما لا ينفق منه أفضل المال ما صين به العرض وبالافضال تشرف الاقدار الذى يكون سببا لفساد نفسه أذل ممن يفسده عدوه أو دهره لا تعدن وديعة مالا الشهوة رق الحرص كلب يعبر عن الانسان اللسان وعن المودة العينان لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعلى من التقوى ولا شفيع أغنى من التوبة أولى الناس بالامر من حافظ عليه الخير موضوع لمن أراده موفور لمن عمل به الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحظوة الحرص داع الى الحرمان التنفل بالحسنة ينفى السيئة المكافأة بالسيئة دخول فيها البغى سائق الى الحين اصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود حق المذموم التأنيب وحق المحروم المعونة من الجهل والجفاء اظهار الفرح عند المحزون المحزون يحقد على الفرح ويشكر المكتئب فى ظل السلامة تدب أفاعى الآفات أعظم

الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا ما أحدث محدث بدعة الا ترك بها سنة عزائم الامور خيارها ومحدثاتها اشرارها الملك يكتسب من انفاقه والعامة تنفق من تكسبها من أفنى عمره فى جمع المال مخافة العدم فقد أسلم نفسه للعدم قال الشاعر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

من لم يقدر على جمع الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل اذا لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد اصلاح بعض العدو أفضل من هلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى فى عدوه ما يسره خير الكتب ما اذا أعاد قاريه فيه النظر زاد حسنه ووقف على خيره أثقل الاحمال من اتسعت مروءته وقلت مقدرته استح من الله تعالى بقدر قربه من عقلك وأطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها الملك ينفق ليكتسب والعامة تكتسب لتنفق الطاعة بقدر الفاقة يفحش زوال النعم اذا زال معها التجمل أولى الامور بك واجبها عليك الدنيا العافية والشباب الصحة اذا أقبل الامر تشبه واذا أدبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع الصدقة من سعة وابدأ بمن تعول اذا أضرت النوافل بالفرائض تركت النوافل وقدمت الفرائض قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروءته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته من أطاع الواشى ضيع الصديق ومن جعل لنفسه حظا من حسن الظن يروح عن قلبه شر مالك ما لزمك اثم مكتسبه وحرمت منفعة انفاقه رب مغبوط بليلة قامت بواكيه فى آخرها لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تأمن جانب من لا يأمن جانبك تارك الطلب ضجرا أرجى للعودة من تاركه جورا ثمرات الشهوات المخازى الخصومة تمرض القلب أعم الاشياء نفعا ترك الاشرار من استكفى الكفاة كفى الاعداء

خير مالك ما أغناك وخير منه ما وقاك صولة الكريم صلم ذنب أسد خير من رأس كلب * بجبهة العير يعد وحافر الفرس * من استبدّ برأيه خفت وطأته على أعدائه انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك من أمن الزمان خانه ومن تعزز عليه أهانه كما يجب ان تكون المرآة اضوء من الناظر فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عمل ما لا ينبغي ليس في الشراسة ولا في الحظ قدوة لم تكن لله ناصحا حتى تحب عدوك اذا أطاع الله في عداوتك على عداوته وتقلع عما عاداك عليه وتبغض وليك اذا عصى الله تعالى في موالاتك وتنزع عما والاك عليه لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان الشقي كل الشقا من جمع لغيره وضنّ على نفسه بخيره شر أخلاق الكريم ان يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل المال ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ محبوبة قد علقت عليها ألفاظ ظاهرة رجاء العامة أمنية على ضلالة ورجاء الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء الملك زينة وسؤاله شرف (وفي الامثال) جاور بحرا أو ملكا اذا كذب السفير بطل التدبير أخبث الازمنة زمان لا يتميز فيه الخطاء من الصواب لا تعطوا الى الفضول ما حفتم العجز عن الحقوق الآذان اقماع تؤدي والقلوب قوابل تعي من أحب ان يسمى داهيا لم يظهر دهاه لا دليل اهدى من التوفيق الجلاء البلاء من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن الحفظ قيد للعلم المدارسة اذكاء للفهم المقايسة احياء للفطن استزد النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواصل لله والرحمة للخالق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها لم يحكم على العقول حاكم كالغير ولم يحكمها حكم كالتجربة من عاب سفلا فقد رفعه

العلم القطع وزنا ومعنى اه

ومن

ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه من استنقص من قد اجمع الناس على فضله فقد سلط الناس على عرضه أحق الناس ان يؤتمن على الدنيا أهل الآخرة صح من صحت سرائره وسقم من سقمت ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن اعراضكم الحلم اذا أعطيت ما لا ترضى فارض بما أعطيت كلما ازداد الخير كثرة كان الخارج منه أشد حسرة بقدر السمو فى الرفعة تكون وجبة الوقعة الابقاء على العمل أشد من العمل من التوقى ترك الافراط فى التوقى توريث الحرمة والذمام سنة فى المروءة كما ان وراثة التركة فريضة فى الديانة لا تمدحن امرأ بأكثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذابا على غيرك لا تفرحن بسقطة عدوك فانك لا تدرى متى يحدثها الزمان بك من الجفاء الكلام فى الامر الجسيم من غير مشاورة أكثر الناس مخادعة لنفسه فى أمر جسده عند الحمية وفى أمر مروءته عند الشهوة وفى أمر دينه عند الشبهة المصائب بغتات العاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل أشرف الصنائع مالم يكن مكافأة لماض ولا رجاء لباق ارض النظر ثم كافئه وأسر المالهى ثم استمع منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليهما سائق وعنهما ناكص احسانك الى الحر يحرضه على المكافأة واحسانك الى الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة ليس يمتحن الاديب بأن يكون فاعلا للخير انما يمتحن بأن يكون تاركا للشر من صنع معك خيرا فضاعفه له والا فلا تعجز ان تكون مثله الاشرار يتبعون مساوى الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع النغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فطنة مازجتها عبادة مع حذر وتوق فاذا خلت الفطنة من التوقى فصاحبها لا يستمتع به أهل المروءة واذا خلت الفطنة من العبادة وقارنتها ملاحة فصاحبها طيب الظرف فطنة معها بعض ارسال الالفاظ يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين فى باطن الدنيا والتمييز فى باطن الحال (وسمعت) القاضى أبا العباس الجرجانى رحمه الله تعالى

يقول بالبصرة اول من نطق بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وذلك انه أتى بسارق فقال له أسرقت قل ام لا فقال الرجل لا فقال عمر رضي
الله عنه انك اظريف جهد البلاء الاقلال والعيال ينبغي للعالم ان
يتطامن للجاهل بقدر مارفعه الله تعالى عليه العقل أفقر الى الحكمة
والادب من الجسد الى الطعام والشراب أعظم الناس غما من زالت
نعمته وبقيت شهوته وضاقت مقدرته قلة العيال أحد اليسارين
معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياء عند الفضيحة
والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مر به
اقتبس منه من تقدم بحسن النية نصره التوفيق لم تكن لله ناصحا
حتى تحب ان يكون له عدوك مطيعا من أذى الناس بغير سلطان كان
مصيره الى الهوان مادحك بما ليس فيك مخاطب لغيرك فجوابه وثوابه
ساقطان عنك المكر والخديعة في النار الاحداث تاتي على مامنه يأتي
الحذر الما كول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو من غضب
على من لا يقدر على غمه فقد عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعنيك
ودع مالا يعنيك فان في ترك مالا يعنيك درك ما يعنيك من أنكى الاشياء
لعدوك ان تريه انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشئ خير
من الاستغناء به ومن خير خبر ان تسمع بالمطر لا خير فيما يزول ولا غنى
فيما لا يبقى شر العيوب ما كان مضمنا للعيوب شر الذنوب ما كان علة
للذنوب ابلغ الرسل الكتب حاول الامور بالنصفة وأنا زعيم لك بالظفر
من أراد جمالا لا تهدمه الايام فليصحب المروءة والصيانة فهما ذروة
الشرف ورب أمر له ما بعده من سبق اليك كان له صفوه من شروط
المروءة التغابن للضعيف المروءة ترك الريبة يكاد استقضاء القوى من
الضعيف أن يكون ظلما يكاد استيفاء الغني من الضعيف ان يكون جورا
القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق أوله حكم وآخره علم المحادثة على
الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض لن تنال

ما تحب

ماتحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ذهاب البصر خير من كثير من النظر لا تعد العزم عزما اذا ساق غما مع الرأى الاول الوهم النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تزكية أنعم الناس من كفى أمر دنياه ولم يهمه أمر دينه الغريب من فقد اخوانه ونظراءه وان كان فى وطنه الغريب من لا صديق له الغريب الفقير الغريب الاحمق الغريب من لا ناصر له شيئان لا يستحى العاقل منهما المرض وذو القرابة الفقير من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها وسطا بينك وبين أحد علامة الاشرار أن من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا شرهم عنه وأما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق فى الغضب والجود فى العسر والعفو عند المقدرة من عتب على الزمان طالت معتبته ستساق الى كل ما أنت لاق اذا صحب الارتياد الرشاد وجد المراد ما عتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعز من احتمل ما فى المعصية من الذل ولا خرج من الدناءة من صرف عقله الى الدنيا آخر الظلمة هرب المسئلة آخر المكسبة ماعد من أهل الحجا من كان من أهل الهوى ولا كان من أهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم أدنى الاحسان لامتناع أقصاه لم يحمد شيئا منه من دواعى الملكة اضاعة المعرفة واعجبا لمن يبنى داره وجسمه يهدم ولمن يبرم أمور الدنيا وأموره فى نفسه تحل (قال) على رضى الله عنه من لم يكن معنا كان علينا الساكت أخو الراضى الكاتم للعلوم كمن لا علم له أوفر واثق فيه بالصواب المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم بما فى المصيبة من الثواب ينسى المصيبة شر من المعصية سوء الخلق فقهاء الحكمة ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة بلاء المؤمن من عافيته كالنار حريقها من نورها قد يكون الناس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا من

لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة مع القلة تجوع الحرة ولا تأكل بثديها موت عاجل خير من ضنا آجل الغضب عند المناظرة منساة للحجة الاختصار أثبت للمتكلم وافهم للسامع الكلب فى الحاضرة ينبح الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب فى البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل لك ان فى يدك لؤلؤة وأنت تعلم انها بعرة مثل الصلاة فى سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيب الكل الحب والبغض فتنة من طلب المطمع حرم ومن طلب المؤنس عجز قد ينصر المنطق من يعنى به اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وصار خوف الموسر أكثر من خوف المعسر لقاء أهل الخير عمارة القلوب لا يصد الكثير من لا يصد نفسه الواحدة بالعمل يحسن المنطق وبالقوة يتم العمل الفكرة مرآة من أعظم الناس محنة من قل ماله وكثر مجده الادب مع العقل كالشجرة المثمرة والعقل بلا أدب كالرجل العقيم الماء ألين من القول والقلب أقسى من الحجر وقد يثلم الماء الحجر اذا كثر انحداره عليه أشد الاشياء اخفاء الفاقة أولى الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل لم يغب من شهد رأيه ولم يفن من بقى أثره ولم يمت من خلد عمله (وقد) سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كما انه قبيح اذا ركبنا الخيل ان تجرى بنا حيث أرادت دون ان ندبرها كذلك قبيح ان يجرى البدن والنفس بالعقل حيث أرادا من الشهوات اشق الامور معرفة المرء بنفسه عائب المجمع عليه محجوج ليس شئ من البر الا ودونه عقبة من الصبر ضرب الانسان عار باق ووتر مطلوب (قيل) لحكيم هل للغضب مادة تحسمه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا أبدا ولا يجب ان يخدم أبدا ولا يجب ان يتحمل خطاؤه أبدا ولا يجب ان يصبر عليه أبدا بل قد يطيع ويخدم ويتحمل الخطاء ويصبر على النوائب فاذا فعل ذلك لم يغضب واذا غضب فقليل السعيد من وعظ بغيره

ووتر مطلوب معناه ثار مطالب به كالموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه اهـ

لا ينفع كثرة العلم من لا يعمل كما لا يغني ضوء الشمس عن من لا يبصر رضي بالذل من كشف ضره بترك الورع وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فخوخ يسترها زخرفة الكلام وخدع المقال الناس في الدنيا بالاخوان وفي الآخرة بالاعمال صديق الرجل عقله وعدوه حمقه من اجتمعت عليه النعمة أديمت له الرغبة يحفظ الاحمق من كل شئ الا من نفسه لا جود الا بمال ولا صداقة الا بوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذي يشتهي أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال لقاء الرجل اخلاءه مسلاة للهم من لم يصلح على تدبير الله تعالى لم يصلح على تدبير نفسه الأحلام فرح ووهم كاذب والعامل بها كالمعتمد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان لك منها أتاك عن ضعف وما كان عليك لم تقو على دفعه بقوتك العافية خير من الواقية الكريم لا يستحي من اعطاء القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوى به من حق النعمة ان يرى أثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل جائعا ومن كان غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بحوائجه الخلق لم يزل محروما ومن استعان في أمره بغير الله تعالى لم يزل مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه ماتحسنه ولا تعمل به لغيرك نوره وعليك بوره والعجب لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى عين العز في طلب ما يبقى من حذرك كمن بشرك الشفيع جناح الطالب اذا أقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى قال الشاعر

فانفق اذا أيسرت غير مقتر * وأنفق اذا ما أدبرت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والحظ مقبل * ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر

(ولغيره)

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة * فلن يضربها التبذير والسرف

وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالشكر منها اذا ما أدبرت خاف

(الغريب) فى كل مكان مظلوم من سلك الجلد أمن من العثار لم يتجاوز الحد من ركب القصد عجبا للئيم يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الكرم الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء من بطل ذيله يكثر ويله (وقال) على رضى الله عنه من يبطل فعل أبيه تمنطق به غنك خير من سمين غيرك اذا أحببت ان لا يفوتك ما تشتهى فاشته ما يمكنك من قصد أسهل ومن أسرف أوعر القصد أخذ الحمام شر السير الحقحقة يؤنسك فى المجالس مجالس لا يقصر بك ولا انتقام عنده أقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك وازجر المسئ باثابة المحسن لكى يرغب فى الاحسان لن يهلك من مالك ما وعظك الخلاف يهدم الرأى خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله تعالى مكفور عند من أصبح مصرا على ذنب مستور يصير التخلق خلقا بالاجتهاد والاعتياد الحجر الغصب فى البنيان رهن على الخراب ربما شرق شارب الماء قبل ريه رب رأى أنفع من مال وحزم أوفى من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمد الاخوان بتقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان ومن عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك ترجمان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة كلما اشتد الظلام قوى ضوء السراج الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد أولى الناس بالرحمة من احتاج اليها فحرمها من لم يدر قدر البلية لم يرحم أهلها كفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحمق غرر والقيام عنه ظفر لا تسأل عما لم يكن فان فى الذى قد كان شغلا البخل جامع لمساوى العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء اذا صلح القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد أربح بضاعة التوفيق خير قائد كمال العمل التوفيق من ترفق فى استتمام الحظ من

الجلد بفتحتين الارض الصلبة المستوية اه

الحقحقة ان يلج فى السير حتى تعطب راحلته اه

النعمة

النعمة أدرك وبلغ مقاربة الناس فى أخلاقهم أمن من غوائلهم لا تنظر
الى أحد بالموضع الذى رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بعينه فى الحقيقة
فانها مكانه الطبيعى أبعد الناس سفرا من سافر فى طلب أخ صالح ليست
البركة من الكثرة ولكن الكثرة من البركة (وقال) داود عليه الصلاة
والسلام اذا كان ماترى من الجهل يغيظك اذن يكثر الجهل ويطول غمك
(قيل) لبزرجمهر مالكم لا تعاتبون الجهلة قال لانا ماتريد من العميان ان
يبصروا العشق مرض نفس فارغة لاهمة لها اجالة الفكر واستخراج
الفطنة تتبع الاساءة بالندم وتتبع الندم بالاقلاع الامن بالبراءة وكثرة
الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من بذر عداوة حصد
ندامة السمنة للنساء غلة وللرجال غفلة (قال) المسيح عليه الصلاة
والسلام ماحلم لمن لم يصبر عند الجهل وماقوة لمن لم يرد الغضب وماعبادة لمن
لم يتواضع للرب سبحانه عبادة النوء كالمجئ فى غير وقت والجلوس فوق
القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل) لحكيم اخرج الهم من
قلبك قال ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر فى احتياله اياكم وطلب
الامور من غير وجوهها فيعييكم طلبها ولا تدركوا حظا منها هيئة الزلل
تورث الحصر (وقيل) لحكيم لاى شئ تزوجت امرأة دميمة وأنت وسيم
قال اخترت من الشر أقله (وقيل) لحكيم ماتقول فى الزواج قال لذة
شهر وهم دهر ووزن مهر ودق ظهر فتنة عالم الى ابليس خير من غواية
الف رجل جاهل تمنى المعاتب ولا تمنى المعاذير الموالاة فى الاسلام بمنزلة
الحلف فى الجاهلية سب الجاهل للحكماء تشريف لهم عند أهل الفضل لان
الجاهل منسوب الى فعله وكما ان الحكيم يتألم بحديث الجاهل كذلك الجاهل
يتألم لسماع الحكمة أغنى الناس عن الحقد من عظم قدره عن المجازاة
الكبير الهمة من الرجال من كان عنف الناصح عنده ألطف موقعا من ملق
الكاشح ان كانت الجدود من الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور
ليست دائمة فما بال السرور وان كانت الدار الدنيا غدارة فما بال الطمأنينة

(وقال) الشعبي ما رأيت الله سبحانه وتعالى أعطى عباده أجل من الحلم (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشيء من أمر الدنيا والآخرة من لم يعرف الوثيقة في أرومته والدماثة في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والتحاقر عند ربه (وقال) أبو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا قديما هناك حسن البناء بين مزارع وأشجار وأنهار فدخله فبينا هو يطوف اذ بصر برقعة قد ألصقت في صدره فأمر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا * تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض أوانس * ولم يتبختر في فنائك حور
وابناء أملاك غواشم سادة * صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا أدراعهم فعوابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يا دير وهو أمير
اذ العيش غض والخلافة لدنة * وأنت طروب والزمان غدير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم * بشجو ومثلي بالبكاء جدير
وعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى * لها ذكر قومي انة وزفير
لعل زماني جار يوما عليهم * لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من ضيق الوثاق أسير
رويدك ان اليوم يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور

(فلما) قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال أعوذ بالله من شر أقداره ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا علم لي به (وأما) الكتب وصفاتها فتجل عن بلوغ الوصف ولقد أحسن ابن الجهم في قوله

الأرومة بالفتح والضم الاصل والدماثة بالفتح سهولة الخلق اه

لدنة اي لينة اه

سميراذا جالسته كان مسليا * فؤادك عما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما أو يزيدك حكمة * وغير حسود أو مصر على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد
زمان ربيع فى الزمان بأسره * يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
تنور آدابا بورد بدائع * أخص وأولى بالنفوس من الورد

(وأنشد بعض الاعاجم)

اذا ما خلا الناس فى دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب
وأنستهم لحساب الليال * صفاء الندامى وزهو السحاب
خلوت وصحبي كتب العلوم * وبيت عروسى بيت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذاك الشراب
وما يجمع المرء فى دهره * سوى العلم يجمعه للثواب

(ومن أحسن ما ينشد فى الكتب)

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم أخل من شاعر محسن * ومن عالم صالح منذر
ومن حكم بين أبياتها * فوائد للناظر المفكر
وان ضاق صدرى بأسراره * وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب * فلم أحتشمه ولم أحصر
وان عدت من ضجر بالهجا * وسب الخليقة لم أحذر
ونادمت فيه كريم المغب * لندمانه طيب المخبر
فلست أرى مؤنسا ما حييت * عليه نديما الى المحشر

(وأنشد ابن حزم لبعض الادباء)

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا * واستبدوا بالرأى دون الجليس
أو صحبنا التجار عدنا الى الفقـ * ـر وصرنا الى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نتخذ الحـ * ـبر وغلا به وجوه الطروس
لو تركنا وذاك كنا ظفرنا * من أمانينا بعلق نفيس

غير أن الزمان أعمى بنيه * حسدونا على حياة النفوس

(وقال غيره)

أنست الى التفرد طول عمرى * فمالى فى البرية من أنيس
جعلت محادثى ونديم نفسى * وأنسى دفترى بدل العروس
قد استغنيت عن فرسى برجلى * اذا سافرت أو بغل أنوس
ولى عرس جديد كل يوم * بطرح الهم فى أمر العروس
فبطنى سفرتى والخرج جسمى * وهميانى فمى أبداوكيسى
وبيتى حيث يدركنى مسائى * وأهلى كل ذى عقل نفيس

(ولئن) كان الناظمون قد وصفوا فجوّدوا وقالوا فأبلغوا فقد قصروا وأجل ممدوح من استقصى فى مدحه المنتهى واستمد فى تقريظه المحتفل وكيف لا والكتاب نعم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء ملئ أراحا وحبذا بستان يحمل فى أكمامه جوهرا ودررا وروضة نقلت فى حجر هل سمعت بشجرة تؤتى أكلها كل حين وساعة بالوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لاتذوى وزهر لايتوى وثمر لايفنى ومن لك بجليس يفيدك الشئ وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان سخطت عليه لم يجب اكتم من الارض وانم من الريح وألهى من الهوى وأخدع من المنا وأمتع من الضحى وأنطق من سحبان وائل وأعيى من باقل هل سمعت بمعلم واحد تحلى بحلل كثيرة وجمع أوصافا غزيرة عربى فارسى هندى رومى يونانى ان وعظ أسمع وان ألهى أمتع وان أبكى ادمع وان ضرب اوجع يفيدك ويستفيد منك ويزيدك ويستزيد منك ان حدث فسر وان مدح فنزهة قبر الاسرار وحرز الودائع وقيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومؤنس لاينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من انباء الآخرين هل سمعت فى الاولين أو بلغك عن

قوله لايتوى بالمثناة الفوقية أى لايهلك اه

احد

أحد من السالفين من جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يرزءك شيئا من دنياك نعم الذخر والعقدة والشغل والحرفة جليس لا يضرك ورفيق لا يملك يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ان أدمت النظر اليه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك ان ألفته خلد على الايام ذكرك وان درسته رفع فى الخلق قدرك وان حملته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد مقاعد السادة ويجلس السوقة مجالس الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من مرافق وقد قال فيه الاول

لنا جلساء لا نمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى * ورأيا وتأديبا وعقلا مسددا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقى منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أموات فما أنت كاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

(فهذا) ما أردنا ان نمليه فى هذا الكتاب شعر

فاكتبوا ان شئتم أنقاشه * ان كانت الانقاش مما يكتب

(ووجد فى نسخة مانصه) وكان الفراغ من املائه بفسطاط مصر حرسها الله لاربع عشرة ليلة خلت من رجب من سنة ستة عشر وخمسمائة رحم الله مؤلفه وكاتبه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(يقول المقر له بالعجز والقصور العبد الفقير أنطون غندور) معاون دائرة سعادة أفندم ماوسون باشا الامجد أدام الله له العز والوجود وكمله بمحاسن الشيم والجود انني من منذ عهد قريب توكلت على القريب المجيب والتزمت طبع كتاب بند عطار المترجم من الفارسية منظوما حرفيا للغة العربية موملا ان أتشرف بقبوله فصادفتني العناية وفاز العبد بمأموله ولما كان هذا الكتاب المسمى سراج الملوك للاستاذ أبى بكر الطرطوشى من بعض ما أنعم الله به على من الذخائر اللطيفة والمآثر المنيفة

قوله لا يرزءك أى لا يصيب منك شيئا الخ والعقدة ما فيه بلاغ الرجل وكفايته اه ق

مما يحسن به سلوك الطبع ولم يسبق له التنقيح بالطبع عجيب فى معناه نافع فى مقتناه تهتدى بأنوار حكمه المطالع ويسترشد بضياء وعظه المطالع تجاسرت على طبعه لاشتهار فضله ونفعه فى ظل من شاع فضله فى الاقطار وتمهدت بعدالته الامصار سعادة أفنديناذى القدر الجليل ولى نعمتنا الخديوى اسماعيل لازالت شموس مجده مشرقة بأفق الكمال وبدور عزه مسفرة بتوفيق ذى الجلال وحفظه وانجاله الكرام مدا الليالى والايام وشيد أركان دولته ذوى الاراء الصائبة والافهام الثاقبة ما أضاء سراج الهداية منيرا بليل العناية ولاح بدر تمام وتضوع مسك ختام

(يقول المتوسل بصاحب التلاوة رمضان حلاوة) نحمدك يامن أضأت قلوبنا بسراج توحيدك وأطلعت فيها كواكب تمجيدك وطهرت مشكاة بصائرنا من الشكوك والاوهام وصفيت زجاجة أفئدتنا بالهداية والالهام وأفضت فى أرواحنا أنوار معرفتك التى لاتطفا وقدحت فى ألبابنا زناد عنايتك الذى لايخفى سبحانك أنت السيد ونحن عبيد احسانك ورعية افضالك وامتنانك نسألك ان تجبرنا من جور نفوسنا القوى وتعدل بها الى الصراط السوى وتثبت سلطان استقامتها على أساس التصديق وتشيد اركانه بوزير التوفيق بجاه البشير النذير الداعى باذنك السراج المنير سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى وجنده وحزبه أعلام الاقتدا (وبعد) فان كتاب سراج الملوك للاستاذ أبى بكر الطرطوشى من أحسن ماصنف فى بابه وأجل وأجل ماألف فى معناه وأكمل قد استنارت بحكمه الحوالك واشتهر فضله فى الممالك تقتبس الالباب من أشعة ضياه وتلتمس السنا من جمال محياه وتتحلى النفوس من حلية نفائسه وتتقلب القلوب فى محاسن عرائسه أبوابه قد جمعت لباب الفضائل وحشدت بأمثال الأماثل والأفاضل فهو الحقيق بما نوه عنه مصنفه ونبه عليه مؤلفه حيث قال يستغنى الحكيم بدراسته عن مباحثة

الحكماء

الحكماء والملوك عن مشاورة الوزراء فلا يسع به ملك الا استكتبه ولا وزيرا الا استصحبه عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولى الامرة والسياسة قد سعى فى طبعه لعموم نفعه المتوكل على ربه الغنى الشكور حضرة جناب أنطون أفندى غندور وكان طبعه بالمطبعة الوطنية بثغر سكندرية تعلق المتوكل على ربه المبدى المعيد حضرة جناب معوض أفندى فريد ولما أشرقت شموس طبعه وأسفرت بدور نفعه أرخته مستمطرا العفو من الرحيم الرحمن راجيا الاغضاء عن الخطاء من الاخوان فالانسان محل النسيان فقلت

وما أبرئ نفسى انى بشر * أسهو وأخطئ مالم يحمنى القدر *

فقلت وعلى الله توكلت

سراج ملوك المجد بالنور أشرقا * وضاء به ليل السلوك وأبرقا
كتاب به تسموا الملوك وتقتدى * ويزهو به وجه الممالك رونقا
كتاب به روض السياسة مونق * وإحكام أحكام الرعية أورقا
عن الحكم الغرا المنيرة مسفر * على منهج التدبير قد سار وارتقى
سراج ولكن الشموس به اهتدت * شعاع وبدر التم منه تمنطقا
عليك بأبواب به قد تحصنت * وشيدت بأجناد التذكر والتقى
مصادر تنبى عن موارد سادة * تروق وتحلو بالقبول لدى اللقا
ودونك فاشرب من أحاديث حكمة * مدام انتفاع لا شرابا معتقا
وقد نجمت بالطبع آيات حكمه * على غاية فى الحسن درا منمقا
وأضحى له سير النجاح مؤرخا * سراج ملوك المجد بالنور أشرقا

٢٦٤ ٩٦ ٣٨ ٢٨٩ ٦٠٢

سنة ١٢٨٩

(تنبيه)

كل نسخة بدون ختمنا هذا فآخذها يكون مسؤلا أنطون غندور

م ١ *(بيان الخطا والصواب الواقع فى هذا الكتاب)*

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٥	١٠	بفتقر	يفتقر
٢٠	١٦	الندبير	النذير
٢٣	٨	وزوت	وذوت
٢٦	١٥	فأتيتا	فأتتا
٢٦	١٧	فأتيا	فأتتا

وجد فى هامش ملزمة ٦ صحيفة ٥ ٤٤ النضو الثوب الخلق والصواب البعير المهزول

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٥٩	١٧	روع	روح
٩٧	١٣	يناصحه أحود لا أصلح	يناصحه أحد ولا نصلح
١٠٨	٥	يؤمر	يأمر
١٠٨	٦	يأمر	يؤمر
١١٦	٧	قال النبى	قال لى النبى
١٢٤	٢١	وخر	وفخر
١٣٢	٢٠	عن	على
١٣٥	١٠	الراعى	الرأى
١٤٦	٦	حلم	علم
١٤٦	٦	نكدرا	يكدرا
١٥٧	١١	تصحيون	تستحيون
١٩٠	١٧	ونحى	ونحيا
١٩٩	٧	الزناة	الدناة
٢٣٣	٨	اثنا عشر	اثنى عشر
٣١٤	١٨	وفيه	وفيها
٣٤٤	١٧	لا يتمير	لا يتميز